الجزء الأول المجلد السابع والستون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ
كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ م

مطبعة الصباح
دمشق ـ هاتف ٢٢١٥١٠
عدد النسخ (٢٠٠٠)

يَـبَنْبَمُ

مَأْلَفُ السَّاجعات ، ومرتَعُ الشَّوَادن قديماً

الأستاذ حمد الجاسر

لفت نظري وأنا أتصفَّحُ ديوانَ الشــاعر حُمَيْدِ بنِ ثورٍ أثناء كتابة كلمة عن فائت شعره ، ما ورد في قصيدته الميمية المشهورة من قوله :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزاعِ بِيشَـةٍ أَو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أَو مِنْ يَبَنْبَما

وهو البيت الثاني والتسعون من القصيدة الواردة في ديوانه[1] ، تحقيق أستاذنا الجليـل الشيخ عبد العزيز الميمني – رحمه الله – ورأيتـه يقول في الحاشية : في « البلدان » في : يَبَنْبُمُ ، وبَبَنْبَم . وفي « الوسيط » (يَلَمْلَمَا) مصحَّفاً ثم نقل الأستاذ عباس عبد القادر الذي علق على الديوان ، كلامَ البكريِّ في « معجـم ما استعجـم » في تعريف المواضع الثـلاثة : ينـبم ، وبيشة ، وتثليث .

وسبق لِي أَن عُنِيتُ بـالبحث عن موقع يَبَنْبَمَ ، فكتبتُ إلى أحد إخواني في تلك البلاد ، رجوته أنّ يبحث لي عن تحديد الموضـع ، وهو الأخ الأستـاذ فرَّاج بن شــافي المُلْحِم ، فقام برحلة في جمادى سنة ١٤٠٤هـ وكتب إليَّ يقول[2] : يَبَنْبَمُ وبنات حرب والجَسَدَاءُ لَمْ نَجِدْ لها خَبَراً ولا اسماً في المنطقة .

كيف هذا والمواضع الثلاثة تقع على أشهرِ طريق كان معروفاً منذ العصــور القديمة ، حين كان ملوك حمير يأتون بجيوشهـم الجرارة من هذا

الطريق لإخضاع جوانب الجزيرة ، حتى كان يعرف إلى عهدنا الحاضر باسم (درب المـلك الكـامل)[٣] لأنه مَرَّ به حين غزا بني عامر في نجد سنة ٤١٥م ، ثم سلكه أصحاب الفيل سنة ٥٧٠م . وبعد أن ظهر الإسلام أصْبَحَ طريقَ حجاج اليمن الآتين عن طريق صعدة طَوالَ ثلاثة عشر قرناً ، وقد حدَّدَ مؤلفو كتب المسالك المسافات بين منازل هذا الطريق ، وعَرَّفُوا كُلَّ منزلة حتى إنَّ من بينهم من حدد خطوط العرض لهذه المنازل تحديداً دقيقاً بحيث لو سار المرء على وصف ما ذَكَرَ أَحَدُهُمْ وقاس المسافات التي حددها بين منازل لا تزال معروفة ـ مثل بِيشَةَ وسَرُومِ الفَيْضِ ـ لاَهْتَدَى إلى الموقع ، وإنْ جُهِل اسْمُه ، واختفى رسمه .

ثم كان من حسن الحظ أَنْ أُكْرِمْتُ من إحدى الجهات بمجموعة من المصـورات الجغرافيـة (الخرائط) لتـلك النـاحيـة الواقعـة في جنوب المملكة ، وفي منطقة بلاد عسير بالذات حيث يمرُّ ذالك الطريق، فما أَشَدَّ سروري حين وقع نَظَرِي على إحدى تلك المصورات (الخرائط) تحمل اسم (ابن ابن) ، فكان أول ما تبادر إلى الذهن أنه هو اسم الموضع المقصود (يَنَبْـم) ، وعادةُ العامَّةِ تحريفُ الأَسْمَاءِ بِتقديمٍ أَوْ تأخيرٍ في الحروف ، وبإبدال بعضها ببعض بل وبتغيير بعضها أصلاً إلى ما يقاربه ، ومن الأول اسم (ينبم) غيروه إلى (ابن ابن) ، ومن الثاني (الرقم)[٤] أبدلوا الميم في آخره (باءً) فصار يعرف باسم (الرقـب) بالباء ، ومن الثالـث تغييرهـم اسم مكان سماه ياقوت (أسنان بلالة) وهي رؤوس جبال شامخة من العَرَمَة في الطريق بين الرِّياض والخَرْجِ ، سموها (ثَنَايَا بِلاَل) ، وهكذا مما لا يتسع المقام للإفاضة في تفصيله .

كان أول مـا استطعت به ترجيح القول بأنه هو الموضع المقصـود مقارنة المسافات بين هذا الموضع وبين المنزلين الواقعين قبله وبعده في وصف طريق الحج عند الهمداني ، ثم مقارنة قول الهمداني نفسه بأن هذا الموضع

يقع غرب تثليث .

يبنبم في الشعر القديم :

ويحسن هنا أنْ أُوردَ ما استطعتُ العثور عليه من أشعار المتقدمين عن هذا الموضع .

قال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ(٥) :

أَشَـاقَتْكَ أَظْعَانٌ بِحَفْرِ يَبَنْبَمِ غَدَوْا بُكراً مِثْلَ النَّخِيلِ المُكَمَّمِ

وقال حُمَيْدُ بن ثور الهِلاليُّ(٦) :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَبَنْبَمَا

وقال العامِرِيُّ من أبيات(٧) :

يَا جارَتَيَّ وقد أَرَى شَبَهَيْكُمـا بِالجِزْعِ مِنْ تَثْـلِيثَ أَوْ بِيَبَمْبَمَا

عَنْـزَيْنِ بَيْنَهُمـا غَزَالٌ شَـادِنٌ رَشَـأٌ مِنَ الغِزْلاَنِ لَمْ يَكُ تَوْأَمَا

وإذا صح استنتاج تحديد الموقع بالنسبة لقائله جاز القول بأنه من بلاد بني عامر أو بقربها لوروده في شعر عامريِّين هما : حُمَيْدَ بن ثور الهلالي ، والعامِرِيُّ الثاني الذي ورد قوله في كتاب « بلاد العرب » ، ومؤلفه من أهل القرن الثالث ، ولا بد أن يكون هذا العامريُّ قبل ذالك العهد، ودلالةُ قول حُمَيْد أبلغُ ، لأنه وصف موقع الحمامة التي أُثارتْ شجوه بأنه كان في تَثْلِيثَ وَيَبمْبَمَ ، مما يدل على أنه كان استقر في تلك البلاد ، وبنو هلال الذين منهم حُمَيْد كانوا جاوروا خَثْعَم التي كانت تسكن بقرب تَثْلِيثَ ، يضاف إلى هذا أنَّ كثيراً من بطون بني عامر كانت منتشرةً في جنوب البلاد المتاخمة لمنازل اليمنيين ، كما يُفْهَم من ذكر الموضعين معاً على تقاربهما ، وتَثْلِيثُ من أشهر الأَوْدية التي لا تزال معروفة ، وكانت أسافله من منازل العامريين بني عُقَيْل وغيرهم .

وإذَنْ فينبغي أن يكون يبمبم بقرب تثليث .

أما ذكرُ طُفَيْلٍ الغَنَوِي للموضع فهو من قبيل السير على عادة الشعراء حين يصفون الظَّعائن المنتقلة من مكان إلى مكان ، دون أن يكون هناك ارتباط بين الموضع وبين صلة الشاعر به ، إذ إنّ قبيلة غَنِيّ التي منها الشاعر تقع منازلها في عالية نجد فيما بين جبال النِّير وحمى ضرية ، مع أنَّ طُفَيْلاً ذكر مواضع بقرب يَنْبَم في شعره مثل (القَهْر) .

تصحيف الاسم :

صواب اسم الموضع (يَنْبَمُ) ، وقد تُقْلَبُ النون مِيماً لوقوع الباء بعدها ، وهذا أمر مطّرد ، ليس خاصاً بهذا الاسم فيقال (يَمْبَمُ) كما سيأتي في نصوص المتقدمين .

وقد وقع الاسم مُحَرَّفاً ومُصَحَّفاً في كثير من كتب الأدب .

فقد جاء في كتاب « الأغاني »[٨] :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ أَوِ النَّخْلِ من تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَلَمْلَما

حُرِّفَ إلى (يلملم) ثم زِيدَ هذا التحريف في الحاشية : ويقال فيه (أَلَمْلَمُ) و(يَرَمْرَمُ) . فلم يكتف المحقق الفاضل بما وقع من تحريف في الاسم ، بل أضاف خطأً آخر هو قوله : بأنَّ يلملم يسمى (أَلملم) و(يرمرم) ، وفرق بين يرمرم ويلملم . فيلملم : موضع تهامي ساحليٌّ هو ميقات حُجَّاجِ تِهَامَةَ ، ويَرَمْرَمُ جبل نَجديٌّ خارج سلسلة جبال الحجاز بقرب مَعْدِن بني سُلَيْم ، قال عنه الْهَجَرِيُّ[٩] : « قال السُّلَمِيُّون : يَرَمْرَمُ عَلَمٌ من الأعلام ، أَسْوَدُ ، أقربُ المنازل إليه مَعْدِنُ بني سُلَيْمٍ عن يمين الذاهب إلى مكة من العراق » ، ولا يزال هذا الجبل معروفاً ، ولكن العامة تسميه (رَمرَم) كعادتهم في حذف الياء من أول كثير من الأسماء مثل (ينوف): (نوف) و(ياقوت) (قوت) و(يجودة) (جودة) و(يعقوب) (عقوب) وهكذا .

ويقول الشاعر العامي مُخلد القَثامِي العتيبي في رمرم :

الدَّرْبَ عَـانهْ من حَصَـا كُشْبٍ وَيْسَـارْ

مَـا حَـدٌّ رَمْـرَم والهِضَـابَ العَسِيبِ[١٠]

وقال خُصَيْوي القَوْسُ المَرْشَدِيُّ العُتيبي من أبيات سنة ١٣٤٨هـ :

تَعَـرِّفِيهـا تَـرَاهـا دِيـرَةَ القَـوْم رَمْرَم ورَايَـانْ لَزْماً تَاصَـلِيْنِهْ[١١]

وجاء بعد صدور طبعة دار الكتب المصرية من « الأغاني » صديقنا الأستاذ أحمد عبد الستار فراج – رحمه الله – فسار في تحقيقه لهذا الكتاب على نهج ما ورد في طبعـة الدار ، مع التعـليق على البيت بذالك التعـليق الخاطئ .

وجاء محقق كتـاب (الكـامل)[١٢] للمبرد صديقنا الأستاذ محمد أبـو الفـضـل إبراهيم – رحمه الله – فأورد البيت كما ورد في كتـاب (الأغاني) ، وحاشيته .

ومع أن شيخنا الميمني – رحمه الله – أورد الاسم صحيحاً في تحقيق ديوان حميد ، وأشار إلى أن كلمة (يلملم) تصحيف ، فإن المشرف على طبع كتاب « الوحشيات »[١٣] الذي حققه الشيخ الميمني أورد البيتَ على الصفة التي قال الشيخ الميمني : إنها تصحيف .

وجاء صديقنا عبد السلام محمد هارون – رحمه الله – فأورد البيت في كتـاب « الحيـوان »[١٤] كما ورد في مطبـوعـة دار الكتب المصرية من « الأغاني » وأشار إلى وقوع تصحيفين آخرين في مخطوطتين من مخطوطات كتاب « الحيوان » في إحداهما (بينمنا) وفي الثانية (بتلملما) .

ومن تصحيفات هذا الاسم أيضاً ما ورد في « معجم البلدان » في حرف الباء الموحدة من قوله : « بَبَمْبَم – بفتحتين – وزن غَشَمْشَم – : موضع أو جبل ، وكذا ذكره الأزهري والخارزنجي ولم تجتمع الباء والميم في

كلمـة اجتماعهما في هذه الكلمة ، ورواه بعضهم يَمْبَم ، وقد رُوي على اللُّغتين قولُ حُمَيْدِ بن ثَوْرٍ حيث قال :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ وبِالرَّزْنِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ بَيَمْبَمَا »

مع أنه أورد في حرف الألف ما نصه : « أَبَنْبَمُ – بفتح أوله وثانيه ، وسكون النون ، وفتح الباء الموحدة وميم بوزن أَفَنْعَل من أبنية كتاب سيبويه ، ويُرْوَى يَبَنْبَم بالياء ، وذُكِرَ في موضعه ، وأنشد سيبويه لِطُفَيْلٍ الغَنَوِيِّ يقول :

أَشَـاقَتْكَ أَظْعَـانٌ بِجَفْرِ أَبَنْبَـمِ نَعَمْ بُكُراً مِثْلَ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ »

ثم قال في حرف الياء : « يَمْبَمُ – بفتح أوله وثانيه وميم ساكنة ، وباء موحدة أخرى وميم : اسم موضع قُرب تَبَالَةَ عند بِيشَةَ وَتَرْجٍ ، والتَّلَفُّظُ به عَسِرٌ لِقُرْب مخارج حروفه ، قال حُمَيْد بن ثور :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ – خمسة عشر بيتاً أوردها – وكان البيت الثاني عشر منها :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ أَو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَمْبَمَا

وقال بعض بني عامر :

يَا جَارَتَيَّ وَقَدْ أُرَى شَبَهَيْكُمَا بِالجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ بِيَمْبَمَا
عَنْـزَيْنِ بَيْنَهُمَا غَزَالٌ شَادِنٌ رَشَأٌ مِنَ الغِزْلاَنِ لَمْ يَكُ تَوْأَمَا »

وأضاف في حرف الياء ما نَصُّه : « يبنبم – بفتح أوله وثانيه وسكون نونه ، وباء مفتوحة وميم – ويقال : أَبَنْبَمُ – : موضع ، وهو من أبنية كتاب سيبويه ، قال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ :

أَشَـاقَتْكَ أَظْعَـانٌ بِحَفْرِ يَبَنْبَـمِ نَعَمْ بُكُراً مِثْلَ الفَنِيقِ المُكَمَّمِ[١٥]»

ولا شك أَنَّ إيرادَ الاسْمِ بالباء (بَبَنْبَم) تصحيف يَبَنْبَم ، وياقوت – رحمه الله – كثيراً ما يكرر الاسم الذي لا يتيقن صحة ضبطه مثل (رَنْيَـة) ، أوردها في الموضع الصحيح ، ثم أوردها في حرف الزاي

(زِئْنة) .

ومن أَسْوَأ أَنواع التصحيف في هذا الاسم ما وقع في المطبوعة التي حققهــا الدكتور محمد حســين الزُبَيْدي وطبعت في العراق من كتــاب « الخراج » لقدامة بن جعفر ، فقد ورد فيه الاسم بهذا النص : (ومن نبات حرم إلى شميص [بدون نقط] منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس بـه أهـل ...... ومنـه إلى كُثْبَـة) وكرر (كُثْبَة) مرة أخرى ، ووردت (سـروم) : (شَـروم) ولكن اسـم (يَنْمْبَم) ورد صحيحاً في المطبوعة الأوربية وما صُوِّر عنها .

مما تقدم يتضح أن سبب صعوبة النطق بالاسم التي عبر عنها ياقوت بقوله : (التلفظ به عسر لقرب مخارج حروفه) سَبَّبَ تحريفه وتصفيحه إلى يلملم ، وببنبم ، إلى غير ذالك من أوجه التصحيف والتحريف .

أقوال علماء اللغة :

لعــل من أقدم من ذكر اســم المـوضـع من اللغـويين سيبويه في (الكتـاب) على ما ذكر البكري وياقوت في معجميهمـا ، وسيأتي نَصُّ ما ذكرا ، وقد تتبعت فهرس الكتاب في مطبوعة الأستاذ عبد السلام محمد هارون فلم أَعْثَر على النص المنسوب لسيبويه في الكتاب .

وقال الأزهري في « تهذيب اللغة » : يَنْبُمُ : وذكر حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ ينْبَمَ[١٦] :

إِذَا شِـئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَــةٍ   أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيـثَ أَو من يَنْبَما

وقال ابنُ دريد[١٧] : (ب م ب م) : لم تجتمع الباء والميم [مكررة] في كلمة إلاَّ في يمبم ، وهو جبل أو موضع .

وقال صاحب « اللسان »[١٨] : أبنبم ويبنبم موضع ، قال ابنُ بَرِّي : أَبَنْبَمُ على أَفْنَعَلَ من أبنية الكتاب ، قال طُفَيْل :

أَشَــاقَتْكَ أَظْعَــانٌ بِجَفْـرِ يَبَنْبَـمِ   نَعَـمْ بُكُراً مِثْلَ الْفَسِيْـلِ الْمُكَمَّمِ

ثم نقل ما في « التهذيب » وتقدم .

وقال في « تاج العروس »[١٩] فصل الياء مع الميم : ومما يستدرك عليه يَمْبَمُ – بفتح الياء والباء الأولى والثانية بينهما ميم ساكنة : اسم موضع قرب تَبالة ، قال حُمَيْد بن ثَوْرٍ :

إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَةٍ أو الجِزْعِ من تَثْلِيْثَ أو من يَمْبَما

قال ياقوت : والتلفظ به عَسِرٌ لقرب مخارج حروفه ، وقد أشار إليه المصنف في أول الحرف ويقال : بالألفِ أَيْضاً بدل الياء ، وقد تقدم ذالك للمصنف أيضاً ، ويقال أيضاً بالباء الموحدة أولاً .

واختلف في وزنه فقيل : فَعَلَّل كَسَفَرْجَل ، وقيل : يَفْمَعل ، ويروى أيضاً يَنْبَم بقلب الميم الأولى نوناً ، أورده ياقوت هكذا ، وبه رُوِيَ قول طُفَيْل الذي سبق في أول الحرف ، وعلى كل حال كان الواجب على المصنف الإشارة إليه هُنَا .

وفي « التاج » أيضاً قبل ما تقدم : ابنبم : أهمله الجوهري ، وهو من أبنية كتاب سيبويه وزنه أَفْنَعَل ، ويقال ينبم بالياء وزنه يفنعل ، وهو موضع قرب تَثْلِيْثَ ، وأنشد سيبويه لطُفَيْلٍ الغَنَوِيِّ :

أَشَاقَتْكَ أَظْعَانٌ بِحَفْرِ يَنْبَمِ نَعَمْ بُكُراً مِثْلَ الْفَسِيلِ المُكَمَّمِ

وأنشد الصاغاني لِحُمَيْد بن ثَوْر – رضي الله عنه –:

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ أَوْ الرِّزْنِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ بِأَبْنَبَما[٢٠]

ثم أورد كلام ياقوت في معجمه .

ومن أقوال علماء المواضع :

قال الهمداني في (شرح القصيدة الدامغة)[٢١] بعد أن تكلم على يوم رَنْيَة : ورَنْيَةُ القُرَيْحَا ، وأورد شعراً لِعَمْرِو بن معدي كرب في ذالك اليوم ، وجواب عامر بن الطُفَيْل له وفيه يقول :

لاَ تَعْجَلَنْ يَا عَمْرُو وَانْظُرْ كَتَائِباً تُسَاقُ إِليكم بَعْدَهُنَّ كتائبُ
إِلَى أُطْمِ طَبْيٍ يَعْتَلِكِنَ شكائماً مقانب تُهْدِيهَا إِلَيْكَ مقانبُ
هُنَالِكَ لا تُنْجِيكَ مِنَّا قُضَاعَةٌ وَلاَ مَذْحِجٌ إِنْ سَارَ كَعْبٌ وَحَاطِبُ

الأطم : الحصن الحصين المبني ، وطَبْي : موضع عَمْرٍو وهو يَمْبَمُ ، وهو الذي ذكره امرؤ القيس فقال(٢٢) :

وحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ طَبْيٍ فَعَرْعَرَا

والنَّاسُ يَرْوون ظبي ، وهذا غلط ، طبي وعرعر من أودية نجد ، وقد يسميه بعض من يجهله طب . انتهى .

والشاهد من هذا النص صلةُ الموضع بعمرو بن معدي كرب ، والهمدانيُّ نفسه قد أوضح في (صفة جزيرة العرب)(٢٣) أن عمرو بن معدي كرب من أَهْل تَثْلِيثَ ، فقال في ذكر بلاد بني نَهْدٍ : طَرِيبُ وأَرَاكُ وَتَثْلِيثُ ، وكان لعمرو بن معدي كرب فيه حِصْنٌ ونَخْلٌ ، وجَاشُ ومَرِيعُ والعشَّتَانِ والبردان . انتهى ملخصاً ، ولم تذكر إلا المواضع التي لا تزال معروفة .

وأورد الهمداني في (صفة جزيرة العرب)(٢٤) من أرجوزة للرداعِي في وصف طريق عودته من مكة إلى اليمن بعد أن ذكر منهلَ بناتِ حَرب :

ثم اصْدُرِي منه إلى هِرْجَاب لاِبْنَيْ دَدٍ فَجُلْجُلِ الأَحْزابِ
وبَعْدَ نَجْرٍ أُبَتِ للْمَثَابِ يَمْبَما مَحْمَودةَ الإِيابِ

إلى أن قال :

حَتَّى إِذَا أَوْرَدتُها يَمْبَما والليلُ قد أَلْقَى جِراناً مُظْلِما

قال :

فَصَبَّحَتْ واللَّيْلُ قد تَجَرَّما كُتْنَةَ إِذْ كانَتْ لِوِرْدٍ مَعْلما

ونقل عنه البكري في (معجم ما استعجم)(٢٥) ما هذا نصه : « وقال

الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتاب « الإكليل » : يَيَمْبَمُ وحَبَوْنَنُ وَجَاشُ وَمَرِيْعُ مِنْ دِيَارِ مَذْحِج ، قال : وكذالك الْهُجَيْرَةُ والْكُتْنَةُ ، قال : وهي اليوم لبني نَهْدٍ » ، وكل هذه المواضع معروفة سوى يبمبم .

وقال أيضاً[٢٦] : قال الهمْدانيُّ : حَبَوْنَنُ من ديار مَذْحِجَ ، وكذالك جَاشُ ومَرِيعُ ويَبَمْبَم قال : هي اليوم لبني نَهْدٍ .

وقال البكري أيْضاً : « يَنَبْم - بفتح أوله وثانيه وبعده نون وباء أخرى - : وادٍ شَجِيرٌ قِبَلَ تَثْلِيثَ ، قال حُمَيْدُ بنُ ثَوْرٍ :

إذا شئْتُ غَنَّتني بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ أوِ الْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ من يَبَنْبَما

وذكر سيبويه في الأَبْنِيَة : أَيْنَبَم - بالهمز على وزن أَفْنَعَلَ ، وهي لغتان فيها الهمزة والياء كما هي في (يَلَمْلَم) ولم يَذْكُرْ سِيْبَوَيْهِ فيه الياء » .

وتقدم كلام صاحب « معجم البلدان » .

ومن أقوال علماء المسالك :

تقدم القول بوقوع (يَبَمْبَم) في أشهر الطرق التي تأتي من اليمن إلى داخل الجزيرة ، ويحسن إيراد بعض أقوال أصحاب المسالك في ذالك ، ولعل من أقدمهم ابنُ خُرْداذبة فقد جاء في كتابه (المسالك والممالك) يصف طريق المتجه إلى اليمن بعد تَبَالة[٢٧] : ثم إلى بِيشَةِ بُعْطانَ كبيرة فيها ماء ظاهر ، قال حُمَيْد بن ثَوْرٍ الهلاليُّ :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتني بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ إِلَى النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أو بِيَبَمْبَما

ثم إلى الجَسَدَاء فيها بئر ، ولا أهلَ فيها ، ثم إلى بنات حَرْب قرية عظيمة فيها عين وبئر ، ثم إلى يَبَمْبَمَ ولا أهل فيها ، ثم إلى كُتْنَةَ قرية عظيمة فيها آبار ، ثم إلى الثَّجَّة فيها بئر ، ثم إلى سَرُومِ رَاحٍ قرية عظيمة فيها عيون وكروم ، وجُرَش منها على ثمانية أَمْيَال .

وفي كتاب (المناسك) في وصف الطريق من اليمن إلى مكة[٢٨] : ومن ذاتِ عُشٍّ إلى كُتْنَة ، ومن كُتْنَة إلى يَنْبَم وبينهما الماء ، ومن يَنْبَم إلى بنات حرب وبينهما المسلة (؟) ثم جَسَدَاء ثم المَيْثَاء ومن بِيشَة إلى تَبَالَة . انتهى .

وقال قُدَامة بن جعفر في كتاب « الخراج وصناعة[٢٩] الكتابة » : ومن بِيشَة إلى جَسَدَاء – منزل أعراب من قَيْسٍ ، ومن جَسَدَاء إلى بنات حرم (؟) قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة ، ومن بنات حرم إلى يَبَمْبَم منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة ، وليس به أهل ، وحوله أعراب من خَثْعم ، وبينها وبين جُرَش نحو أربعة عشر ميلاً ، ومنه إلى كُتْبَة (؟) قرية عظيمة ومنازل وقصور وآبار في صحراء ، بينها وبين جُرَش ثمانية أميال . انتهى .

أما أَدَقُّ هاؤلاء العلماءِ وصفاً للطريق ، وتحدِيداً للموضع ، فهو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، قال في وصف محجة صنعاء إلى مكة بعد أن ذكر ما قبل سَرُوم الفيضِ فكتنة[٣٠] : ومنها إلى سَرُومِ الفَيْض أربعة عشراً ميلاً وعرضها ستة عشر جزءاً ونصف وخمس جزء ، ومنها إلى الثَّجَّةِ ستة عشر ميلاً ، وعرضها ستة عشر جزءاً وثُلثا جزء وربع جزء ، ومنها إلى كُتْنَةَ عشرون ميلاً ، وهي على تمام خمسة عشر بريداً من صنعاء وثمانين ومئة ميل ، و كُتْنَةُ أَوَّلُ حَدِّ الحجاز ، وعرضها سبعة عشر جزءاً وسدس ونصف عشر ، وعرضها وعرض جُرَشٍ واحدٌ ، لأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم ، ومن الْهُجَيْرَةِ وتَثْلِيثَ عن يوم في مشرقها ، ثم منها إلى يَبَمْبَم عشرون ميلاً ، وذالك مئتا ميل من صنعاء ، وعرضها سبعة عشرَ جزءاً ونصف وسدس عُشْرِ جزء ، ومنها إلى بنات حَرْب عشرون ميلاً ، وعرضها سبع عشرة درجة وأربعة أخماس درجة ، ومنها إلى الجَسَدَاء اثنان وعشرون ميلاً ، وعرضها ثماني عشرة

درجة وعُشْرٌ ونصفُ عُشْرٍ ، ومنها إلى بِيشَـةِ بُعْطان أحدٌ وعشرون ميلاً وعرضها ثماني عشرة درجة وثلث وثمن ، ومنها إلى تَبَالَة أحد عشر ميلاً . انتهى ، فهو كما ترى لم يكتف بتحديد المسافة بالأميال بل ذكر درجاتِ عرض كل منزلة من المنازل المذكورة .

ومن المعلوم أن درجات العرض عند المتقدمين قد تختلف عنها عند المتأخرين فهي وان كانت تبتدئ من خط الاستواء عند الفريقين فإنّ هناك اختلافاً يسيراً يتضح بمقارنة عروض المنازل :

١ ـ فدرجة العرض في سروم الفيض عند الهمداني تقل عن سبع عشرة درجة بينما هي عند المتأخرين تقع على درجة العرض (١٨ درجة) وعلى درجة الطول : ٢٥ /٤٣° .

٢ ـ ومنزل الثَّجَّةِ الواقع بين سَروم الفيض وكُتْنَة ليس معروفاً الآن ولا تفوت الإشارة إلى أن من المواضع الواقعة على الطريق في هذا الاتجاه بقرب منتصف الطريق بين الفيض وكتنة موضعاً يسمى (الثَّجْر) في إمارة (الأَمواه) إحدى إمارات بلاد عسير ، ولا أستبعد أن يكون هو (الثَّجَّة) فحرف الاسم ، وهو اسم قرية مأهولة تقع على خط الطول ٣٠ /٤٣° وعلى خط العرض ٢٥ /١٨° في وادٍ بهذا الاسم أيضاً تقع آثار الجُعَيْفِرة المكان الذي يُظَنُّ أنه هو الْهُجَيرة شرق الثَّجْر هذا ، بميل نحو الجنوب بقرب خط الطول ٤٣ ′/٣٠° وخط العرض ٤٥ /١٨° بحيث تقرب من مُحاذاة منزلة كُتْنَة التي ذكر الهمداني[٣١] أنها في مشرقها .

٣ ـ أما كُتْنَة المنزل الواقع على هذا الطريق فعرضها يزيد على سبع عشرة درجة عند الهمداني وعند المتأخرين تزيد على تسع عشرة درجة ، ودرجة الطول ٢٠ ′/٤٣° .

ويلاحظ أنَّ اسم كُتْنَة يطلق على أربعة مواضع واقعة فيما بين سَروم الفَيْض ورَنْيـة ، ولكن المنزلة التي حددها الهمداني هي التي سبق تحديد

درجاتها ولا تزال معروفة قرية في وادٍ بهذا الاسم .

٤ – يمبم : حدَّدَ الهمدانيُّ درجاتِ عرضها بأَقَلَّ يسيراً من ثماني عشرة درجة ، وهي تقع على درجة العرض ٣٠ ′/١٩° ، وعلى درجة الطول ٠٠ ′/٤٤° .

٥ – بنات حرب : على درجة تبلغ ثماني عشرة إلا يسيراً عند الهمداني ، والموضع ليس معروفاً ولكن هناك جبال تقع في تلك الجهة يطلق عليها الاسم ، على ما حدثني بهذا أديب بلاد عسير الشيخ عبد الله بن علي بن حُمَيِّد – رحمه الله – .

ومع أن الموضع ذو شهرة عند المتقدمين حيث وصفه قدامة بن جعفر بأنه قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة ، وقريب من هذا الوصف ورد في كتاب (نزهة المشتاق)[٣٢] فإن الاسم في الكتابين وَرَدَ مُحَرَّفاً ، ففي الأول (بنات حرم) وفي الثاني (بيات) ، كتحريف غيره من الأسماء الكثيرة الواقعة في المسالك في هذين الكتابين .

٦ – الجَسَداءُ : درجات عرضها تزيد على ثماني عشرة ، ولكن الموضع لا يزال مجهولاً ، وإنْ عرفت المنطقة التي يقع فيها ، فقد ذكر الهمداني[٣٣] أنه من (يَعْرَا) ويَعْرَا : وادٍ لا يزال معروفاً بل هو من أشهر الأودية في منطقة بلاد عسير ، ينحدر من السراة ويصب في وادي تَثْلِيثَ مع وادي طَرِيبٍ ، وسكانه ناهس من شَهْرَان القبيلة الخَثْعَمِيَّة المعروفة .

٧ – بِيشَة بُعْطَان : ودرجة العرض عند الهمداني تقارب ثماني عشرة ونصفاً ، وهي كما في المصورات الجغرافية الحديثة يقارب عرضها عشرين درجة وخط الطول : ٤٠ ′/٤٢° ، ويلاحظ أن وادي بِيشَة يُعَدُّ من أطول أودية بلاد العرب ، ولعل المقصود هنا هو أقرب ثني منه الطريق حيث أضافه إلى بُعْطَان ، وبُعْطَان هذا رافد صغير من روافد وادي بِيشَة يقع

بقرب خط العرض المذكور .

اتجاه الطريق :

ومما ينبغي أن يلاحظ أنَّ الهمداني ذكر أن الاتجاه في هذا الطريق يستمر إلى جهة الشمال الغربي حتى يبلغ رأس المناقب ، ويقصد ما يعرف الآن باسم (الريعان) جمع رِيعٍ قبل قرن المنازل ، قال عند ذكر هذا الموضع وهو منتهى الطريق إلى وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب والجنوب ، وعلى أساس قوله هذا كان تقديره لدرجات العرض ، فوقع في شيء من عدم الدقّة ، لأنه لم يلاحظ أنه بَعْدَ أن يتجه الطريق من منزلة الفَيْض يأتي إلى أرضٍ منحدرة هي فروع الأودية التي تنحدر من السراة ، فيسلك الطريق ما تساهل منها ، وقد يأخذ إلى الجنوب الغربي تبعاً لاختيار الطريق السهل .

وينبغي أن تكون منزلة يَنْبَم مماثلة في درجة العرض لمنزلة كُتْنة ، أي تزيد على الـ (٤٣) . وبعد منزلة يَنْبَم يبدأ انحراف الطريق من الشمال إلى الشمال الغربي ، حيث يَتَنكَّب الطريق منحدراتِ فروع وادي تَثْلِيثَ ومجرى الوادي المنخفض الذي اتسع عندما بلغ منطقة يَعْرَا ، فسهُل اجتيازه إلى منزلة الجَسَدَاء الواقعة في هذه المنطقة بقرب درجة الطول : ٤٣°ودرجه العرض : ٤٥ /١٨° .

ومما تجدر ملاحظته هنا أنَّ وادي بيشة من أطول الأودية التي تخترق تلك المنطقة ، ففروعه تنحدر من قرب خط العرض : ٣٠ ′/١٧° ومفيضه يتجاوز خط العرض : ٠٠ ′/٢١° ، ولكل ثنْيٍ من أثنائه اسم خاص به ، ففي أعلاه يسمى بيشةَ ابن سالم ، وفي أثنائه يعرف ببيشة ابن مُشَيْطٍ ، وفي حوضه يعرف ببيشة بُعْطان ، وفي أسفله بقرب فروعه يعرف ببيشة النخل .

أما منزلة الطريق في هذا الوادي فهي بيشة بُعْطَان ، اسْم رافد صغير من روافد الوادي ينحدر في وادي هِرْجَاب الوادي المشهور ، الذي يجتمع

مع وادي بيشة بعد اجتماعه برافد بعطان ، ويوضح هذا ان الرداعي وهو يصف الطريق يقول في أرجوزته المشهورة[٣٤] :

لِلْجَسَدَاءِ شُخَّصاً لِلْمَاءِ ثُمَّ الغَضَارِ فَإلى المَيْثَاءِ
حَتَّى إذَا أَوْرَدتُهَا رَنُوما وادِيَهَا والمَنهَلَ المعلوما
ثُم بِبُعْطَانَ بِوَاجِي الوَسْجِ تَؤُمُّ مِنْ بِيشَةَ وادِي تَرْجِ

والهمداني حينما ذكر المنزل سماه (بيشة بُعْطان)[٣٥] ، والمَيثاء ورنوم شعبان لا يزالان معروفين ، وكذالك بعطان ، والموقع هو بقرب درجة الطول : ٣٠ /٤٢° ودرجة العرض : ٣٥ ′/١٩°، ثم اتجه الطريق نحو مَصَبِّ تَرْجٍ في وادي بِيشةَ فكأنه انحرف ذات اليسار عن منخفض الوادي ، الذي تكثر فيه المنحدرات والقرى ، ووادي تَرْجٍ يجتمع في وادي بيشة عند قرية الْحَيْفَةِ بقرب خط الطول : ٣٠ /٤٢° وخط العرض : ٥٠ /١٩° وهي في منطقة إمارة الحازمي ، تقع شرق بلدة الحازمي قاعدة الإمارة ، بِقُرْبِها .

ثم كان الاتجاه من هذه المنزلة إلى منزلةِ تَبالة حيث خط الطول : ٢٠ ′/٤٢° وخط العرض : ٢٠°، ومن تبالة هذه انحرف نحو اليمين فاجتاز وادي رَنْيَة ثم جزع الحَرَّة ، ونزل إلى وادي كَرَاء ، فوادي تُرَبَة ، واتجه شمالاً قصدا حتى المناقب .

مما تقدم يتضح اتجاه الطريق ، والغاية من ذالك الإشارة إلى عدم دقة كلام الهمداني من وصفه بأنه يتجه إلى الشمال حتى رأس المناقب في جميع منازله ، كما يفهم من قوله المتقدم ومن قوله أيضاً : إن الاتجاهَ من كُتْنَةَ إلى بِيشَة إلى مغيب الأوسط من بنات نَعْشٍ الذي بجنب السُّها ، وإلى المناقب على سمت مغيب الآخِرِ منها الذي يطلع آخِرها ويغيب آخِرها[٣٦] .

وهذا الانحراف الواقع في الطريق ناشئٌ عن اختيار ما سَهُل من الأرض لسير الإبل والدواب ، وهذا يتطلب البعد عن منحدرات جبال السراة ما أمكن ، ثم تحاشِي السير في الأودية المنحدرة منها التي كثيراً

ما تجرف بسيولها ما يقع فيها .

فقد جزَعَ الطريقُ فروعَ وادي تَثْـلِيث ونَكَّبَ مَجْرَى الوادي وروافده الكبيرة يسارَه ، واتجه مع الأرض السهلة من منزل سَرُومِ الفَيْضِ ، واتخذ اتجاهه الذي يُجَنِّبه اعتراضَ الأودية حتى تساهلت له الأرض الفسيحة بعد اجتياز المرتفعات ، وانبساط وادي تَثْلِيث حيث جَزَعَه إلى سهل حوض وادي بِيشَةَ .

أين يقع يَبَنْبَم من هذا الطريق ؟

تحديد المتقدمين يوضِّحُ أنَّه في المنتصف فيما بين بِيشَـةَ وسَرُومِ الفَيْض ، الموضعين اللذين لا يزالان معروفين ، فهو المنزل الثالثُ من بِيشَةَ لقاصد سَرُوم ، وهو المنزل الرابع من سَروم لقاصد بِيشَةَ ، والمسافة بينه وبين بِيشَـة ثلاثة وستون ميلاً ، والمسافة بينه وبين سروم الفَيْض ستة وخمسون ميلاً ، والمنزلة التي تليه فيما بينه وبين سروم الفَيْضِ هي كُتْنَة الواقعة على خط الطول ٢٠ /٤٣° وخط العرض ١٠ ′/١٩° ، أما المنزلة التي بعده وهي بَنَات حَرب فيما بينه وبين بِيشَة فغير معروفة ، وكذَا الجَسَدَاء إلاَّ أنَّ الأخيرة هذه وإن كانت مجهولة فقد أشار الهمداني إلى وقوعها في منطقة وادي يَعْرَا ، ووادي يَعْرا لا يزال معروفاً وهو واقع على خط الطول . . /٤٣° و٤٥ /١٨°.

وإذَن فكأن الطريق انحرف يسيراً من اتجاهه من كُتْنَة إلى يَعْرا ، إذْ كُتْنَة على عرض ٢٠ /٤٣° فينبغي إذَنْ أن تكون المنزلة الواقعة بعد كُتْنَة حين يُلاَحظ أنَّ الأرض مستوية وأنه ليس هناك ما يدعو إلى الانحراف فتكون المنزلة على خط طول لا يزيد على ٢٠ /٤٣° ولا ينقص عن ٤٣° درجة ، وخط العرض ينبغي أن يكون بين ١٠ /١٩° وهو عرض كُتْنَة و٤٥ ′/١٨° وهو عرض يَعْرا .

أما المسافة بين كُتْنَة ويَعْرَا فهي على تقدير الهمداني اثنان وستون ميلاً منها عشرون قبل منزل يَبَمْبَم ، واثنان وأربعون بعدها .

وعلى هذا تكون المسافة بين كُتْنَةَ ويَنَمْبَم على وجه التقريب تزيد يسيراً على خمسين كيلاً ، إذْ الميل حسبما اتضح لي من الأميال التي لا تزال باقية في طريق زُبَيْدَة في طريق الحج البصري المارِّ بنجدٍ ، يتراوح بين ألفين ومئتين ، وألفين وأربع مئة متر .

أما درجة العرض فينبغي أن تكون منزلة يَنَمْبَم بقرب خط العرض ١٩°درجة بدون زيادة وخط الطول ١٥ /٤٣° .

وإذا صح هذا التقدير فان الموقع المعروف الآن باسم (ابن ابن) تنطبق عليه أكثر تلك الأوصاف .

يبدو ان اسم (ينبم) يطلق على الوادي الذي يعرف الآن باسم (وادي ابن ابن) وهذا الوادي قد رُسم له مُصَوَّرٌ جغرافي خاص باسمه ، وفروعه تقع بقرب خط الطول : ٥ /٤٤°وهي تنحدر من جبال القهر[٣٧] ، ويجتمع بوادٍ يدعى وادي السَّمَارة ، تاركاً جبال عَرْوَا جنوبه ، وجبال عروا هذه هي عَرْوَا القَهْر ، التي ذكر الهجري[٣٨] ، وفي جنوب الوادي سهل واسع يطلق عليه اسم سهل المنقع ، وسهل منقع الحمام ، وهناك قرية بهذا الاسم (منقع الحمام)[٣٩] في منطقة العين تقع بقرب خط الطول : ١٥ /٤٤°وخط العرض. . /١٩°، وهذا السهل المنبسط من الأرض تَلُبُّ به جبال القَهْرِ من شماله ، كما تَلْهَزُه من الجنوب جبال عروا ، وفي شماله واد يعرف بوادي الْمَعْرَة ، فيه بئر بهذا الاسم ، وواد آخر يدعى وادي جَبْجَبٍ ، يتجه الواديان صوب الشمال ، وفي جنوب ذالك السهل تقع جبال تعرف باسم جبال القباقب ، وجبل الخشيبة ، تنحدر منها شُعَبُ أودية تفيض في وادي السمارة ، منها شعب خَمط وشعب الخشيبة وشعب مُكَسَّرٍ من جبل بهذا الاسم ، وشعب ضبير ، وأشهر الأودية الواقعة في جنوبه وادي السمارة الذي يدع سهل الْمُرَيْخِ جنوبه ، وأكثر الشعاب تنحدر في وادي السمارة ومنها وادي (ابن ابن) .

ومنطقة وادي ابن ابن كما رسمت في المصور الجغرافي (الخريطة) تقع بين خطي الطول : ٠٠ /٤٤°و١٥ /٤٤° وبين خطي العرض: ٣٠ /١٩° و٥٥ /١٩°والمسافة إلى هذا المكان من كتنة تقارب ما حدد الهمداني عشرين ميلاً أي نحو خمسين كيلاً . يتضح هذا من أن الهمداني حدد المسافة بين سروم وبين كتنة بستة وثلاثين ميلاً وهي بسير السيارات الآن تقارب ستين كيلاً .

وقد يلاحظ هنا أنَّ هذا الموقع بالنسبة إلى منزل كتنة منحرف شمالاً ، ولكن الانحراف بين منازل الطريق قد تسببه وعورته ، وهذا مما يكثر في منازل طرق الحج مما لا يتسع المجال لتفصيله .

وبالإجمال فلا شك أنَّ الاسم الذي يطلق على هذا الموضع طوال السنين له صلة بالاسم القديم (أُبَنَّم) بصرف النظر عن الموقع الذي كانت منزلة الطريق تقع فيه منه ، فقد يكون الاسم تقلَّص فصار لا يشمل إلاَّ هذا الجزء الواقع في منطقة جبال الْقَهْرِ ، بينما كان يشمل ما هو أوسع منها بحيث كان الطريق يمر بجانب منه .

وقد يتصدَّى أحد الدارسين لتناول الموضوع بدراسة أدَق وأوفى وأشمل مما تقدم .

الحواشي :

(١) ص٢٦ .

(٢) « العرب » س١٨ ص١٠٢٦ .

(٣) كتاب فلبي « المرتفعات العربية » ص٤١ – ٧٤ (ARABIAN HIGHLANDS) .

(٤) انظر هذا الاسم في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » قسم شمال المملكة .

(٥) « صفة جزيرة العرب » ٣٢٥ نشر دار اليمامة ، وديوان الشاعر ٧٢ مع تصحيف (بجفر) إلى (بخفر) .

(٦) ديوانه : ٢٦ .

(٧) « بلاد العرب » للحسن الأصفهاني ، ص١٤٩ .

(٨) ٤/٣٥٥ ـ ط.دار الكتب المصرية .

(٩) « التعليقات والنوادر » للهجري : ١٩ المخطوطة المصرية .

(١٠) (عانه) : انظره .

(١١) (تراها ديرة القوم) : هي ديرة الأعداء . (لزما تاصـلينه) : أي تصـلين إليه ، يخاطب ناقته .

(١٢) ٣/١٢٤ط. نهضة مصر .

(١٣) ١٩٣ .

(١٤) ٣/١٩٨ .

(١٥) أرى أن كلمة (الفنيق) تصحيف (الفسيل) .

(١٦) ١٥/٥٩١ .

(١٧) « جمهرة اللغة » ١ : ١٧٧ .

(١٨) رسم (بيم) .

(١٩) رسم (يم) .

(٢٠) الرزن : هو المكان المرتفع يكون فيه الماء .

(٢١) ص١٨٢ .

(٢٢) ضبي وعرعر في قول امرئ القيس واقعان في شمال الجزيرة ولا يزالان معروفين من أشهر الأودية تحدثت عنهما في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ـ قسم شمال المملكة ـ ولعل هذا من هفوات الهمداني ـ رحمه الله ـ.

(٢٣) ٢٥٣ .

(٢٤) ٤٥٤ .

(٢٥) ٢ : ٣٥٩ .

(٢٦) ٢ : ٤٢١ .

(٢٧) ١١٨ .

(٢٨) ٦٤٤ .

(٢٩) ١٥ [ص٥٨ الطبعة المصورة لفؤاد سزكين] .

(٣٠) « صفة جزيرة العرب » ٣٣٩ ط. دار اليمامة .

(٣١) المصدر السابق .

(٣٢) ١٤٥ طبع روما .

(٣٣) « صفة جزيرة العرب » : ٤٢٩ .

(٣٤) المصدر السابق : ٤٢٨ باختصار .

(٣٥) المصدر السابق : ٣٤٠ .

(٣٦) المصدر السابق : ٣٣٨ .

(٣٧) « العرب » س١٩ ص٣٠٠/٨٤٨ .

(٣٨) « أبو علي الهجري » ٣٤٠ .

(٣٩) « أطلس منطقة عسير الإدارية » ص٥٤ ، ومجلة « العرب » س١٩/٣٠٠ .

التعريف والنقد

معجم موسوعي وثائقي

بالمفردات والمصطلحات الدبلوماسية والدولية

إنكليزي – فرنسي – عربي

إعداد وشرح : الدكتور زكريا السباهي

الطبعة الأولى : ١٩٩١ – دار طلاس بدمشق

الدكتور صالح الأشتر

هذا المعجم الموسوعي الوثائقي المختصر الذي صدر حديثاً عن دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق يَلْفِتُنا بصدوره إلى ظاهرة جديرة بأن نرصدها : وهي كثرةُ المعاجم اللغوية الاختصاصية التي أصبحنا نملكها في شتى المجالات ومختلف ألوان المعارف والعلوم والفنون ، وقد بدأت المكتبة العربية تزخر بأصناف هذه المعاجم منذ بداية الخمسينيات ، وكلُّها – إلا بعضاً يسيراً منها – صادرٌ عن جهود فردية آثر أصحابها أن ينكبّوا على عملهم بدأبٍ وصمتٍ ، كلٌّ في مجال اختصاصه ، ليُصنّفوا معاجم للمصطلحات باللغات الثلاث : العربية والإنكليزية والفرنسية ، ويعملوا على نشرها ، وكان المأمول أن تُشرف المجامع والمؤسسات العلمية العربية على إعداد تلك المعاجم وتتكفّل بإصدارها ، وكان بعض أصحابها قد شاركوا أول الأمر في اللجان المجمعية العاملة في هذه المجالات ، ثم رأوا أن ينفردوا وحدهم بالعمل ، إذا أُريد له أن يبلغ دون إبطاءٍ غايتَه ، بعيداً عن اجتماعات اللجان وشكلياتها ، فطلبوا السماح لهم بأن يستقلُّوا بإنجاز عملٍ كان

المفروض في الأصل أن تقوم به تلك اللجان التي كانوا قد أسهموا في بعض أعمالها ، والأستاذ مجدي وهبة ، في معجمه النفيس (معجم مصطلحات الأدب) الصادر عن مكتبة لبنان في بيروت عام ١٩٧٤ واحدٌ منهم[١] ، وعن هذه المكتبة صدر عدد وافر من المعاجم الاختصاصية باللغات الثلاث ، في سلسلة قيّمة تمتاز بجودة الإعداد وحُسن الإخراج ، والمثقفون العرب اليوم بحاجة إلى أمثالها في كل مجال من مجالات اختصاصاتهم المختلفة .

وهنا ينبغي أن نذكر أيضاً تلك الجهود الطيبة التي بذلها مكتب تنسيق التعريب في المغرب ، في إصدار عددٍ من المعاجم الاختصاصية باللغات الثلاث ، وكان الجناح المغربي من العالم العربي منذ بداية الستينيات ، حريصاً على تعريب المصطلحات في كل اختصاص ، لحاجته إلى إحلال المصطلح العربي محلَّ المصطلح الأجنبي (الفرنسي) لتُصبحَ العربيةُ على ألسنة عرب شمالي أفريقية اللغةَ القومية القادرة على التعبير عن كل وجهٍ من أوجه الحياة الحضارية ، ويتمَّ التخلّصُ بذلك لديهم من طغيان اللغة الأجنبية وجَوْرِها على لغتهم القومية ، وقد أُتيح لي خلال إقامتي يومذاك في المغرب أن أشهد نشاط مكتب تنسيق التعريب – وعلى رأسه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله – في تزويد المكتبة العربية بعددٍ من المعاجم الاختصاصية بمختلف المصطلحات في ألوان العلوم والصناعات والفنون ، لجعلها مُوازيةً ومُساويةً للمصطلحات الغربية الحديثة ، باللغتين الفرنسية والإنكليزية ، وكان العاملون في المكتب يومذاك يُدركون أنهم يُسابقون الزمن ، فهذه المصطلحات العلمية والفنيّة « تزداد بمعدَّل مائة مصطلح جديد في كل يوم » كما جاء في تقرير لليونسكو ، وكانت مجلة المكتب (اللسان العربي) تحمل في أعدادها إلى القراء في أقطار العالم العربي نماذج

(١) – انظر معجم المصطلحات الأدب : التمهيد ، ص : XIII

من تلك المعاجم وهي في دور الجمع والتحضير والإعداد ، وتسأل مُوافاة المكتب بآراء العلماء والمختصين فيها.

غير أننا نلاحظ أن مكتب تنسيق التعريب لم ينشط إلى تخصيص معجم للمصطلحات الدبلوماسية والدولية ، فظل العمل في هذا الحقل مقصوراً على أفراد من العلماء العاملين فيه ، وكلُّهم من السوريّين ، من ذوي الاختصاص في هذا المجال ، وهذا عرض سريع موجز لثمرة جهودهم :

١ - المصطلحات الدبلوماسية في الإنكليزية والعربية : للدكتور مأمون الحموي ، وهو معجمٌ صغير لا تتجاوز صفحاته الستين ، صدر في دمشق في عام ١٩٤٩ ، ويُعدُّ المحاولة الأولى لتصنيف معجم للمصطلحات الدبلوماسية ، والمصنِّف رائد في هذا المجال ، وله أيضاً كتاب رائد في الدبلوماسية ، صدر في دمشق قبل صدور معجمه بسنتين[٢] ، لِيُلبّي حاجة السلك الدبلوماسي في سورية ، في السنوات الأولى من تكوينه ، بعد حصول هذا القطر العربي على استقلاله وجلاءِ المُحتل عن أرضه .

٢ - معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية (انكليزي - فرنسي - عربي) للدكتور سموحي فوق العادة ، وهو معجم شاملٌ وافٍ صدر في عام ١٩٧٤ بعد رُبع قرن من صدور معجم الدكتور الحموي ، ليكون حلقة من حلقات سلسلة المعاجم الاختصاصية الصادرة باللغات الثلاث عن مكتبة لبنان ، التي نوّهنا بها قبل قليل ، ومصنِّف هذا المعجم ذو باع طويل في حقل الدبلوماسية تأليفاً ومُمارسة ، وكان قد ذيَّل بعض كتبه منذ عام ١٩٤٧ بترجمة بعض المفردات والمصطلحات الدبلوماسية باللغات الثلاث ، إلى أن تمَّ له تصنيف معجمه الذي جمع فيه - أو نثر فيه - خلاصة دراساته وتجارب حياته المسلكية في الدبلوماسية والمراسم ، على مدى خمسة وعشرين

(٢) - انظر كتاب الدبلوماسية للدكتور مأمون الحموي - المطبعة الأهلية بدمشق : ١٩٤٧ .

عاماً ، وحُقَّ له أن يفخر في مقدمة معجمه بأنّ « هذا المعجم هو المؤلّف الأول من نوعه في اللغة العربية » ولا نحسب أن في هذا القول مباهاةً بغير الحق ، فالمقارنة بين معجم الحموي الصغير وهذا المعجم الكبير الجامع تظهر المدى الواسع بينهما ، فقد خطا التصنيف المعجمي في مجال الدبلوماسية والشؤون الدولية خلال ربع القرن خطواتٍ فِساحاً ، تجعل من معجم الدكتور سموحي عملاً جليلاً مستوفياً يستحق صاحبه بالغ التقدير والتنويه .

٣ – ونصل هنا إلى الخطوة التالية (المرحلة الثالثة) في تطوير التصنيف في (المعجم الدبلوماسي) وقد نهض بها واحدٌ من قُدامى العاملين في الدبلوماسية السورية بصدور معجمه الموسوعي الوثائقي حديثاً عن دار طلاس بدمشق ، فأضاف به إلى جهود من سبقوه لبنةً في بناء صرح المؤلفات السياسية والقانونية والدولية وترجمة المصطلحات والمفردات الدبلوماسية والدولية . وهي إضافة متميزةٌ وملحوظةٌ ، تُقدّمها تلك الشروح الضافية لما يُقارب الأربعمائة من المصطلحات ، وتَدْعمها تلك الشواهد من النماذج عن المذكرات والمفكرات والمواثيق لعددٍ وافر من المفردات والمصطلحات ، فالمعجم الجديد بطابعه الموسوعي والوثائقي قفزة موفقةٌ ومحمودة لتطوير التصنيف في المعجم الدبلوماسي العربي ، ويرى فيها صاحبها محاولة أولى يرجو أن يوفّق في المستقبل القريب إلى إغنائها ، ليجعل من تلك الشروح « نواة لموسوعةٍ دبلوماسية ودولية عربية شاملة » وإذا تمّ له ذلك بعونٍ من الله وتوفيقٍ منه تحقّق على يديه أملٌ كبيرٌ « طالما تاقت المكتبة العربية والاختصاصية إلى تحقيقه » كما يقول المصنف في تمهيده لمعجمه الموسوعي والوثائقي المختصر[٣] .

والدكتور زكريا السباهي مصنّف هذا المعجم الجديد مؤهّل خير تأهيل لإعداد معجمه والشروح الضافية والمعمّقة التي تضمّنها : فهو ذو ثقافة

(٣) – المعجم الموسوعي : ص ١٦ .

حقوقيـة متمكّنة ، بدأت قبل أربعين عاماً في دراسـاته الجامعية والعليا في دمشق وباريس ، وتكفّلت له مطالعاته الدائبة باللغات الثلاث التي يُحسنها (العربية والفرنسية والانكليزية) بأن يكتنز معرفةً ونُضجاً مع تقدّم العمر ، وهو رجل دبلوماسي له خبرة كبيرة في الدبلوماسية والمؤسسات الدولية ، في عددٍ من العواصم الأجنبية ، وأتاح له عمله أن يُشارك في المؤتمرات واللجان والوكالات الدولية المتخصصـة ، فاتّسع أفق معارفه الاختصـاصية وخبرته المسـلكية والعملية ، وتهيّأ له بعد إحالته إلى التقاعد أن يأوي إلى مكتبته الغنية ، ويتفرّغ لانجاز معجمه ، فأتمّه في خمس سنواتٍ من العمل الصامت الدؤوب المتواصـل : يجمع المفردات والمصطلحات ، ويراجع الموسوعات المختلفـة والمصـادر والوثائق والاتفاقيات الدولية الصـادرة عن منظمة الأمم المتحدة والوكالات التـابعـة لها ، لِيُضفي على شـروحه لتلك المصطلحات طابعها الموسوعي المدعوم بالإحصاءات الدقيقة والتواريخ الموثّقة ، وليتمكّن بذلك من أن « يُغني مكتبتنـا العربيـة ، ويسـدّ فراغاً طالما احتـاج إليـه الدبلوماسيون والدارسون والأساتذة والصحفيون ، وكلٌّ من أراد أن يقرأ أو يُطـالع أو يُحـاضر في موضـوعٍ له مسـاسٌ بالعلاقات الدولية ، وبالحياة السياسية والدبلوماسية » كما يقول الأستاذ عبد الله فكري الخاني في تقديمه هذا المعجـم إلى القرّاء[٤] ، وكما يشهد شـاهدٌ آخر هو الدكتور شـاكر مصطفى في رسـالته إلى المصنّف بأنّ معجمه « عملٌ مثمر ، عملٌ باقٍ للأجيال الدبلوماسية المقبلة ، لا في سورية ، ولكن في الوطن العربي كله ، فالحاجة إليه قائمة بكل مكان »[٥] .

ولهاتين الشهـادتين من عَلَمـين ، لكـل منهمـا خبرته الواسعة وعمله الطويل والمتميّز في السلك الدبلوماسي ، ومكانته العلمية والأدبية المعروفة ،

(٤) ــ المعجم الموسوعي : ص ١٢ .

(٥) ــ المعجم الموسوعي : ص ٨ .

قيمةٌ خالصة لا يشوبها ميلٌ إلى مجاملةٍ ، ولا يعدل بها عن صريح الحقِّ هوىً ، فهذا المعجم الموسوعي المختصر الفريد عملٌ بالغ الأهمية ، وخدمةٌ للعربية جليلة وثمينة ، ويحق لصاحبه أن يفخر به ، ولئن كان تواضع العالم يدفعه إلى تذكير القرّاء بكلمة للدكتور جنسن ، يضعها في مقدمة المعجم[٦] ، ويقول فيها : « يتوق كُلُّ من يؤلّف كتاباً إلى المديح ، أمّا من يُصنّف معجماً فحسبه أن ينجو من اللوم !» إنّه لحقٌّ أن مصنّف هذا المعجم المختصر المفيد جدير بالثناء الوافي على حُسن صنيعه ، وهو ثناء خالص لا تخالطه مؤاخذةٌ ولا يشوبه لومٌ ، وأمّا ما نُبديه بعد ذلك من ملاحظات نقدية ، وما قد نذكره فيها من هناتٍ ، فليس ما نفعل من قبيل المؤاخذة أو اللوم للمصنف أو الحطّ من قيمة عمله ومجهوده ، ولنذكر أن الكمال لله وحده ، وقديماً قالوا : « لاتعدم الحسناءُ ذاما » فلعلّ المصنّف في حرصه على تنقية معجمه من تلك الهنات الطفيفة يعمد إلى تلافيها وتدارك ما يرى أن يتداركه منها في طبعة ثانية قادمة .

وبودّنا ألا نُطيل في سرد تلك الملاحظات وسنحاول إيجازها في نقاط معدودة تتصل بمنهج المعجم وتصميم نظامه وترتيب فهارسه ومضمون شروح مفرداته ولغة المصنِّف وأسلوبه فيها :

١ ــ منهج هذا المعجم الموسوعي محدّد بتقديم المفردات والمصطلحات الدبلوماسية والسياسية والدولية بالإنكليزية أولاً ، ثم بالفرنسية ، لأهمية هاتين اللغتين في المجتمع الدولي ، ثم بالترجمة العربية عنهما معاً ، وقد التزم المصنف بمنهجه هذا فلم يشذَّ عنه إلاّ مرةً واحدةً عمد فيها إلى تخصيص مادة مفردة لعَلَم من الأعلام ، وهو السيد خافير بيريز دي كويلار ، الأمين العام الحالي للأمم المتحدة ، وكان على المصنف ألا يفعل ، وأن يقصر موادَّ معجمه على المفردات والمصطلحات ، والأعلامُ الشخصية ليست منها ،

(٦) ــ المعجم الموسوعي : ص٩ .

وكان بوسعه أن ينقل ما ذكره في شرح هذه المادة المستقلة (ص : ١٠٣) إلى مادة (السكرتير العام للأمم المتحدة) (ص : ٢٧٣) التي لم يأت بشرح لها ، ليستقيم له منهجه العام الذي يقوم عليه هيكل معجمه كله .

٢ - في تصميم المصنف لنظام معجمه كان عليه أن يعمد إلى ترقيم المفردات والمصطلحات المشروحة ، وهي قرابة الأربعمائة ، بأرقام صغيرة خاصة متسلسلة ، ليوفّر على نفسه وعلى ناشري معجمه وعلى قراء كتابه بذل المزيد من الجهد والوقت المهدور ، ذلك أن الإحالات تكثر في المعجم في المواد المشروحة على مواد أخرى فيه ، لصلتها بها ، وتلك وسيلة لا غنى عنها للربط بين المفردات والمصطلحات ، وعدم التكرار في إيراد الجوانب المشتركة في شروحها ، وتطول أحياناً تلك الإحالات الموضوعة بين قوسين ، ومثالٌ لها هذه الإحالة الواردة في (ص : ٩٠) :

(راجع أيضاً عبارة معاهدة التسوية النهائية للحرب الثانية :

Second World War Final Settlement Treaty

بسبب صلتها بالموضوع) .

ولو كانت المفردات والمصطلحات المشروحة مرقّمة ، وكان رقم معاهدة التسوية : ١١٠ مثلاً ، لاستغنى المصنف عن إيراد الأسطر الثلاثة بقوله : (راجع : ١١٠) فوفّر بذلك ويَسَّر ؛ وقد يقع اضطراب في بعض تلك الإحالات (كما في الصفحة : ١٠٢) :

(انظر الشرح المتعلّق بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان :

(International Decloration of Human Rights

فإذا بحث القارئ عن المصطلح الإنكليزي في باب الحرف (I) لم يجد ما يطلبه ، لأن الإحالة لم تكن دقيقة ، فالمصطلح الإنكليزي لذلك الإعلان العالمي هو : (Universal Declaration ...)

والبحث عنه يتم في باب الحرف (U) في (ص : ٣٠٨) وكان ترقيم

المصطلحات المشروحة يُيسّر للقارئ الاهتداء إلى مواطن الإحالات من أقرب الطرق وأقصرها !

٣ – والمعجم الموسوعي يكتفي بتقديم فهرس يتيم واحد للمفردات والمصطلحات العربية المشروحة ، وقد أغنانا منهج الكتاب القائم على ترتيب المفردات والمصطلحات الإنكليزية أولاً فيه على أساسٍ ألفبائي عن الحاجة إلى تخصيص فهرس لها ، ولكن الحاجة إلى فهرس للمفردات والمصطلحات الفرنسية تظل قائمة ، ليصحّ قول المصنف (ص : ١٦) : « كما يمكن للقارئ الفرنسي أن يُطلّ من خلال المعجم على معاني اللغتين العربية والإنكليزية » وفي غياب هذا الفهرس لا يقع القارئ الفرنسي على ما يريد إلا بقراءة المعجم الموسوعي كله ! ويظل المعجم الموسوعي بحاجة إلى الفهارس الكشافة التي تيسّر على مطالعيه الاهتداء إلى ما يريدون والعثور على ما ينشدون ، ولعلّ الطبعة القادمة للمعجم تضم فهارس للأعلام (الشخصيات والبلدان و ..) وللمؤلفات والكتب والمطبوعات ، ويُحسن المصنّف صنعاً بإعادة النظر في ترتيب المفردات ومراعاة التسلسل الألفبائي لأحرف المصطلح كلها ، فلا يقتصر على الحرف الأول وحده ولا على الكلمة الأولى[٧] وحدها ، والاضطرابُ في الترتيب الألفبائي للفهرس الوحيد للمفردات والمصطلحات العربية المشروحة شاملٌ وينبغي تصحيحه[٨] ، وفي المعجم مفردات مشروحة سها الفهرس العربي عن ذكرها[٩] . إلخ .. وتلك أمور يسهل تداركها في طبعة قادمة .

٤ – والمضمون في شروح المفردات والمصطلحات مستمدٌ من المصادر

(٧) – انظر مثال ذلك في ترتيب المصطلحات الإنكليزية : ص٢٠٣ .

(٨) – (المغاوير) في الفهرس في باب الألف (!) . ونقع على أربع مفردات تبدأ كلها بكلمة (معاهدة ..) في مواطن متفرقة (ص : ٣٦٤ – ٣٦٥) .

(٩) – من أمثال (شرح الابقاء على الوضع الراهن) ص : ٧٤ (وشرط الاحتكام) ص : ٨٧ إلخ .

الغربية وذلك ما تقتضيه طبيعة موضوعاتها ، ولكننا نقع الحين والحين على أثر للتراث العربي والإسلامي فيها : كالحديث عن جذور الاشتراكية في الإسلام (ص : ٢٨٠) والحديث عن السياسة والمؤلفات العربية فيها (ص : ٢٣٨) والحديث عن المخطوطات العربية في الأندلس (ص : ٣١٩) والحديث عن السفارات والبعثات الإسلامية إلى البلدان الأجنبية (ص : ٣٢) والحديث عن التقاليد الدبلوماسية الإسلامية في مصر والمغرب (ص : ١١٧) إلخ ..

ولنا أن نأمل من المصنّف أن يعمل على إغناء الأثر التراثي في شروح المفردات في موسوعته الدبلوماسية والدولية العربية الشاملة المنتظرة ، ويستفيد فيها من كتب التراث الكثيرة المؤلفة في السياسة والأحكام السلطانية والرسوم الخلافية ، وأهمها أو أهمّ ما طُبع منها :

أ – التاج في أخلاق الملوك : للجاحظ (أو المنسوب إليه) .
ب – الأحكام السلطانية : للماوردي .
ج – رسوم دار الخلافة : لهلال الصابئ .
د – سراج الملوك : للطرطوشي .
هـ – رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة : لابن الفراء .
و – سلوك المالك في تدبير الممالك : لابن أبي الربيع .
ز – المنهج المسلوك في سياسة الملوك : للشيخ عبد الرحمن بن نصر .
ح – كتاب في السياسة : للوزير المغربي .
ط – واسطة السلوك في سياسة الملوك : لابن زيان العبدوادي إلخ ..

وسيقع في الكتب التراثية الموسوعية على كثير مما يهم موضوعاته وشروحه من أمثال : كتاب الأغاني – ورسائل إخوان الصفا – ومقدمة ابن خلدون – وصبح الأعشى للقلقشندي إلخ .. كما سيجد في كتاب المستشرق آدم متز عن (الحضارة الإسلامية في القرن الهجري الرابع)

ما يفيد موضوعاته ، وبذلك يوّفى التراث حقه في الموسوعة الشاملة الموعودة !

أما المعجم الموسوعي المختصر فحظ التراث فيه ليس بذاك : ففي شرحه لمصطلح (سفير متجول) ص : ٣٦ – ٣٧ لا نجد إشارة إلى الرحلات السفارية الإسلامية في المشرق والمغرب ، مثل (رحلة ابن فضلان) ، و(رحلة محمد بن عثمان المكناسي) ، وهما مطبوعتان في دمشق والمغرب[١٠] ، وفي شرحه لمصطلح (المراسم) ص : ٢٨٤ لا نجد إشارة إلى (رسوم دار الخلافة) أو إلى (كتاب التاج) وهما مطبوعان في بغداد والقاهرة[١١] ،

ولعلّ الموسوعة الشاملة المنتظرة تنهض بما لم تستطع الموسوعة المختصرة أن تنهض به .

٥ – عند نظرتنا إلى لغة المصنف وأسلوبه في صياغة شروحه للمفردات والمصطلحات تطالعنا تلك العفوية التي تتدفق تدفقاً سهلاً في التعبير والتي تؤثر الرصانة والمنطق والوضوح واللفظ المتداول المشهور ، ولا تحسب لتكلّف الجزالة ، أو لتحرّي السلامة اللغوية أحياناً ، حساباً ، والمصنفُ يعترف في تمهيده للمعجم بأنه من أنصار المقولة السائدة في التعامل الدبلوماسي والتخاطب الدولي التي تقول « إنّ الخطأ المشهور خيرٌ من الصحيح المهجور » (ص : ١٥) والحق أنه يقول هذا في صدد إبقائه على ترجمة مشهورة لبعض المصطلحات « مغايرة بعض الشيء للترجمة الصحيحة » ولكن قوله هنا ينطبق على أخذه بتلك المقولة في أسلوبه ، مثل

---

(١٠) – رحلة ابن فضلان بتحقيق الدكتور سامي الدهان (مطبوعات المجمع) ، والاكسير في فكاك الأسير تحقيق الأستاذ محمد الفاسي (المغرب : ١٩٦٥) .

(١١) – رسوم دار الخلافة للصابئ تحقيق الأستاذ ميخائيل عواد (بغداد : ١٩٦٤) ، والتاج في أخلاق الملوك للجاحظ تحقيق أحمد زكي (باشا) (القاهرة : ١٩١٤) .

استعماله بعض المفردات العربية بمعانٍ خاطئة ، ولكنها مشهورة ومتداولة ، فالكفاءة هي الكفاية عنده حيثما وردت في المعجم[١٢] وإن أصرت الفصحى على أنها لا تعني إلا التساوي والتماثل ، والفعل (تواجد) للوجود عنده وليس لإظهار الوجد[١٣] ، والفعل (صَدَف) لمعنى صادف[١٤] وإن تكن الفصحى تجعله بمعنى أعرض وانصرف إلخ ..

وهذا الإيثار للخطأ المشهور ظاهرة عمّت في أساليب الكتّاب ، وغدت في نظر كثير منهم لا تستحق أن يقف النقد عندها ؛ فلندعها إذاً لنقف عند بعض الأخطاء النحوية واللغوية التي سها القلم عن تصحيحها ، ولعلّ بعضها من قبيل التطبيعات التي لا يخلو كتابٌ مطبوع من أمثالها ، وسنكتفي بإيراد نماذج منها ، يُغني ذكرها عن غيرها :

فمن السهو في تخطي القواعد النحوية :

أ ـ من معاني .. وأماني : معانٍ وأمانٍ (ص : ١١)

ب ـ بذلاها صديقاي : بذلها صديقاي (ص : ١٦)

ج ـ ويُسمّون مندوبون متعقبون : مندوبين .. (ص : ٦٨)

د ـ أعطوا معانٍ : معانيَ (ص : ٧٤)

هـ ـ قد يكونوا : يكونون (ص : ٢٥١)

إلخ ...

ومن السهو في صحة كتابة العدد والمعدود :

أ ـ كلمات ثلاثة : ثلاث (ص : ٥٩)

---

(١٢) ـ انظر الصفحات : ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٩٨ ـ ١٠٣ ـ ١٢٨ ـ ١٤٤ ـ ٢٧٦ ـ ٢٩٣ .

(١٣) ـ انظر الصفحات : ٦٧ ـ ٧٢ ـ ١٠٥ ـ ١١١ ـ ٢١٥ ـ ٢٣٩ ـ ٢٦١ ـ ٢٨٧ ـ ٢٩٣ ـ ٣١١ .

(١٤) ـ انظر الصفحات : ٢٤ ـ ٦٣ ـ ٧٠ ـ ١٠٥ ـ ١١٣ إلخ ...

ب ـ الأعوام العشر : العشرة (ص : ١٩٣)
ج ـ على أحد الروابي : على إحدى.. (ص : ٢٣٩)
د ـ الرمح الواحدة : الواحد (ص : ٢٧٩)
هـ ـ ثلاث طوابق : ثلاثة (ص : ٣٢٨)
إلخ ...

ومن السهو في استعمال حرف الجر المناسب :
أ ـ عطفاً عن الاتفاقية : على (ص : ٥٩)
ب ـ المساعدة لانتشار : على انتشار (ص : ٦٠)
ج ـ ناهز على الأربعين : ناهز الأربعين (ص : ٨٤)
د ـ أكّد على الشيء : أكّد الشيء (ص : ٨٩)
هـ ـ تعاون السلطات بعضها ببعض : مع بعض (ص : ١٠٥)
إلخ ...

وهذه أمثلة للأخطاء اللغوية الأخرى :
أ ـ وكانت عضوة في مجلس الكونغرس : عضواً (ص : ٧٢)
(فالعضو اسم مذكر يستعمل على سبيل الاستعارة ، وليس صفةً ، فلا يصح تأنيثه !)
ب ـ إملاء الشواغر : ملء الشواغر (ص: ٧٢-٨٨-١٠٣-١٢٨- ٢٣٧) (من الفعل الثلاثي : ملأ)
ج ـ ولربّانيها : لربابنتها أو لربابينها (ص : ٩٣)
(لأنها جمع رُبّان وهو قائد السفينة)
د ـ الأفعال المُشينة : الشائنة (ص : ١٠٥)
(من الفعل الثلاثي : شان)
هـ ـ دمج كلا المؤسستين : كلتا (ص : ١٤٧)
(لتأنيث المؤسسة)

و – وكلما ازداد.. كلما تعبَّد : تعبّد (ص : ١٧٤)
(كلما لا تتكرّر ، فيجب حذف الثانية)

ز – والسوّاح : والسُيّاح (ص : ٣٠٥)
(من الفعل ساح يسيح (لايسوح)

وأمثلة لبعض الأخطاء الإملائية :

أ – رُؤى : رُئِيَ (ص: ٧٩–١٩٣–٣١٥)

ب – زاد عنه (دافع) : ذاد (ص : ١٠٤)

ونقع الحين والحين على ركاكة في صياغة بعض الجمل التي تتكرّر غير ما مرة ، من أمثال : (الأمر الذي .. كما وتشارك .. كما وأنّ .. فيما إذا كان إلخ ...) كما نقع على بعض الجمل المضطربة لطولها أو لنقص كلمة ساقطة منها (كما في الصفحات : ٨٨ – ٢١٠ – ٢٣٨ إلخ ...) .

وهذه الهنات وأمثالها يمكن تلافيها بيسر وسهولة في طبعة للمعجم قادمة .

ومن الإنصاف في خاتمة هذه الجولة النقدية في صفحات هذا المعجم الفريد النفيس أن نُقرَّ بأن تلك الهنات كلها لا تحط من قيمة هذا الأثر الجليل الذي استفرغ فيه الدكتور السباهي غاية مجهوده ، بسخاء متواصل ، فظل يلاحق آخر المعلومات ، والمعجم في المطبعة ، ليضيف إلى شروحه ما يطرأ على الأحداث الدولية من تطورات ، فنقرأ في (ص : ١٩٢) مثلاً : « علم المؤلف والمعجم على الطابع أن لجنة عربية مشتركة إلخ .. » ونجد في آخر المعجم ملحقاً (الملحق الثامن) تمّ ضمه إلى المعجم بعد الانتهاء من طبعه ، فظلت صفحاته الخمس لذلك من غير ترقيم ، وقد لخص المصنف فيه آخر ما انتهت إليه أزمة الخليج مع مجموعة الوثائق والقرارات الدولية والبيانات العربية والإسلامية الصادرة بشأنها ، وقد التزم

المصنف في شروحه للمذاهب والاتجاهات المختلفة الموضوعية الكاملة بنزاهة مفكّر حُرّ وعدالة مؤرّخ منصف ، ودلّل في تعريبه للمصطلحات على ذوق أدبي وحسٍّ نقدي نام لديه ، ولهذا كله يطيب لنا أن نُنوّه بفضل صاحب هذا المعجم الموسوعي القيّم ، وأن ندعو الله أن يمدّ في حياته ويُعينه على إنجاز تلك الموسوعة الشاملة لمصطلحات الدبلوماسية والشؤون السياسية والعلاقات الدولية التي وعد بتصنيفها ، وإذا تمّ له ما يأمله منها يكون قد قدّم للعربية خدمة ، وحقق بذلك لنفسه المجد والخلود .

المستدرك على شعر أبي هلال العسكري

الدكتور حاتم صالح الضامن

أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، الذي كان حيّاً سنة ٣٩٥هـ ، من الأعلام المشهورين ، والمؤلفين الأثبات ، له مؤلفات كثيرة نشر منها نحو تسعة كتب ، وله مؤلفات أخرى ما زالت مخطوطة(*) .

وكان أبو هلال شاعراً ، له ديوان شعر لم يصل إلينا . وقد تصدّى لجمع شعره ، المنثور في مؤلفاته أولاً ، وفي الكتب الأخرى ثانياً ، الدكتور محسن غياض ، وطبعه ببيروت سنة ١٩٧٥ تحت عنوان : (شعر أبي هلال العسكري) ، ووقع الكتاب في ٢٢٤ صفحة ، اعتمد المؤلف في جمعه على ثمانية وأربعين مصدراً .

وبلغ مجموع ما جمعه الدكتور محسن غياض ١٥٧٨ بيتاً .

وفي عام ١٩٧٩ صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق كتاب بعنوان (ديوان العسكري) ، جمعه وحققه الدكتور جورج قنازع ، وقد وافاني به مشكوراً أخي الأستاذ عبد الإله نبهان .

وقد جاء الديوان في ٢٥٦ صفحة ، اعتمد فيه المؤلف على ستة وأربعين مصدراً وضم الديوان زهاء ١٦٠٠ بيت .

(*) ينظر عن حياته ومؤلفاته :
أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : لبدوي طبانة .
أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : لعلي كاظم مشري .

ومن اللافت للنظر حقّاً أنّ هذه الطبعة أغفلت نشرة الدكتور محسن غياض إغفالاً تاماً ، على رغم أنّها صدرت قبلها بخمس سنوات ، ورغم اشتراكهما في جمع أكثر شعر العسكري ، والمصادر هي هي تقريباً في النشرتين .

وقد عوّدنا مجمع اللغة العربية بدمشق على الإشارة إلى كلّ ما طُبع سابقاً في أول الكتاب كما حدث في شعر ابن ميادة ، إلا اننا لم نقف على شيء من ذلك في ديوان العسكري .

وعند مقابلتي لديوان العسكري للدكتور جورج قنازع بشعر أبي هلال العسكري للدكتور محسن غياض تبيّن لي أنّ سبعة وأربعين بيتاً وقف عليها الدكتور قنازع من مؤلفات العسكري المخطوطة أخلّت بها طبعة الدكتور محسن غياض ، وهذه الأبيات موزعة على الوجه الآتي :

قافية الهمزة : بيتان .

قافية الباء : أربعة أبيات

قافية الدال : بيتان .

قافية الراء : بيتان .

قافية السين : خمسة أبيات .

قافية الظاء : ثلاثة أبيات .

قافية العين : بيتان .

قافية القاف : خمسة أبيات .

قافية الكاف : خمسة أبيات .

قافية اللام : ستة أبيات .

قافية الميم : خمسة أبيات .

قافية النون : ستة أبيات .

وبالمقابل فقد أَخَلّت طبعة دمشق بنحو خمسة وعشرين بيتاً جاءت في مؤلفات العسكري ، ولكنّها فاتت المؤلف ، وهي موجودة في طبعة بيروت .

إنّ الباحثين الكريمين بذلا جهداً كبيراً يُشكران عليه ، ومع ما بذلاه من جهد في تتبع أشعار العسكري فقد فاتتهم أبيات كثيرة وقفتُ عليها في مخطوطة (الدر الفريد وبيت القصيد) لمحمد بن ايدمر المتوفّى سنة ٧١٠هـ .

ومجموع الأبيات المستدركة على نَشْرَتَي ديوانه بلغت ستة وتسعين بيتاً موزعة على الوجه الآتي :

قافية الباء : عشرة أبيات .

قافية الجيم : بيتان .

قافية الحاء : بيتان .

قافية الدال : بيتان .

قافية الراء : خمسة عشر بيتاً .

قافية الضاد : أربعة أبيات .

قافية الطاء : بيتان .

قافية اللام : عشرة أبيات .

قافية الميم : أربعة وثلاثون بيتاً .

قافية الألف اللينة : خمسة عشر بيتاً .

وبعد فأرجو أنْ يكون عملي هذا نافعاً عند إعادة طبع شعر أبي هلال العسكري ، وأزجي تحياتي إلى الباحثين الكريمين الدكتور محسن غياض والدكتور جورج قنازع والحمد لله أوّلاً وآخِرًا ، إنّه نِعْمَ المولى ونعم النصير .

قافية الباء

(١)

١ ـ نـاسٌ وإنْ عـامَـلْتَهُـمْ فذِئابُ وإذا طَـلَبْتَ نـوالَهُمْ فكِـلابُ
٢ ـ وإذا اعتَبَرْتَ عقولَهُـمْ أَلْفَيْتَهُمْ بَقَـراً ولكـنْ مـا لها أَذْنـابُ

(الدر الفريد ٥/١٦٠)

(٢)

١ ـ ومَنْ يضـلبْ مسـاءَةَ عائِبيـهِ فلا يَسْلُكْ مسالكَ مَنْ يُعابُ

(الدر الفريد ٥/٣٣٧)

(٣)

١ ـ أَلَمْ تسـمعْ مقـالَتَهُـمْ قديماً «سيبقى الودُّ ما بَقِيَ العتابُ»

(الدر الفريد ٢/٢٣٨)

(٤)

١ ـ أراكَ مـا تـوخى نُصْحَهـا أبداً إذْ قـد تُـرَغِّبُـهـا فيما يُرَهِّبُهـا

(الدر الفريد ٢/١٠١)

وهو مع ثلاثة أبيات جاءت في شعره المجموع : بيروت ص٦٣ ، دمشق ص٦٠ ـ ٦١ . والبيت في أعلاه هو الثاني من الأبيات الأربعة .

(٥)

١ ـ وإذا اعتَبَـرْتَ عقـولَهُـمْ أَلْفَيْتَهُـم بَقَـراً بـلا أَذْنـابِ[1]

(الدر الفريد ٥/٢٠١)

(١) [هكذا جاء البيت في مخطوطة الدر الفريد ، وهو مختل الوزن . وانظر البيت الثاني من القطعة رقم (١) السابقة المخلة] .

(٦)

١ ـ تَعَلَّمْ ما جَهِلْتَ تَعِشْ حميداً وقَيِّدْ ما تَعَلَّمُ بالكتابِ
٢ ـ وزِدْ في شَكْلِ ما قَيَّدْتَ منه وإلاّ نَدَّ عن عقلِ الصوابِ

(الدر الفريد ٣/١٥١)

(٧)

١ ـ عَصَيْتموني حينَ طاوعتُكُم والذَّنْبُ في عصيانِكُمْ ذنبي
٢ ـ داويتكُمْ حيناً فأَبْطَرْتكمْ وليس للعَيْرِ سوى الضَّرْبِ
٣ ـ أقْسِمُ لا داريتُكُمْ بَعْدَها لكنْ أُداري دونَكُمْ قلبي

(الدر الفريد ٤/٨١)

جاء البيت الثاني فقط في مجموعي شعره : بيروت ٧١ ، دمشق ٧٧ .

قافية الجيم

(٨)

١ ـ تَصَبَّرْ فما المكروهُ ضَرْبَة لازِبٍ ستنكشفُ البلوى ويَتَّسِعُ الحَرَجْ
٢ ـ ولا تشكونَّ اليومَ قبلَ انقضائِهِ فمِنْ ساعةٍ منه إلى ساعةٍ فَرَجْ

(الدر الفريد ٣/١٣٩)

قافية الحاء

(٩)

١ ـ أَخُو الإعدامِ لا حَيٌّ يُرَجَّى ولا مَيْتٌ يُـرِيحُ ويَسْتَرِيحُ
٢ ـ أرى الخيراتِ في الدنيا كثيراً ومنها في يدِ الفُقَراءِ رِيحُ

(الدر الفريد ١/٢٥٨)

قافية الدال

(١٠)

١ – إذا خالفَ القولُ الفِعالَ فإنَّهُ لَعمري هباءٌ لا يُفيدُ ولا يُجدِي
٢ – فلا مَرْحَباً بالخِلِّ يُبْدِي ليَ الهوى وأفعالُهُ تُومي إلى غيرِ ما يُبدِي

(الدر الفريد ٣١٧/١)

قافية الراء

(١١)

١ – قالوا صَبَرْتَ وما صَبَرْتُ جلادةً لكِنْ لِقِلَّةِ حِيلتي أَتَصَبَّرُ
٢ – لا تَنْهَني عنهم فتُغرِيَني بهم فلرُبَّما يَنْهى العذولُ فيامُرُ
٣ – أنا عبدُ مَنْ أهوى ومملوكُ الهوى ولوَ انّني سابورُ أوإسكَنْدَرُ
٤ – ليسَ التكبّرُ شيمةً لأخي الهوى ومن العجائبِ عاشقٌ مُتَكَبِّرُ

(الدر الفريد ٢٩٤/٤ و١٧/٥ ، الثالث فقط في ٢٨٤/٢)

(١٢)

١ – هذِهِ دَوْلَةٌ تدولُ لأشـرا رِ وتَنْبُو عن خِيرَةٍ أَبْرارِ
٢ – وزمانٌ فَقَدْتُهُ من زمانٍ قد طوى خيرَه عن الأخيارِ
٣ – يا لئيمَ النّجار عِشْ في نَعيمٍ ودَعِ البؤْسَ للكريمِ النّجارِ
٤ – عِشْ كما شِئْتَ فالزمانُ حمارٌ ليسَ يصفو إلا لكلِّ حمارِ

(الدر الفريد ٣٦٥/٥ ، الثالث فقط في ٤٧٠/٥٠ ، الرابع فقط في ٨٠/٤)

(١٣)

١ – لا تقطعِ البِرَّ إنَّ قَطْعَكَهُ يقطعُ ما تستحقُّ مِن شُكْرِ
٢ – مَنْ صنعَ البِرَّ ثم تَبَّرَهُ عَرَّضَهُ للجحودِ والكُفْرِ

٣ ـ والعُـرْفُ إنْ لم تكنْ تُتَمِّمُـهُ   صـارَ قريبَ المعنى من النُّكْرِ

(الدر الفـريد ٥/٤٢٤ ، الثـاني فقط في ٥/١٣٤ ، الثـالث فقط في ٢٢١/٢)

(١٤)

١ ـ قـد رُفِعَتْ أَلوِيـةُ الغَـدْرِ   وسُـدَّ بابُ الفَضْـلِ والشكْرِ

٢ ـ وآيـةُ الإحسـانِ منسـوخَـةٌ   قدْ أُسْقِطَتْ من صُحُفِ الدَّهْرِ

٣ ـ لا تَطْـلُبِ الخَيْـرَ ولا تَرْجُهُ   فـإنّ هـذي دولةُ الشَّـرِّ

٤ ـ سَـمِعْتُ بـالحُرِّ ولم أَلْقَـهُ   يـا طولَ أَشـواقي إلى الحُرِّ

(الدر الفريد ٣/٣٦٦ و٥/٤١٧)

قافية الضاد

(١٥)

١ ـ أَلاَ ليس في الإعـدامِ عـارٌ عـلى الفـتى
ولكِنْ أَشَـدُّ العـارِ في دَنَسِ العِرْضِ

٢ ـ ومـا طُولُ عُمْـرِي أنْ يطـولَ به المدى
ولكـنَّـهُ طـولُ المَسَـرَّةِ والخَفْـضِ

٣ ـ ومـا المَـيْتُ إلاّ كلّ من مـاتَ ذِكْرُهُ
وماتَ عن الإسعافِ بالقَرْضِ والفَرْضِ

٤ ـ يُفَـرِّحُـني مَـرُّ الزمـانِ وكُلّمـا
مضى بعـضُ أيامِ الزمـانِ مضى بَعْضي

(الدر الفريد ٣/٣٥)

قافية الطاء

(١٦)

١ ـ أَهُزُّكُم بـأشـعـاري وأَنْتُـم   جَمَـادٌ لا تهزُّكُمُ السِيـاطُ

٢ – تَغَيَّرَ حُسْنُ وَجْهِكُمُ لشعري كأنَّ الشِّعْرَ عندَكُمُ ضُراطُ

(الدر الفريد ١٦/٣ ، الثاني فقط في ١٥٥/٣)

قافية اللام

(١٧)

قال من قصيدة يمدح بها عزّ المفاخر ذا المعالي :

١ – سرورٌ يقيمُ ولا يرحلُ ونعماءُ آخرُها أوَّلُ

٢ – ويُمْنٌ يدومُ ولا ينقضي وسعدٌ يلوحُ ولا يأفلُ

٣ – فَضَلْتَ وأَفْضَلْتَ سَوْمَ السحابِ
وخيرُ الورى الفاضِلُ المُفْضِلُ

٤ – وجُودُ الكريمِ له جُنَّةٌ وعَقْلُ اللبيبِ له مَعْقِلُ

٥ – وليس لذي المالِ من مالِهِ سوى ما يُنيلُ وما يأكلُ

٦ – وما المالُ مالٌ لَمَنْ يقتني ولكنَّهُ مالُ من يبذلُ

٧ – وبالجِدِّ يُدفَعُ ما يُتَّقى وبالجِدِّ يُدْرَكُ ما يُؤْمَلُ

٨ – ولم يزلِ الفقْرُ مُسْتَصْحِباً لِمَنْ يَتوانَى ومَنْ يكسَلُ

٩ – إذا الناسُ كانوا بني واحدٍ فأَجْمَلُهُمْ أثراً أفْضَلُ

(الدر الفريد ٢٩١/١ ، الأبيات ٥ – ٩ في ٣٠٦/٥ ، الأول فقط في ٣٥٤/٣)

(١٨)

١ – يزيدُ سُقوطاً واتِّضاعاً وخِسَّةً إذا زادَهُ الرحمنُ كَثْرَةَ مالِ

(الدر الفريد ٤٩١/٥)

قافية الميم

(١٩)

قال في وصف الدراهم :

١ – خليليَّ ليسَ الذُخْرُ إلاّ صَنِيعَةً ولا صُنْعَ إلاّ أنْ تكونَ الدراهِمُ

٢ - هي البيضُ تثني البيضَ غير صوارمٍ
وهُنّ إذا ما ساعَدَتْها صوارِمُ
٣ - ويا رُبَّما تأتي السيوفُ حواكِماً عليكَ فتأتي وهْيَ فيها حواكِمُ
٤ - تُحاكي نجومَ الليلِ فِعْلاً وخِلْقَةً فهُنّ صغارٌ في العيون أعاظِمُ
٥ - تقومُ إذا ما الحادِثات تشاجَرَتْ فتُقْعِدُ منها كلَّ ما هو قائمُ
٦ - فمانِعُها إلاّ عن الحقِّ عارِفٌ ومُؤثِرُها إلاّ على الحَمْدِ عالِمُ
٧ - فأعْدِدْ لجُرحِ الحادِثات دراهماً فهُنّ لجُرحِ الحادثاتِ مراهِمُ
٨ - وعَوِّذ بها الحاجاتِ تنفِ شِماسَها
فإنَّ بها جنّاً وهُنَّ تمائمُ
٩ - بها تُدْفَعُ البلوى وتُدْرَكُ المنى وتُكْتَسَبُ العُليا وتُبْنَى المكارِمُ
(الدر الفريد ٣/٢٦٠ ، البيت التاسع في ٣/٩٢)

(٢٠)

١ - إنْ كان من حقِّ المودَّةِ في الهوى
أنْ تَصْرِموا حَبْلَ التواصُلِ فاصْرِموا
٢ - ضَيَّعْتَ حقَّ تَحَرّمي بودادِكُمْ غُرٌّ امرؤٌ بودادِكُمْ يتحرَّمُ
٣ - وظلمتني وزعمتَ أنّي ظالِمٌ ومن العجائبِ ظالِمٌ مُتَظَلِّمُ
٤ - فلأبْعُدَنْ منكمْ وبالي كاسِفٌ ولأصْبِرَنْ عنكمْ وأنفي مُرْغَمُ
٥ - ولو استطعتُ جزيتكم بفعالِكمْ لكنَّني لا أستطيعُ فأكظِمُ
٦ - ولعلَّ دائرةَ الزمانِ تدورُ لي حتى تعودَ إلى التي هي أقومُ
(الدر الفريد ٥/٢٨٦ ، الأول في ٢/٣١٦ ، الثاني في ٤/٤٣)

(٢١)

١ - سلامٌ وإنْ كانَ السلامُ تحيَّةً
فوجهُكَ دونَ الردِّ يكفي المُسَلِّما
(الدر الفريد ٣/٣٧٢)

وجاء في حاشية الدر :

كتب به أبو هلال إلى بعض إخوانه ، يقول : إذا رأى المُسَلِّمُ عليك وجهَكَ فذاكَ يكفيه وإنْ لم تردّ عليه جواب تحيّته ، وذلك على سبيل المبالغة في المدح .

(٢٢)

قالَ يمدح الصاحب بن عبّاد :

١ – بَرْقٌ تألّقَ من فتوق غمامِ ومُهَنَّدٌ يجلو سوادَ قَتَامِ
٢ – أمْ طَلْعَةُ الملكِ الذي بيمينِه سكبُ الغَمامِ وصَوْلَةُ الصَّمْصَامِ
٣ – يجري فيسبقُ حيثُ تبتَدَرُ العُلا حتى تراهُ أمامَ كُلِّ إمامِ
٤ – إنْعَمْ صباحاً بالثناءِ مُحَبَّراً كالروض نمنمه بُكورُ رِهامِ
٥ – تلقَى السعادةَ في مراميكَ التي هي للعُلا والمَكْرُماتِ مرامي
٦ – وميامِناً موصولةً بميامِنٍ ودُرُورَ إنْعامٍ على إنعامِ
٧ – وكرامةً مقرونةً بكرامةٍ تُبقي لديكَ الدهرَ دارَ مَقَامِ
٨ – ما زالَ كفُّكَ يستثيرُ مآثِراً ما بينَ أسْيافٍ إلى أقْلامِ
٩ – قد جَلَّ قدرُك أنْ يُقاسَ بك امرؤٌ ما كلُّ مصقولِ الظُبا بُحسامِ
١٠– يمشي به فوقَ الترابِ تواضُعٌ وبه العُلى تختالُ فوقَ الهامِ
١١– أخلاقُ غَيْثٍ في شمائل صارمٍ وثباتُ طَوْدٍ في مَضاءِ سهامِ
١٢– ومكارِمٌ كغمائمٍ وعزائمٌ كصوارِمٍ وشمائلٌ كمُدامِ
١٣– وفضائلٌ غُرُّ الوجوه شهيرةٌ يحكينَ أعلاماً على أعلامِ
١٤– لُقِّيتَ في العيدِ الجديدِ سعادةً تبقى بشاشتُها على الأيّامِ
– [وبقيتَ مرفوع المحلّ مكرماً في غبطة وكرامة وسلامِ]
١٥– فانعَمْ به وبما يجيءُ وراءَه من سائر الأيّامِ والأعوامِ

(الدر الفريد ١/٢٦٠ ، الرابع في ٢/٣١٠ ، الخامس في ٣/١٦٣ ، التاسع في ٤/٣٠١)

(٢٣)

١ - قَدْ خَصَصْتُ اللبيبَ بالإكرامِ ... وتهاونتُ بالجهولِ العَبَامِ
٢ - إنّما تكرمُ الرجالُ على الأحـ ... ـلامِ والفضلِ لا على الأجسامِ
٣ - ولوَ انّ الإكرامَ يُدرك بالأجـ ... ـسام كانَ الإكرامُ للأنعامِ

(الدر الفريد ٢/٣٦٤)

قافية الألف اللينة

(٢٤)

١ - وصاحبُ الحاجاتِ مَنْ يجفو الكرى
ويركبُ الهولَ إذا الجِبْسُ التَوى
٢ - أرَى الفتى تغرُّهُ صِحّتُهُ ... وإنّما الصِحّةُ رَهْنٌ بالضَّنَا
٣ - يرجو لِيانَ العيشِ وهْو داؤُهُ ... ورُبَّ راجٍ خافَ من حيثُ رَجَا
٤ - قد فَضَلَتْ آمالُهُ عن عُمْرِهِ ... فهُنَّ لا تفنى ويُفنِينَ الفَتَى
٥ - بنى الحصونَ حذراً من العِدَى ... وجِسْمُهُ مشتمِلٌ على العِدَى
٦ - في هذه الآمالِ - ما أعْجَبَها - ... عِمارةُ الدنيا وآفاتُ الوَرَى
٧ - يدفعُ أسبابَ الأذى عن نفسه ... ورُبّما جَرَّ الأذى دفعُ الأذى
٨ - يفرحُ بالأيامِ يمرُرْن به ... وإنّما هُنَّ سلاليمُ الرَّدَى
٩ - يَغْمِسُ في العصيانِ كفّاً مُلِئَتْ ... من نِعَمٍ تكثرُ أعدادَ الحَصَى
١٠- يُعجِبُهُ نَماءُ ما يملِكُهُ ... وهو بنقصانِ الحياةِ ما نَمَى
١١- ويندبُ الموتى وينسى نفسَهُ ... كأنّه ممّا أتَوْهُ في حِمَى
١٢- لا يُبْطِرَنْكَ ما ترى من نِعَمٍ ... فعن قليلٍ لا ترى ما قد تَرَى
١٣- كأنّ ما يمضي من الدنيا مضَى ... وأنّ ما يأتي من الموت أتَى

١٤- فارحَلْ إلى الأخرى بزادٍ من تُقىً فإنّمـا الزادُ إلى الأخرى التُّقى
١٥- هـل ينفعُ العيشُ بغيرِ صِحَّـةٍ أو تكمُـلُ الصِحّـةُ إلاّ بالغِنَى

(الدر الفريد ٣٧٢/٥ ، الثاني في ١١٤/٢ ، السادس في ٢٨٦/٤ الثالث عشر في ٣٦٦/٤)

مصادر البحث ومراجعه

- أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : علي كاظم مشري ، رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٨٤ .

- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : بدوي طبانة ، مصر ١٩٥٢ .

- الدر الفريد وبيت القصيد : محمد بن ايدمر ، ت ٧١٠هـ ، مخطوطة مصورة ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، ألمانيا ١٩٨٨ - ١٩٨٩ .

- ديوان العسكري : جمع وتحقيق د.جورج قنازع ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٩ .

- شعر أبي هلال العسكري : جمع وتحقيق د.محسن غياض ، منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٥ .

آراء وأنباء

استقبال ثلاثة أعضاء عاملين في المجمع

في شهري تشرين الأول والثاني من عام ١٩٩١م تم استقبال السادة الأساتذة :

الدكتور عبد الوهاب حومد .

الأستاذ جورج صدقني .

الدكتور عادل العوا .

في رحاب المدرسة العادلية موئل العلم والعلماء التي تطلع إليها مؤسسو المجمع لتكون مقرّاً له ، لما لها من ماض عريق يزهو على التاريخ ، وأصالة عربية مجيدة في سالف الدهر ، إذ نزل بها أكابر العلماء ، وتردد في أبهائها وقاعاتها ابن خلكان وابن خلدون والتاج السبكي وغيرهم من الأجلاء الذين عمروها وعمرت بهم .

وفي خريف هذا العام حين تخترف الثمار وتؤتي أكلها ، يختار مجمع دمشق هذا المكان الجليل مقر المجمع السابق ليكون مكاناً لاحتفالاته في استقبال أعضائه الجدد .

ويسعد مجلة المجمع أن تنشر على صفحاتها الكلمات التي ألقيت في هذه الاحتفالات وهي غنية بأمارات الترحيب والإكبار التي استقبل بها الأعضاء الزملاء ، مفصحة عن كفاياتهم العلمية التي يتحلون بها والأعمال الجليلة التي اضطلعوا بها :

حفل استقبال

الزميل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م (الدورة المجمعية ١٩٩٠ ــ ١٩٩١م) الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور شكري فيصل . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٥) تاريخ ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور حومد في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٨ ربيع الآخر ١٤١٢هـ/١٦ تشرين الأول ١٩٩١م حضرها نخبة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحضور وشكرهم على مشاركتهم الاحتفال بالعضو الجديد وهنأ الأستاذ الدكتور حومد بثقة زملائه المجمعيين يعضدهم ويؤازرهم في مسيرتهم لبلوغ العربية مكانتها العالمية السامية .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعي نوّه فيها بمزاياه العلمية والخلقية وذكر طرفاً من سيرته .

ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور شكري فيصل .

وننشر فيما يلي كلمات الحفل .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

أرحب بكم أجمل الترحيب وأطيبه ، وأشكر لكم مبادرتكم الخيرة بحضوركم احتفالنا الذي نقيمه احتفاءً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد .

وإنها لمناسبة نجدّد بها العزم والتصميم أن نؤدّي حق المجمع علينا ، وأن نتابع رسالته في تعزيز العربية المبينة ، والكشف عن أسرارها وخصائصها ، ومدّ سلطانها لتكون أداة التعبير والبيان في جميع ميادين المعرفة في وطننا العربي الحبيب .

إن اللغة والأمة توأمان لا يفترقان . ومن كلمات هردر : «إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين » ، « إن روح الشعب يكمن في لغة الآباء والأجداد » ، « إن قلب الشعب ينبض في لغته »[1] .

ولقد وعت الحكومة العربية التي قامت في دمشق في أعقاب السيطرة العثمانية مكانة اللغة وجليل شأنها في حياة الأمة ، فسعت السعي الحثيث لتعيد للغة العربية شبابها ورُواءها ونصاعتها، بعد أن طال انزواؤها في العهد

(١) ما هي القومية لساطع الحصري : ٥٦ .

العثماني . وكان مجمع الخالدين من بواكير مؤسساتها ، أقامته (في ٨/٦/١٩١٩م)[٢] ليفسح للعربية الميادينَ الرحابَ في شتى فنون المعرفة ، ويدرأ عنها العجمة واللحن فتستقيم على نهجها اللاحب .

ونهض المجمعُ بالمهمة ، أداها على خير ما يكون الأداء ، وبذل أعضاؤه الخالدون الطاقة والوسع ، ليكشفوا عن أساليب العربية وطرائقها في وجوه التعبير وتأدية المعاني . وشاركوا في تعريب التعليم العالي حتى رسخت قدمه في بلاد الشام ، وغدا قدوة ونموذجاً ، وخطُّوا الطريق إلى سيادة العربية في بلدها ، فكانوا النواة الطيبة ، والحبة التي أنبتت سبع سنابل ، فتلاحق بهم مِنْ خلفهم زملاء لهم أسسوا المجامع في القاهرة وبغداد وعمّان ، وتكاتف كبار العلماء الحراص على العربية في أرجاء الوطن العربي ، وتعاونوا جميعاً لتصبح العربية لغة العلم والحياة ، تستجيب لما يراد منها ، وتعبر عن مختلف علوم العصر ، فتجيد التعبير وتحسنه ، إيماناً منهم جميعاً بألا تقدم للأمة ، ولا قوام لها ما لم تصطنع لسانها العربي تفصح به وتبين عن كل ما يتناوله الفكر ، أو يهجِسُ في النفس والضمير .

وإذا كان لنا أن نغتبط بما قدم العلماء الرواد ، وبما حققته العربية من ازدهار في شتى الميادين فإن الهجمة الشرسة على العربية وبيانها لم تقف ، وإنها لتصطنع أساليب جديدة ، وطرقاً منكرة ملتوية ، فيها الكثير من المكر والكيد والذكاء تتستّر بها ، تريد أن تقضي على هذه اللغة التي ما زالت العاصم لأبناء العروبة أن تعصف بهم ريح الشتات ، وتتوزعَهم يدُ الفرقة .

إن أمثال هذه الدعوات الغريبة لن تزيدنا إلا قوة ومضاء ، وإننا لنتطلع بتفاؤل وأمل إلى اليوم الذي تبسطُ فيه العربية سلطانها في كل ميدان ، وفي ميادين التعليم العالي خاصة ، وتخفتُ كل نأمة ضالّة مضلّلة .

(٢) تاريخ المجمع العلمي العربي لأحمد الفتيح : ٧ .

لا يسعني إلا أن أستمطر شآبيب الرحمة لأولئك الفرسان الرواد الذين رفعوا راية العربية مشرعة ، وأعلوا منارها ، وقضوا ، بعد أن أرسوا الدعائم ، وهيئوا مَنْ يحسن خلافتهم في الذود عن العربية . وهاهو ذا المجمع ، وقد نضا الثانية والسبعين من عمره ، يمَضي إلى غايته أشدَّ ما يكون فَتاءً وعنفواناً ، تظلّل أعضاءه رايةُ العربية المبينة ، يتداولونها كابراً عن كابر ، ويسلمها سابق إلى لاحق ، يقوم مقامه في حمل الأمانة .

ونستقبل اليوم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد فارساً معلماً يحل محل سلفه الأستاذ الدكتور شكري فيصل رحمه الله الرحمة الواسعة .

لقد تمَّ انتخاب الأستاذ حومد عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع في دورته المجمعية ١٩٩٠ – ١٩٩١م (التي عقدت في ٧/٥/١٤١١هـ = ٢٤/١١/١٩٩٠م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٥ (في ١٤/١١/١٤١١هـ = ٢٧/٥/١٩٩١م) بتعيينه[٣] .

وإننا لنهنئ الأستاذ حومد ثقة زملائه المجمعيين به ، واختيارهم له زميلاً عزيزاً يعضد إخوانه ويؤازرهم في مسيرتهم ، يسعون معاً لتبلغ العربية مكانتها العالمية السامية ، لا تقصّر عن مدى .

لقد تعددت مواهب الأستاذ حومد ، فجلّى في الميدان العلمي ، وجال في ميادين السياسة ، وتولّى المناصب العامة فكان نائباً ووزيراً مراراً .

ولقد أحب الأستاذ حومد العربية وبرّز فيها ، وأكبَّ على الحقوق دراسة وتدريساً حتى بلغ الغاية في القانون الجنائي ، وطبعت مؤلفاته في هذا الباب طبعات عدة .

فأهلاً بك ، أيها الزميل العزيز ، في رحاب مجمع الخالدين ، تعمل

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج٣ ، ص٥٧١ (تموز/١٩٩١م) .

وتدأب مع إخوانك ، لتظل راية العربية سامية .

ويسعدني أن يتقدم الأستاذُ الدكتور محمد إحسان النص عضو المجمع فيُلقيَ كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم ، ويعرضَ لمعاً من سيرته ومناحي نشاطه ، ليعقبه الأستاذ الدكتور حومد فيتحدثَ عن سلفه الأستاذ الدكتور شكري فيصل ، فيبسط سيرته ، ويجلو نفائسه .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

في حفل استقبال الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

أيها السيدات والسادة :

يستقبل مجمع اللغة العربية في هذه الأمسية أخاً كريماً وأحد رجالات هذا البلد البارزين هو الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد .

وقد جرى المتحدّثون الذين يقدّمون شخصية معروفة إلى الجمهور على القول إن الرجل غنيّ عن التعريف ، وأنا أخالفهم في هذه السُنة فأقول إن الدكتور حومد ليس غنيّاً عن التعريف ، وليس ذاك لأن جمهور المواطنين لا يعرفه ، فهو من أعلام الباحثين ورجال القانون في قطرنا العربي السوري ، وإنما لأن الجمهور لا يعرف من الرجل إلاّ ما يتصل بحياته العامة وعمله فحسب ، ولكنّ ثمة جوانب أخرى يجهلها الناس تتّصل بخلاله وحياته الاجتماعية وصلاته بذويه وإخوانه. وسأتحدث هنا عن هذه الجوانب بالقدر الذي يتّسع له الوقت المحدّد لهذه الكلمة .

وأودّ أولاً أن أعبّر عن سعادة أعضاء المجمع البالغة باستقبال الأخ الكريم الدكتور حومد وانتمائه إلى هذه المؤسسة التي جعلت وكدَها العناية بلغة الضاد وبتراث العربية الخالد ، ولا يخامرهم الشكّ في أنهم سوف يفيدون من انضمامه إلى أسرتهم أعظم الفائدة لما عُهد فيه من النشاط الوافر والغيرة على اللغة العربية والتعمق في العلوم القانونية . ولعلّ كثيراً من الناس

يجهلون أن الدكتور حومد بدأ حياته أديباً ثم اتجه إلى الدراسة القانونية ، ولكن النزعة الأدبية لم تفارقه فاجتمع في شخصه رجل القانون والأديب .

ولد الدكتور حومد عام خمسة عشر وتسعمئة وألف بمدينة حلبَ الشهباء ، وبعد أن أتمّ المرحلة الابتدائية تابع دراسته في المكتب السلطاني ، وهو يومئذ الثانوية الوحيدة في حلب ، ونال في ختامها شهادتي الثانوية العامة الأولى والثانية وشهادة دار المعلمين ، وقد أتاحت له الشهادة الأخيرة دخولَ سلك التعليم فعُين معلّماً ثم معيداً . وفي عام سبعة وثلاثين انتسب إلى معهد الحقوق بدمشق ونجح إلى السنة الثانية ، ولكنه لم يتمّ دراسته القانونية في دمشق إذ اشترك في العام التالي في مسابقة لإيفاد طلاب إلى فرنسا لدراسة الأدب العربي في جامعة باريس . وكانت فرنسا تفرض على وزارة المعارف السورية إرسال جميع بعثاتها إلى فرنسا مهما يكن اختصاص موفديها لحرصها على هيمنتها الثقافية ، وكانت أولى البعثات التي خرجت عن هذه السُنة البعثةَ التي كنت والدكتور شاكر الفحام في عدادها ، فقد أوفدنا سنة اثنتين وأربعين إلى مصر بدلاً من فرنسا بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

حصل الدكتور حومد على الإجازة (الليسانس) في الأدب العربي عام أربعين وتسعمئة وألف من جامعة باريس ، على أن نفسه كانت توّاقة مع ذلك إلى دراسة العلوم القانونية ، فحصل في العام نفسه على دبلوم معهد العلوم الجنائية ، وفي العام الذي يليه حصل على الإجازة في الحقوق . وهنا أصبح الدكتور حومد على مفترق طريقين كان عليه اختيار أحدهما : إمّا أن يتابع دراسته الأدبية التي أُوفد من أجلها ، وإما أن يسلُك سبيل رجال القانون فيتابع دراسته القانونية التي بدأها في دمشق ، ــ وقد حالت ظروف الحرب العالمية الثانية دون عودته إلى دمشق بعد حصوله على الإجازة فأتاح له ذلك متابعة دراسته للحصول على الدكتوراه ــ ، وما لبث أن حسم

الأمر باختياره الطريق الثاني فأعدّ أطروحة في العلوم الجنائية نال بها درجة الدكتوراه عام أربعة وأربعين .

والدكتور حومد لم يفصح لنا عن دوافع إيثاره القانونَ على الأدب ، ولعلّه آنس في نفسه الرغبة في إنصاف من ينالهم الأذى والوقوف في جانب من تغتصب حقوقهم ، وهي نزعة لازمته طوال ممارسته مهنة المحاماة وتتّصل اتصالاً وثيقاً بخياراته الوطنية والقومية التي اتجه إليها بعد إنجاز دراسته القانونية . بيد أن اختياره الدراسات القانونية لم يلغ ميوله الأدبية القوية الجذور في نفسه ، فسجّل رسالة دكتوراه عن حافظ إبراهيم في جامعة باريس ولكن لم يتح له إنجازُها ، فقنع بمتابعة مطالعاته الأدبية وحفظ الكثير من الشعر العربي ، وأعانه على هذا الحفظ حافظته القوية ، وكان كثيراً ما يروي لنا في المناسبات الاجتماعية التي كنا نلتقي فيها جانباً من محفوظه الشعري أو يتحفنا ببعض الأحاديث الأدبية التي اختزنتها ذاكرته . وقد تجلّت موهبته الأدبية في كتاباته ومقالاته في مختلف الدوريات العربية .

بعد انطفاء نار الحرب العالمية الثانية عام خمسة وأربعين عاد الدكتور حومد إلى سوريا ليتولى تدريس الأدب العربي الذي أوفد من أجله في ثانوية حلب واستمرّ يتولّى هذا العمل لمدة عام ، وما لبث في العام الذي تلاه أن تخلّى عن تدريس الأدب ليتولّى تدريس المادة التي استأثرت باختياره ، فعُين مدرّساً في كلية الحقوق بدمشق ، وتمّت ترقيته بعد ذلك إلى مرتبة أستاذ مساعد فأستاذ كرسي الجزائيات ، على أنه انقطع عن ممارسة التدريس حقبة من الزمن من جرّاء تسريحه عام اثنين وخمسين لعدم أدائه اليمين إبّان حكم الشيشكلي ، ثم عاود التدريس في كلية الحقوق حتى عام تسعة وخمسين .

لم يكن الدكتور حومد خلال هذه الحقبة منقطعاً إلى التدريس وحده ، فإن خياراته السياسية دفعته إلى الانتماء إلى حزب الشعب الذي

كان مهده مدينةَ حلب فكان أحد أقطابه البارزين ، وقد رشّح نفسه ممثلاً لهذا الحزب مرّات متعددة ، وتبوّأ كرسي النيابة والعمل الوزاري كذلك مرّات متعددة قبل قيام الوحدة بين القطرين المصري والسوري ، فتولّى وزارة المعارف مرتين ووزارة المالية مرّة ، ووزارة الخارجية بالوكالة .

حينما قامت الوحدة بين القطرين عام ثمانية وخمسين وقف الدكتور حومد الموقف الذي أملته عليه عاطفته القومية فوقف إلى جانب المؤيّدين لهذه الوحدة الحريصين على استمرارها ، وشارك في تلك الحقبة في تحمل التبعات التي نيطت به ، فتولى وزارة العدل مدة سبعة أشهر في العام الأول للوحدة ، ثم عهد إليه بحقيبة وزارة الخزانة فنهض بهذه المهمة وأدّاها على خير وجه إذ جعل إنفاق الأموال وقفاً على ما فيه مصلحة الدولة والأمة . وبعد زهاء ثلاث سنوات تولّى وزارة التخطيط في القاهرة ولكن عمله في هذه الوزارة لم يطل بسبب انفصام عرى الوحدة بين القطرين بقيام حركة الانفصال أواخر عام واحد وستين . وقد ظلّ ولاؤه للوحدة قائماً طوال عهد الانفصال وانقطع عن التدريس الجامعي وانصرف إلى مزاولة المحاماة . وبعد انقضاء هذه الحقبة عاود نشاطه السياسي فتولّى وزارة المال حقبة قصيرة ودّع بعدها العمل السياسي وانصرف إلى التدريس الجامعي خارج القطر السوري ، فتعاقد أولاً مع جامعة الرباط ثم تعاقد بعد ذلك مع جامعة الكويت وظلّ يمارس التدريس فيها خمسة عشر عاماً ، وقد تولى أثناء تدريسه في هاتين الجامعتين رئاسة قسم القانون الجنائي فيهما .

وفي عام ثلاثة وثمانين رغب إلى جامعة الكويت عدمَ تجديد عقده على رغم إلحاح المسؤولين عليه فيها على الاستمرار في عمله لحرصهم على الإفادة من علمه وخبرته القانونية . وعاد بعدئذ إلى دمشق ولكن نشاطه لم يفتر فقد انصرف منذ عودته إلى البحث وتأليف الكتب وكتابة المقالات وإلقاء المحاضرات .

بالإضافة إلى ما بيّنت من نشاط الزميل الكريم في مختلف المجالات لا يفوتني أن أشير إلى مشاركته في عدد وفر من المؤتمرات القانونية والسياسية والأدبية أذكر منها على سبيل المثال مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بلودان عام ستة وخمسين والمؤتمر الدولي لمكافحة الجريمة في جنيف عام خمسة وخمسين ومؤتمر الجامعة العربية المنعقد في القاهرة في العام نفسه والمؤتمر العالمي للقانون الطبي في بلجيكا عام تسعة وسبعين .

ألّف الزميل الفاضل عدداً من الكتب القانونية يجاوز العشرة ، ومنها رسالة عنوانها : « الاعتداء على سلامة الدولة الخارجية » نال بها دبلوم القانون ورسالة موضوعها : « معاقبة الإجرام السياسي في التشريع المقارن » نال بها درجة الدكتوراه من جامعة باريس ، وقد نشرت في باريس وقدّم لها الأستاذان هوغني Hugueney ودونيديو Donnedieu ، وقد طوّر هذه الرسالة فيما بعد ونشرها بالعربية وجعل عنوانها : « الإجرام السياسي » .

ومن مؤلفاته القانونية كذلك كتاب « أصول المحاكمات الجزائية » ، وهو مرجع ضخم لا يستغني عنه المختصّون في هذا المجال ، وظنّي أنه ما زال يُدرّس في جامعة الكويت . ونشر كذلك عام ١٩٨٣ كتاباً عنوانه : « دراسات معمّقة في الفقه الجنائي المقارن » وقد أثنى عليه كثير من الباحثين في القانون ، قال فيه مثلاً الدكتور حسن صادق المرصفاوي عميد كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية : « مرجع ندر أن يوجد مثله في اللغة العربية ، وإنه يحتوي على علم سيستمرّ نوره لأجيال وأجيال ». وقال فيه الأستاذ أسعد الكوراني نقيب المحامين في حلب : « إنها دراسات فريدة في موضوعها في اللغة العربية ، ودراسة رائعة خليقة بالثناء المستطاب عن حق » .

وعلى أنني بعيد في تخصصي عن المجال القانوني فإنني قرأت أكثر فصول هذا الكتاب واستمتعت بها حقاً لأنها مما يتّصل باهتمامات المثقفين

عامة . فقرأت بعناية الفصل الأول الذي يتناول ظاهرة تفاقم الإجرام في المجتمعات المعاصرة والذي تحدّث فيه عن أنواع الإجرام وموقفِ الباحثين القانونيين والاجتماعيين من الجريمة وتعريفها ، وأورد فيه اراء طائفة كبيرة من علماء القانون والاجتماع ، والفصل مزوّد بإحصاءات وافية تبيّن مدى تفاقم الجرائم في العالم . وأشهد أنني استمتعت بقراءة هذا الفصل واكتسبت منه اطلاعاً على جوانب كنت أجهلها . كما أنني قرأت الفصل الذي عقده لعقوبة الإعدام والخلافِ الناشب بين رجال القانون وعلماء الاجتماع بشأن إبقائها أو إلغائها . وقد عرض فيه الزميل الكريم آراء الفريقين بموضوعية تامة ثم أدلى برأيه الخاص الذي يؤيّد فيه إبقاء هذه العقوبة في التشريع لحين الحاجة إليها ، وهو يؤيد إلغاء عقوبة الإعدام في الجرائم السياسية باستثناء جريمة الخيانة العظمى للوطن ، ورأيه مقنع جدير بالتقدير . ومن الفصول التي قرأتها كذلك الفصل الذي عقده للقتل بدافع الرحمة (قتل المرحمة) وقد أورد فيه مختلف الآراء في هذا الضرب من القتل . وقد أُعجبت كذلك بما جاء في الفصل الذي عقده لأصول تفسير القوانين الجزائية ووجوب تحرّي الدقّة في تعريف مختلف ضروب الجرائم لتحاشي محاولة التلاعب في تطبيق القانون . ومن الأمثلة الطريفة التي ساقها على ذلك أن أحد المحامين طالب ببراءة موكله بائع الحليب الغشاش بحجة أنه لا يغشّ الحليب بالماء – كما ورد في نص القانون – وإنما يغشّ الماء بالحليب ، فهو يضع الماء أولاً ثم يصب الحليب فوقه .

ومن مؤلفات الدكتور حومد كذلك « المفصّل في شرح قانون العقوبات » وهو مرجع ضخم يقارب عدد صفحاته الألف والمئتين ، وقد شرحت فيه النظريات العامة التي اشتمل عليها قانون العقوبات مدعمةً بأحكام القضاء السوري والمقارن . ومن مؤلفاته كذلك كتاب : « الإجرام

الدولي » وهو يتضمن شرح الجرائم الدولية التي اكتسبت طابعها القانوني إثر محاكمات نورمبرغ وطوكيو والتي استهدفت سلام البشر ، ومنها الجرائم التي عرفت بجرائم الحرب ، وهو كتاب لم يؤلّف في موضوعه أحد من الباحثين العرب .

وثمة مؤلفات أخرى تتصل بالقانون الجنائي المغربي وقانون الجزاء الكويتي . هذا فضلاً عن العشرات من المقالات التي نشرت في مختلف الدوريات العربية كمجلة « العربي » و« عالم الفكر » وهي تتناول موضوعات قانونية وأدبية وسياسية واجتماعية .

هذا تعريف موجز بالدكتور حومد الباحث القانوني ، بقي أن أتحدث عن حومد الإنسان والصديق ، فقد أسعدني الحظ بصحبته سنواتٍ ، يوم كنّا ندرّس في جامعة الكويت ، وأشهد أنني نعمت بصحبته صديقاً وفياً ، حلوَ المعشر ، عفّ اللسان ، كريماً مضيافاً ، يطمئن المرء إلى سموّ خُلقه وصفاء دخيلته وكريم خلاله ، كما عرفت فيه الالتزام الصارم بواجباته المسلكية ، والتشبّثَ العنيد بالمبادئ الوطنية والخلقية التي انطوى عليها ، وهو لا يحيد عنها مهما تكن المغريات والمؤثّرات ، فأنعِم به أخاً فاضلاً وصديقاً عزيزاً ، وأهلاً به زميلاً مجمعياً كريماً .

خطاب الأستاذ
الدكتور عبد الوهاب حومد

في حفل استقباله

بين يدي هذه الكلمة :

اسمحوا لي أيها السيدات والسادة :

١ ـ أن أعرب لكم عن خالص الامتنان لتفضلكم بحضور هذه الأمسية ، تكريماً منكم لرجال العلم .

٢ ـ وأن أخص صديقي العزيز الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص بأصدق آيات الشكر والعرفان على كلمته الكريمة . وما قاله فيَّ شرف لا أدعيه ، وتُهَمٌ لا أبرئ نفسي منها .

٣ ـ وأن أشكر أخي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، نائب رئيس المجمع ، على ترحيبه الجميل بي .

٤ ـ وأن أوجِّه تقديري العميق للزملاء الأفاضل من أعضاء المجمع الذين انتخبوني بإجماع أصواتهم لأكون واحداً منهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السيدات والسادة :

حين بدأتُ بقراءة مؤلفات المرحوم الدكتور شكري فيصل وأبحاثه الغزيرة ، لأتكلم عنه وفاءً بحقه عليّ ، حسبت أنني أجالس الصديق الهادئ ، صاحب الطلعة الصافية والنظرات العميقة التي لا تكاد تخفي قلقها ، وصاحب الصوت الخفيض الناعم والتفكير السديد .. ولكن ما إن انتهيتُ من مطالعة ما دبجته يراعته ، حتى أدركتُ أنني على متن زورق فوق بحر محيط ، أنس إلى هدوء السطح وأحلامه فلما اجتذبته أولى الموجات عن شاطئ السلامة ، أخذ يُحِسُّ بما في الأعماق من تلاطم تيارات وتصادم انفعالات ... عندها أحسست بجسامة العبء وثقل المسؤولية .. ولكن الذي أغراني بعدم النكوص على عقبيَّ ، شعورٌ دفين بأنني لست غريباً تماماً عن هذه الأجواء الأدبية ، التي تقلبتُ في أحضانها زمناً ما ، قبل أن تنتزعني من جناتها الوارفة وأنغامها الشجية ، صرامة القانون وتجهُّم قسمات مواده المستعصية ، التي لا تنشر الدفء دوماً في النفس ...

وأحب أن أعرفكم بحياة الدكتور شكري تعريفاً موجزاً ، لأن باحثين أخياراً من أخوانه كتبوا عنه وأجادوا بحيث وجدتني أتساءل : هل غادر الشعراء من متردم ؟ ثم أتبسط في تعريفكم على إنتاجه الغني ..

ولد الدكتور شكري - كما يتحدث عنه الدكتور عدنان الخطيب في دراسته عنه[1] - لأب أصله من مدينة حمص ، هو المرحوم عمر فيصل ، جاء إلى دمشق قبل الحرب العالمية الأولى واستقر في حي العقيبة وتزوج احدى بنات الحي ، فولدت له المرحوم الدكتور شكري عام ١٩١٨ وكان أخوها من أفاضل المربين في دمشق ، وكان يدير مدرسة ابتدائية في حي المسكية . ومات أبوه وتركه وحيداً ، فامتدت إليه بالرعاية يد خاله ، فاحتضنه ونشَّأهُ في بيته وزوجه ابنته الأستاذة الفاضلة « أم معتز » . وقد بقي طيلة حياته يشعر بعاطفة من العرفان نحو هذا الخال ، وعبَّر بصورة حسية عن هذا الشعور ، فأهدى إليه كتابه الرائع « المجتمعات الإسلامية » بقوله :

« إلى روح خالي محدث الشام الأستاذ الشيخ محمود ياسين ، أهدي هذا الكتاب . فهو رَوْح من رُوحِه ، وعَبَق من عبقه ، وفاءً ببعض حقه وإيماناً بفضله » .

وخصلة الوفاء هذه ظلت « فيصله » المميز طيلة حياته في علاقاته بأساتذته خاصة وبأصدقائه ... وكأنما لقي من بعض أصحابه ما لا يحب في بعض الأحيان ، فسالت مرارته على قلمه تشكو إلى الله تنكُّر المتنكرين ...

وأتم دراسته الابتدائية في مدرسة معاوية ، ثم انتقل إلى مكتب عنبر وهو المدرسة الثانوية الوحيدة التي كانت إذ ذاك في دمشق . وقد تلقى العلم فيها من أساتذة أجلاء ، كانوا في تلك الأيام ملء السمع والبصر ...

وقد حصل على الشهادة الثانوية بقسميها العلمي عام ١٩٣٦ والفلسفي عام ١٩٣٨ وبذلك جمع بين الحسنيين : تنظيم العقل وتذوق الأدب ..

(١) الدكتور فيصل وصداقة خمسين سنة .

وانتسب إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، فحصل منها على الشهادات التالية :

١ ــ الإجازة في الآداب عام ١٩٤٢ بدرجة الإمتياز .

٢ ــ الماجستير في الآداب بدرجة جيد جداً عام ١٩٤٨ .

٣ ــ دبلوم معهد اللهجات العربية « قسم اللغات الشرقية »عام ١٩٤٩.

٤ ــ الدكتوراه في الآداب بدرجة جيد جداً عام ١٩٥١ .

وعلاوة على هذه الشهادات الأدبية الرفيعة ، وجد رحمه الله وقتاً كافياً ليدرسَ الحقوق ، في كلية الحقوق بدمشق ، ويظفر بشهادتها عام ١٩٤٦ ، وهي السنة التي عينت فيها أستاذاً في هذه الكلية . وحين توثقت علاقاتنا بعد سنوات لم ينس أبداً أن ينزلني في تعامله معي ، منزلة واحد من أساتذته !..

وقد أهلته مؤهلاته العاليةلتبوئ كرسي الأستاذية في كلية الآداب بدمشق منذ عام ١٩٥٢ . ومن سدة هذا المنصب أخذ إشعاعه الأدبي يغزو قلوبَ طلابه في الكلية وأفئدةَ الأدباء والمتأدبين المعجبين بقلمه وفكره من خارج الجامعة ، سواءً في محاضراته النفيسة التي كان يلقيها على رجال الأدب والعلم في المؤتمرات أو الحلقات أو الندوات ، أو ما كانت تنشره له المجلات الأدبية المتخصصة .

وقد مَثَّل سوريةَ في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في بلودان عام ١٩٥٦ ، وفي مؤتمر القاهرة عام ١٩٥٧ . وفي تلك السنة مثَّل بلدنا في مهرجان أحمد شوقي ، وحاضر عن « نثره » ، كما مثَّلنا في مؤتمر الأدباء العرب في الكويت عام ١٩٥٨ وألقى فيه محاضرة بعنوان :

« البطولة في الأدب العربي الحديث منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة الحديثة » .

وتعود بي الذاكرة إلى ذلك المؤتمر الأول للأدباء العرب الذي عُقِدَ في بلودان عام ١٩٥٦ ، والذي كان أولَ مؤتمر يحضره المرحوم ممثلاً لبلده .. فقد كان عليَّ أن أسمي أعضاء الوفد السوري ، بوصفي وزيراً للمعارف .. ولم تكن المهمة يسيرة : فقد كان في الوفد المصري طه حسين وأحمد رامي ويوسف إدريس وأمينة السعيد وفي الوفد العراقي محمد بهجت الأثري وبدر شاكر السياب وفي الوفد اللبناني ميخائيل نعيمة وقسطنطين زريق .. وكانت السعودية ممثلة بخير الدين الزركلي ... وشُكِّل الوفد السوري من الأساتذة خليل مردم بك وفؤاد الشايب وبدر الدين الحامد وأسعد طلس ... وشكري فيصل .. وعدد من الآدباء .

ولم يتكلم في المؤتمر من الوفد السوري غير الأستاذ فؤاد الشايب عن « الأديب والدولة » والدكتور شكري فيصل الذي ناقش محاضرة السياب .. عن « وسائل تعريف العرب بنتاجهم الحديث » .

وهنأته على كلمته .. وكانت تلك مناسبة حلوة لتعارفنا الأول ... ويطول بي الكلام لو أنني عددت المؤتمرات والندوات الأدبية والثقافية التي حضرها .. على ما فيها من استفادة وإفادة ، ولكني أذكر أنه ظل ملحقاً ثقافياً مدة عامين في القاهرة عمل خلالهما في الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية مع الأستاذ أحمد أمين والأستاذ ساطع الحصري ، وبعد عودته إلى دمشق ، عيِّن في لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف . وكانت هذه اللجنة تخطط لبرامج التعليم وتراقب الكتب المدرسية .. وكنت أنظر إليها نظرةَ تقديرٍ واحترام لأنها كانت الرأسَ التي ترسم للتعليم مساره في البلاد .

وهكذا فمنذ أولى درجات السُّلَّم كانت تناط بالدكتور شكري الأعمال الحساسة ... وكان يقوم بأعبائها بكفاءة تدعو إلى الاعتزاز :

وما الحداثة عن حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

ولم يقف إشعاعه الثقافي الفذ عند حدود الوطن الصغير ، فقد مَدَّ فيه بعيداً حتى عم أكثر بقاع الوطن الكبير ، وأتاح لأبناء جلدتنا من مشرق العروبة إلى مغربها أن يَنْهَلوا من عطاء عبقريته . فقد حاضر كأستاذٍ زائر في جامعات فاس ووجدة ومَرَّاكُش والجزائر وطرابلس واليرموك وعَمان والرياض وبيروت والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .. وفي مقامه في جوار قبر المصطفى لقي ربه ودفن إلى جوار النبي الذي أحبه حباً أخذ عليه مجامع قلبه ، عام ١٩٨٥ ...

وقد عَرَفَتِ المحافلُ الثقافية قدرَه فاختير عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني ، والمجمَع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان والمجمع العلمي العراقي وبيتِ الحكمة في تونس .. وكان واسطةَ العِقْد في مجمعنا وأميناً لسره ...

وقد تفجَّر من هذه الفعاليات الثقافية فيضٌ من الدراسات التاريخية الإسلامية ومجموعةٌ نادرة من المؤلفات والأبحاث الأدبية والاجتماعية أَعْرِضُ لها دون أن أتعمق في مضامينها مراعاة للوقت ، فيما يلي :

أولاً – الدراسات التاريخية الإسلامية

درس الدكتور شكري « حركة الفتح الإسلامي » دراسة جديدة لا تقتصر على دراسة النصوص القديمة واختيار أفضلها والتعليق عليها ، كما يفعل المؤرخون في العادة .. لأنه اختار في دراسته طريقةً حديثة متأثرة بأسلوب البحث العلمي الحديث . وقد أشار إلى هذا التجديد في مقدمة كتابه الثاني « المجتمعات الإسلامية » فقال :

« واستقر عندي أن موضوعاً يَعْرِضُ لدراسة الفتح الإسلامي وتكون غايتُهُ البعيدةُ أن يبلغَ آثارَه من حيثُ التطورُ اللغويُّ والأدبي في المجتمعات الإسلامية ، يجب أن يقوم على دِعامتين : أولاهما من التاريخ نفسه والثانية

من علم الاجتماع وعلم الاجتماع اللغوي بوجه خاص .. وإني إن لم أفعل ذلك ، لم يكن الموضوع إلا تلاعباً بهذه الحفنة من الأخبار والروايات التي تُدِيرُ الحديثَ عنها كتبُ الأدب واللغة ... » .

وهكذا جاء كتابُه التاريخي الأول « حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول » دراسةً نفيسة لم تكتف بعرض قصص المعارك وسرد الانتصارات ، بل إنه خرج فيها من المجال العربي إلى الأفق العالمي فأخضع النصوص إلى ما يسير عليه العلماء المتطورون من تحليل واستقراء دقيقين .. وعلى سبيل المثال فإنه بحث في فتوح الشام موقفَ عرب الشام وموقف الروم وموقف النصارى من الحركة العسكرية الإسلامية القادمة من الجنوب . وانتهى إلى القول بأن « الحرب اتخذت شكلاً دينياً واضحاً .. وكان مما لجأ إليه الروم أنهم استثاروا مشاعر الجماعة الدينية واستثمروا في ذلك رجالَ الدين أنفسَهم . والتفاصيل التي وردت في روايات بعض المؤرخين تُطْلِعُنا على أن قوادَ الروم كانوا يُقَدِّمون أمامهم الشمامسة والرهبان والقسيسين يُغْرُون الجند ويَحُضُّونَهم على القتال . ولا يختلف موقف نصارى الشام في مقاومتهم الفتح الإسلامي عن مقاومة الروم له . وهذا طبيعي كما يقول . فالإسلام دين جديد يدعو إلى غير ما تدعو إليه الديانةُ السائدة في الشام آنذاك ، وليس غريباً أن يقفوا في وجهه دفاعاً عن معتقداتهم الراسخة .. وإذن فليس هناك أهميةٌ تذكر لما يقال عن خلاف بين الكنيسة السورية التي كانت تقول بأن للمسيح عليه السلام طبيعةً واحدةً ، وبين الكنيسة البيزنطية التي تؤمن بما أقره مجمع خلقدونية عام ٤٥١ ميلادية من أن للمسيح طبيعتين : إلهية وبشرية ...

ومن المؤكد فإن إثبات الحقيقة ، ولو كانت مرةَ المذاق ، أثمنُ في نظر العالم المتبتِّل من أحاديث المجاملة التي تدغدغُ بعض الأحلام ، لأهداف غير علمية ولكنها تسيء إلى الحق والتاريخ ..

وعلى كل حال ، فإن كتاب « حركة الفتح الإسلامي » هذا ، دراسةً تمهيدية لنشأة « المجتمعات الإسلامية » التي تشكلت بعد الفتح في الشام والعراق ومصر والمغرب العربي والشرق الإسلامي . وهو الكتاب الذي حصل به على درجة الدكتوارة في الآداب . وهذا الكتاب الذي يقع في ٤٥٠ صفحة طبع خمس مرات حتى تموز ١٩٨١ . وقد أخذ المؤلف رحمه الله على عاتقه أن يغوص في أعماق تلك المجتمعات الحديثة غوصاً رفيقاً واعياً ، لأن الإسلام لم يُحَطِّمْ نواميسَها ونظمها وعقائدها وعاداتها ولم يقلبْها رأساً على عقب بل سار فيها السير الواعي الذي أمر به الشرعُ في قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ وقوله ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ ؟ .

وقد تتبع حركة انتشار الإسلام المذهلة في أراضٍ متعطشة إلى نور المعرفة ، فجرَّت وراءها حركةَ تعريبٍ واسعة . وواكبت حركةَ انتشار الإسلام ، حركةُ التعريب على نطاق واسع .. إلا أن هذه المواكبة اصطدمت في بعض المجتمعات الجديدة ، فَقَصَّرَتْ حركةُ التعريب عن حركة انتشار الإسلام . ومن خلال استقرائه الوقائع ، وجد المؤلف أن **اللغة الفارسية** قاومت اللغة العربية في بلاد الفرس مقاومة عنيدة . وقد أرجع فشل تعريب هذه البلاد إلى سببين : الأول أن المقاتِلةَ العربَ لم يكونوا يتجاوزون – يوم اسْتُخلِفَ سليمانُ بن عبد الملك عام ٩٦هـ – على حد تقدير المؤرخ البلاذري ، وهو حجة موثوقة ، أربعين ألفاً من مقاتلة البصرة وسبعةَ آلاف من مقاتلة الكوفة وسبعة آلاف من الموالي . وكان مَنْ وراءَهم من العرب في تلك البلاد لا يزيدون على أربعة أمثال هذا العدد .. وبذلك لم يكن العرب الموجودون في تلك البلاد يزيدون عن ربع مليونٍ فقط ، في وسط تلك الامبراطورية الواسعة ذات الأمجاد الفارسية التليدة والمعتزة بماضيها .

والذي يتتبع حركة التاريخ ، بعد الفتح الإسلامي إلى أزمنة متأخرة ، يلاحظ أن الفرس ظلوا على الدوام يرفضون الامتزاج بالعرب الذين اجتثوا قوتهم العسكرية في ميادين القتال ونشروا في بلادهم دينَهم الجديد .. ومن مظاهر رفض الامتزاج ، أنه حين كانت غالبية العالم الإسلامي تدين بالمذهب الشيعي في ظل الدولة الفاطمية ، ومنها بلاد الشام ، كانت فارسُ سنيةَ المذهب ... فلما قضى الأتراك السُّنَّةُ على حركة التشيع بانتصارهم على المماليك عام ١٥١٦ ، عاد المذهب السني إلى بلاد المسلمين .. غير أن الصفويين الفرس غيَّروا من قناعاتهم وتبنوا المذهب الشيعي وفرضوه على أتباعهم بقوة الحديد ... لكي يظلوا مجتمعاً متميزاً عن المجتمع العربي ...

أما السبب الثاني في فشل تعريب فارس ، فهو انقسام الفاتحين العرب في فارس ، وتخاصُمُهم فيما بينهم ، الأمر الذي حملهم على الاهتمام بأمورٍ أخرى غير التعريب ..

ومع ذلك ، فإن القرون التالية سوف تشهد فرساً استعربوا وأصابوا حظاً عالياً من الثقافة العالية والتأليف في مختلف علوم اللغة العربية ..

وليس بدعاً أن تأخذ اللغة العربية عن لغات الشعوب غير العربية التي أسلمت كثيراً من ألفاظها ، فاغتنت بها ووسعت قاموس ألفاظها . كما أنه من طبيعة الأشياء أن يأخذ الفاتحون العرب من الشعوب التي أخضعوها كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم بسبب المعايشة المشتركة ، بعد أن كيَّفوها وَعَدَّلوا فيها لتنسجم مع أحكام الإسلام ، الذي أصبح دينَ الدولة .. وقد كان للزّواج المُخْتَلَط أثر كبير في ولادة أجيال جديدة ، تشَرَّبَتْ الواقعَ الجديد ونشأت في أحضانه ، كما كان للسبي وعيش السبايا في بيوت الفاتحين العرب مثل هذا الأثر في تطوير العادات العربية .. وقل مثل ذلك عن عيش الجنود المقاتلة من عرب وغير عرب في ثكنات عسكرية عيشةً

مشتركة .. ويذكر التاريخ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وُفِّق توفيقاً كبيراً في عدم تقسيمه الأراضي المفتوحة بين الغزاة العرب باعتبارها من الفيء ، ولكنه – على حد قول الدكتور شكري – لم يوفق في الحد من اصطناع السبي ، خاصة وأن الإسلام شجع كثيراً على عتق السبايا وجعل ذلك قربى من الله ، واعتبر المحررات كالعربيات زوجاتٍ مؤمناتٍ لهن ما لسائر الزوجات المؤمنات من حقوق كاملة ..

وكان من آثار هذا الإختلاط تسرُّب اللكنة الأعجمية إلى الألسنة . فالصاد مثلاً عسيرة اللفظ على الأعاجم ، فكانوا يلفظونها سيناً . فيقولون : (ما تسنأ بدلاً من : ما تصنع ..) . وكانوا يخطئون في تركيب الجمل نفسها حتى لتستعصي على الفهم . ويروي صاحب البيان والتبيين (ج٢ ص٢١٣) أن امرأة من الأعاجم قالت لولدها : « جردان دخل في عجان أمك » تريد أن الجرذ أكل من عجينها .. وهذا وضع طبيعي ولا عيب فيه ، فنحن حين درسنا اللغات الأجنبية ، كنا نرتكب مثل هذه الحماقات .. غير أن كثرة الأعاجم واختلاطَهم القوي بالعرب ، أثرا في اللغة العربية أثراً سيئاً ..

وقد عرفت حركة الفتوح أدباً جديداً تَمَثَّل أكثرَ ما تمثل في **تمجيد البطولات** في خوض المعارك ورفع راية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ونشر الدعوة .. ولكن حين تَدْخُلُ السيوفُ في أغمادها ، ويضمِّدُ المقاتلون جراحهم في أرض الغربة يأخذهم الحنين في هدأة الليل إلى الأب والأم والزوجة والولد في أرض الوطن ، فيترجمون عواطفهم هذه بأبيات أو قصائد أخذت تعرف **بشعر المواجد** .

غير أنه بعد أن يتحقق النصر ويسود السلم ، عن رضى أو عن كره ، تكون الهجمة العسكرية قد حققت أهدافها .. عندها يأخذ المقاتل

بالاندماج في الحياة المدنية .. ويُخْلِدُ إلى راحة الأسرة ، التي أنشأها كثيرٌ من العرب في أرض الغربة .. وعندها تعود الشاعرية إلى القلوب تَحْفِرُ في ثناياها مساربَ لينابيعَ صافيةٍ تترقرق على جنباتها شعراً غزلياً ناعماً متأثراً برقة البيئة الجديدة ، وهي على كل حال بيئةٌ بعيدة عن بكاء الأطلال وبعر الآرام أو مراجيع الوشم في نواشر المعصم .. غير أن السياسة ما لبثت أن حركت عقاربها ، في صورة أشعار نظمتها الفرق الدينية في الدعوة إلى مبادئها ..

ثانياً ـ المؤلفات الأدبية

في نطاق فعاليات الدكتور شكري الأدبية ، نجد كتابين من أجمل وأصفى ما دبجته يراعته ، وهما :

١ ـ مناهج الدراسة في الأدب العربي .

٢ ـ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام .

وإلى جانبهما نجد له :

٣ ـ أبحاثاً أدبية كثيرة .

٤ ـ تحقيق بعض الكتب القديمة ونَشْرها .

وسوف أتناول تباعاً وبإيجاز هذه الأعمال في أربعة مباحث ، هي التالية :

١ ـ مناهج الدراسة الأدبية

خصص الدكتور شكري هذا الكتاب النفيس لدراسة « مناهج البحث في أدبنا العربي والطرائق التي غلبت على الدراسات الأدبية والنظريات التي تتحكم فيها من ورائها ، فتوجهها هذه الوجهة أو تلك » ، كما يقول .

ومرتكز بحثه أنه « خير للأدب أن ينطلق فيسعى إلى منهج جديد يضبط دراسته ويوحِّد وجهته ويجعله ينشد وجدانه في هذه المدارس الفنية

العميقة بدل أن ينشدها في مظاهر خادعة من وحدة العصر أو وحدة المنشأ والوطن أو وحدة الغرض والموضوع .. » .

والذي أقلقه وجعله يفكر في واقع دراسة الأدب العربي ، التي لا تزال ضئيلة الحظ من النماء ، قليلة النصيب من النضج « أن الدراسات الإنسانية الأخرى تتقدم ... أما درس الأدب فلا يزال في مكانه من البساطة حيناً والغموض حيناً آخر ... » .

وعلة هذا التأخر ترجع إلى فقر المناهج .. ومن هذا المنطلق خصص هذا الكتاب لدراسة ست نظريات تعاورت دراسة الأدب العربي حديثاً ، لكي يخلص من هذه الدراسة الشاملة إلى المناداة بطريقة جديدة أُخذت عليه مجامع قلبه ..

وفيما يلي نظرة موجزة في هذه المدارس مستقاة من دراسة الدكتور شكري :

١ – النظرية المدرسية

وهي تقسم الأدب العربي إلى خمس مراحل متطابقة مع تقسيم العصور السياسية . وأبرز ممثليها أحمد حسن الزيات والشيخ أحمد الإسكندري . وبموجبها يقسم الأدب العربي إلى عصر الجاهلية وعصر صدر الإسلام والدولة الأموية وعصر الدولة العباسية بما فيه الأدب الأندلسي ، وعصر الدول المتتابعة ، وربما خُصَّ عصر النهضة الأخيرة بتسمية مستقلة .

ويأخذ الدكتور شكري على هذه المدرسة أنها تربط بين السياسة والأدب وتعلي كثيراً من شأن العامل السياسي . كذلك فإنه يلومها على هذه المطابقة غير الصحيحة بين العصر السياسي والتيار الأدبي الذي لا يمكن أن يُحَدَّ ببدء عهدٍ سياسي وانقضائه .. لأن الأدب لا يمكن أن يكون ظلاً لنوازع السلطان وأصحابه .. وإذا كان صحيحاً وميسوراً أن نقول إن الدولة العباسية قامت عام ١٣٢هـ ، فإن من الصحيح أيضاً أن

نقول إنها كانت في أذهان بني العباس منذ أن اختلف المسلمون في سقيفة بني ساعدة واستمرَّتْ حية في قلوبهم حين اشتبكت قوات علي ومعاوية .. وإذن فعام ١٣٢هـ . ليس أكثر من الميلاد الرسمي للدولة العباسية ، وهو تاريخ لا يمكن أن تلتزم به الدراسة الأدبية ، كبداية عهد جديد للأدب ..

كذلك يؤخذ على هذه المدرسة تشبثها بالعامل الزمني **ونسيانها أثر العامل المكاني** . وهو فرق نلمسه في التباين بين شعر البادية وكثبان الرمال والدِّمَن وبين الشعر المتردد في جنان الشام وأرض السواد ودجلتها وأنفاس الحضارة في بساتين قرطبة ووادي آش ..

وقد نبذ المؤلف هذه النظرية لأنها أصيبت بالجمود ووقفت بالدراسة الأدبية عند القمم الشامخة من كل عصر ، دون أن يكون للمقلين كبير نصيب من الدراسة والاهتمام .. في حين أن دراسة واحد من المقلين النوابغ تكشف حسب تعبير الدكتور شكري « عن كثير من الخبيء المستغلق في تاريخنا الأدبي » .

وإذا كانت هذه النظرية قد أدت خدمة جلى لدراسة الأدب ، بأن أقامت له بنياناً كان جديراً بالإعجاب : فإن من حق التطور أن يسعى إلى إقامة بنيان جديد على أنقاض بنيان لم يصمد لضربات الفكر ، يكون من شأنه تفادي عيوب النظرية المدرسية .

٢ ـ نظرية الفنون الأدبية

يبدو أن أول من حاول بذر بذرة هذه المدرسة ، المرحوم جرجي زيدان . وقد كان هذا البحّاثة الكبير طليعة أصحاب النظرية السابقة ، غير أنه عمد في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » إلى تبني أسلوب غير أسلوب التقسيم التاريخي ، ويعتمد الأسلوب الجديد ـ أو النظرية الجديدة ـ إلى اعتماد تقسيم النشاط الأدبي على مواضيعه أي فنونه المختلفة ، كالحماسة

والغزل وشعر الطبيعة والفخر والهجاء والتصوف ... وحين ندرس واحداً من هذه الفنون فإننا نكون ملزمين حكماً بدارسة المشاهير الذين نبغوا في هذا الفن ، وكذلك الأدباء الذين لم ينالوا درجة عليا من الشهرة ، حتى يتاح للباحث الإحاطة بجميع عناصر هذا الفن ويستوفِيَهُ . وبذلك ينال المغمورون حقهم من الدراسة ...

ولكن الدكتور شكري يأخذ على هذه النظرية أنها تهتم **بالفن** ، **وتهمل الفنان** ، أي الشاعر أو الناثر ، فلا تُعْنى بشخصيته أو سيرته الذاتية بصورة مقبولة ..

كذلك فإن الشعر القديم لم يكن يعرف وحدة القصيدة ، إذ كان الشاعر يجمع في قصيدة واحدة مجموعة من الفنون المتعددة المواضيع ، مثل البكاء على الأطلال ومدح الجواد ووصف الحرب وأبطالها وآثارها المدمرة .. والفخر بالقبيلة . وذم المناوئين .. وربما ضمنها أيضاً بعض مواعظ استقاها الشاعر من حياته الطويلة وخبرته العملية ...

ولم يستقم أمر هذه النظرية ، فقال قائلون بنظرية أخرى ، هي :

٣ - نظرية الجنس

مرتكز هذه النظرية أن العرب حملوا راية الإسلام من جزيرتهم إلى بحر الظلمات فأكناف الصين .. كما حملوا إلى هذا العالم الفسيح اللغة العربية .. وكان في هذا العالم أقوام أخرى ، كانوا موجودين في أماكنهم قبيل الغزو الإسلامي وهجرة الفاتحين العرب إليهم .. وأسلم كثيرون من أبناء هذه الشعوب وساهموا في بنيان الحضارة الإسلامية .. منهم عن قناعة ومنهم عن مصلحة ..

ويشهد التاريخ على أن هذه الشعوب لم تَذُبْ في البوتقة العربية ، بل ظلت تحتفظ بجذورها وكثير من رواسبها النفسية والثقافية والمذهبية ..

ومن منطلق هذه الفوارق العرقية ، دعا بعض الباحثين إلى دراسة الأدب العربي على أساس الأجناس .. فندرس الأدب العربي الذي تفرد به الأدباء العرب ، وندرس الأدب العربي الذي صاغه الأدباء الفرس بالعربية ..

ولم تظفر هذه الدعوة باستجابة جدية ، لأنها تنطلق من مفهوم غامض هو أثر الوراثة العرقية في النتاج الأدبي .. كذلك فإن الإسلام ساوى بين المسلمين في الحقوق والواجبات ، ولم يضيق في الزواج على عرق دون آخر .. فالمسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم .. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى .. وقد اندمج المسلمون بعضهم في بعض اندماجاً واسعاً ، بحيث لم يعد ميسوراً القول بوجود شاعر من عرق صاف ، وآخر من عرق هجين .. فقد تصالبت الأعراق تحت لواء الإسلام ، وأخذ قول الرسول الأعظم مداه الأوسع مع مرور الزمن : « يا بني هاشم لا يأتوني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم .. » .

٤ ـ واستعرض الدكتور شكري **بعد ذلك النظرية الثقافية** ، التي تتطلب دراسة الأدب العربي بعد أن امتزجت الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية كالفارسية واليونانية والهندية .. ومن أبرز نماذجها امتزاج الثقافة العربية والثقافة الفارسية في عبد الله بن المقفع ، وامتزاج الثقافات العربية والفارسية واليونانية في الجاحظ .. فقد حذق كثير من الأدباء ، وخاصة الفرس منهم الأدب العربي والأدب الفارسي ، فجمعوا بين محاسن الثقافتين . وهكذا نشأ أدب جديد يحمل خصائص مشتركة ومزايا جديدة ، هي أثر لهذا التزاوج الثقافي .

وينقل الدكتور شكري هذه الواقعة المعبرة . قال : يروى أن الرشيد أوصى أستاذ أبنائه الكسائي بما يلي : « يا عليُّ بن حمزة : قد أحللناك المحل

الذي لم تكن تَبْلُغُهُ همتُك ، فروَّنا من الأشعار أعفَّها ومن الأحاديث أجمعَها لمحاسن الأخلاق ، وذاكرنا بآداب الفرس والروم .. » . مما يعني أن دراسة الأدب يجب أن تُعنى عناية خاصة بدارسة الثقافات المختلفة التي تعاونت على الإنتاج الأدبي .

ونظن أن هذه النظرية تأخذ اليوم مداها الواسع في اختلاف المناهل الأجنبية التي ينهل منها أدباؤنا ومفكرونا أثناء دراساتهم في الجامعات الأجنبية . فجماعة السوربون يتحسسون برقة الأدب الفرنسي وجماعة اكسفورد يتذوقون عذوبة الآداب الإنكليزية ، والذي درسوا في جامعات الاتحاد السوفيتي يستطيبون كتابات تولوستوي وديستويفسكي .. وهؤلاء وأولئك ينقلون إلى بلادهم وتلامذتهم روائع ثقافاتهم الأجنبية .. وعن التفاعل الثقافي بين الثقافات المتعددة ينشأ أدب منفتح على أرجاء الأرض ..

ومع ذلك فإن الدكتور شكري لا يستمسك بهذه النظرية ، لأن التركيز في نظره على تضافر الثقافات يظل ناقصاً لأنه يتشبث بالقوالب المادية ويهمل شخصية الأديب ونفسيته . ومن أبرز عوامل الشخصية ، **العاطفة والخيال** . فهي نظرية تظلم الأديب « لأنها تهدر أثره الفردي في الإبداع الفني » .

وإذن فالنظرية الثقافية تصلح لدراسة تطور الحضارات واستقراء عناصرها المتمثلة في تزاوج الثقافات ، ولكنها لا تصلح وعاءً لدراسة الأدب بصورة عامة ، والأدب العربي بصورة خاصة ...

٥ ـ نظرية المذاهب الفنية

هذه نظرية مغرية ، موضوعها دراسة الأدب العربي وفق اسس الناحية الفنية التي تسود في عصر من العصور الأدبية .

فابن رشيق مثلاً ، وهو من قدماء مؤرخي الآداب ، حاول أن يصنف الشعراء في أربعة زمر :

شاعر خنذيذ ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره .

وشاعر مُفْلِق ، وهو مجوِّد إلا أنه لا يروي لغيره .

وشاعر فقط ، وهو فوق الرديء بدرجة .

وشعرور ، وهو لا شيء .

ويأتي من المعاصرين الدكتور طه حسين ليبرز هذه المدرسة في كتابه الأدب الجاهلي . فهو يدرس زهيراً وأوس بن حَجَر والحطيئة وجميل بن معمر ، ويرى أنهم يشكلون مذهباً فنياً واحداً ومتكاملاً ، وخاصية هذا المذهب أنه يهتم باللفظ الرصين ويعتني بالأسلوب المتين ويجوِّدُهُ ويحفلُ بالعناصر المادية للتشبيه ..

ويمكن الاستفادة من هذه المدرسة في التعرُّف **إلى الشعر المنحول** . وهذا أمر مهم جداً ، لأن الشعر العربي لم يُدوَّنْ إلا بعد حياة الاستقرار ، بعد الفتوحات الكبرى .. وحين بدأ التدوين تدخلتْ العصبيات القبلية والعصبيات الشعوبية لاختلاق شعر مكذوب ينسبه مخترعوه إلى شاعر من الشعراء القدامى ..

فإذا طبقت النظرية الثقافية على شخصية شاعر وعرف الباحث عناصرها الإبداعية والفكرية ، جاز لنا أن نقول عن أبياتٍ إنها من شعره أو أنها منحولة عليه . ولكن هذا القول يصح من الناحية النظرية . أما من الناحية العملية ، فالجزم بنسبة الشعر إلى الشاعر لا يخلو من مجازفة غير مضمونة !.. ثم إنها كما ينتقدها الدكتور شكري تجازف بأن تنقلب الوسيلة عندها هدفاً والهدف وسيلة ، فتصنف المدارس الأدبية أولاً ثم تحاول أن

تقيس بها الأدباء ثانياً وبذلك تنقلب إلى عمل خيالي فيه مجال كبير للظن ..

وهذا سبب يكفي للتخلي عنها والبحث عن منهج آخر ، أو نظرية أخرى ، هي :

٦ ـ النظرية الإقليمية

ومؤداها أن تدرس الآداب ، لا ككل في البلاد الناطقة بالعربية ، وإنما وفق التقسيمات الإقليمية ، فهناك الأدب المصري ، والأدب السوري والأدب المغربي . فمثلاً أحمد الإسكندري قسم دراسة الأدب العربي إلى قسمين :

حالة اللغة العربية وآدابها في الممالك الشرقية .

وحالتها في الممالك الغربية .

ويقول جرجي زيدان : « من القواعد الثابتة في علم الطبيعة أن للإقليم تأثيراً في أخلاق الناس وأبدانهم فيختلفون صحة ونشاطاً وبديهة وذكاءً باختلاف الإقليم .

وبناء على اختلاف الأمزجة باختلاف الإقليم فقد امتاز كل اقليم من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر . فاشتهر أهل الحجاز بالرقة وأكثر شعرهم الغزل ، واشتهر أهل نجد بالبلاغة ، وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب .. » .

وعلى هذا الأساس قسم الشعراء إلى سبعة أقسام بحسب مواطنهم : شعراء مصر والشام والعراق والجزيرة وفارس والأندلس والمغرب وجزيرة نعرب .

وكان من حظ الدكتور شكري أن الذي أشرف على رسالته هذه ستاذ عرف بتشدده الإقليمي هو الأستاذ أمين الخولي . ولكن عناد الأ..اذ

لم يستطع ليَّ زند الطالب ، فكان أن تابع الدكتور شكري سيره في نظرته القومية إلى الأدب العربي .

وللأمانة فأنا عَلَّمْتُ طيلة حياتي أهمية البيئة الإقليمية في حركة الإجرام بعد أن استهوتني لفترة نظرية الوراثة .. ولكن شتان بين الانحراف الخلقي من البيئة الفاسدة ، وبين حركة ابداع منطلقة من روح شاعرية تتحسس بالواقع دون شك ، ولكنها تظل تحوم في الأجواء العليا ، التي هي مواطن الوحي والإلهام ..

وتعود النظرية الإقليمية في جذورها الأدبية إلى الفرنسي الأستاذ Taine ، ومنطلقها قاعدةٌ مادية هي أن لكل واقعة سبباً ، ولكل نتيجة مقدمةً . ولكن إذا صح تفسير القوانين المادية بهذه الحتمية المتزمتة ، فإن في الحياة الأدبية نوازعَ وأخيلةً وعواطفَ وإلهاماتٍ تتمرد على كل القيود والقوالب المادية .. وفي أيامنا نجد بروز نظرية نفسية في تعليل الإجرام ، إلى جانب نظرية البيئة التي يرفع لواءها عالياً الأستاذ الأمريكي سذرلاند .. وإذن فالعناصر الذاتية تبقى في حياة الأدب أقوى المؤثرات الإبداعية ...

ونحن الذين نشأنا على الإيمان بوحدة العرب ، نشعر بشيء من الصدمة والإمتعاض حين يراد أن يفرض على مشاعرنا مفهوم إقليمي لا يمكن أن تستسيغه نفوسنا .. وعلى أساس هذه النظرة ، قلب الدكتور شكري ظهر المجن لهذه النظرية أيضاً ..

إذن ، طالما أن كل هذه النظريات التي عرضنا لها لم تقنع المرحوم ولم تقنعْنا من بعده أيضاً ، فهل يجب أن تظل دراسة الأدب بدون منهج مقبول تسير عليه ؟ والجواب ! أبداً .. لقد نادى الدكتور فيصل بمنهج جديد ، خصص له القسم الأخير من كتابه .. وقد أوجز تعريفه له بقوله :

« وحدة في الهدف وكثرةٌ في الوسائل » .

وهذا المنهج يدعو إلى الافادة من النتائج التي وصلت إليها المدارس السابقة والحقائق التي توصلت إليها .. بحيث إنها تتعاون وتتضامن تضامناً مثمراً ، دون أن يخلط المنهج الجديد بين تلك المدارس أو يمزج بينها مزجاً أعمى ..

وهو يُبْقي على كل نظرية ، ويعمل على الانتفاع بما حققته ، مع بقائه مخالفاً لها في الأصل ..

وهو يعترف بأن هذا « المنهج الجديد » ليس منهجاً جديداً كل الجدة « ولكنه هذا التفاعل الذي تحققه المناهج المختلفة بعد توجيهها ولفتها هذا اللفت الخاص والخروج بها من منطقة الاستئثار الضيق بالدراسة الأدبية ، إلى منطقة التعاون الواسع » (ص٢٢٦) .

« ... إنه نوع من التركيب الذي يعتمد الإبداع وأسلوبَ الجمع الذي يستند إلى الخلق ».

ولست أدري إذا كانت المناسبة مواتية هنا ، لأتساءل : عما إذا كان الدكتور شكري يدعو إلى مذهب انتقائي بين المذاهب الأدبية éclectisme نحن نتبناه في نطاق العلوم الجنائية ، وقد علّمناه في الجامعة قرابة نصف قرنٍ خاصة بعد أن استقرت النفس وهدأت ثورة الشباب وجموحه ...

وهذا ما انتهى إليه :

« نحن نرحب بدراسة أثر الأقاليم الإسلامية في أدبها .. ونحن نفرح بالتعرُّف الصادق إلى خصائص الجنس عند شاعرٍ أو كاتب .. ونحن نُكْبر دراسةَ الثقافات وتفاعلها وما ألْقَتْ على الأدب من ظلال وما أغدقت عليه من فكر . ونحِسُّ لذلك الأثَرَ في نشأة مذاهبَ فنية جديدة ، ونحن نتناول الدراسة الزمنية وما يكون من هذه الصلة بين الشعر والسياسة .. ومن هنا لم يكن المنهج الجديد قسيماً للمناهج السابقة ولا خصماً لها ، ولكنه توجيهٌ

وتتويجٌ لها وتركيبٌ يبدع النتائج التي تصل إليها » .

ولكنه يشترط أن تُعتبرَ القضيةُ الأدبية أصلاً ، فلا تكون مثلاً مرتبطةً بعجلة السياسة ، كما يبدو من تعاليم النظرية المدرسية .. أي أن يكون جوهر الدراسة الأدبية هو هذه الظاهرة الأدبية بالذات ، وليس حوادث السياسة وعمل الإقليم وأثَر الثقافات ..

أما القضايا الجانبيَّةُ ، كالاقتصاد والواقع الاجتماعي والسياسي ، فتكون قضايا جانبية مساندة (أي مسعفة كما يقول ص٢٣٠) ..

ولذلك « فإن المنهج الذي يجب أن نصطنعه يقوم على هذا الانتقال من الفردي إلى العام ومن الجزئي إلى الكلي .. فندرس الأديب أو الشاعر في كل أوضاعه وألوانه ونحيطُ بكل مظاهره وصوره ونتعمق عوالمه الداخلية ونَرْصُدُ كلَّ أحاسيسه . فإذا نحن نكشف عن هذه الروح التي سادته والمُثُلِ التي أظلته .. » .

٢ ـ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام

الحديث عن الغزل يظل حديثاً جذاباً ، محبباً إلى القلب ، أثيراً إلى العواطف .. إنه خلجاتُ الهوى في أعماق النفس ، ولوعةُ الشوق تترقرق على مرارة الحرمان . ويكون الغزل أحلى إذا تحدث عنه مؤلفٌ عُرِف بعواطفه الدينية القوية واستمساكه بالقواعد الشرعية ...

وقد بحث الدكتور شكري هذا التطور بحث العالم الموضوعي لرسم مساره ، وإبراز الفوارق بين عصرٍ لم يكن يردع الشاعر فيه رادعٌ ، وعصرٍ كان على الشاعر فيه أن يعرف أنه يتحرك بين الحلال والحرام ، وبين المباح والتعرُّض إلى حد القذف ...

والغزل في جانب منه حسي ، وكان الغالب في الجاهلية ، ولكنه في جانبه الروحي نفحةٌ سماوية ...

وقد خصص الدكتور شكري كتابه المتألق والمتأنق ، لدراسة تطور الغزل العربي من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، من الذي قالت له فاطمة وقد مال بهما الغبيط :

« عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل » ...

إلى عمر بن أبي ربيعة .. الذي نقل عنه الرواة وهو يحتضر أنه أقسم بالله على أنه لم يرفع ثوبه على حرام .. أي أن غزله كان نفثات قلبٍ موجع يتغذى بالأوهام ... والكتاب كبير الحجم نسبياً يقع في ٥٨٤ صفحة وثلاثة أبواب خصصت للغزل الجاهلي والغزل في عصر صدر الإسلام والغزل في العصر الأموي . وقد برهن المؤلف عن تمكن من النصوص الأدبية ، وطاقة عجيبة على تحليلها واستخراجِ أعمق المعاني منها .. فهو يأخذ النص ، كَمَشَاهِدِ الارتحال والتحمل ، ووصف المحاسن ، ويتقصّى هذه الفنون في شعر عددٍ من مشاهير شعراء الجاهلية ، ويخلص إلى القول بأن الغزل الجاهلي يَتَّصِفُ بأنه غزلٌ تشبيهي يُعْنَى بالمظاهر الخارجية ، ومنه ما يمتاز بالدِّقة ومنه ما يظل سطحياً .. والمرأة عند الجاهليين شيء هام في حياتهم العاطفية والجمالية .. وجمالها هو الصورة المثلى للجمال (ص١٧٨) .. وفي الحديث عنها كان امرؤ القيس مثلاً يتمتع بجرأة متناهية في القول الماجن .. وكان عنترة يتغزل باحتشام في عبلة ، لا يُسِفُّ ولا يترخص في القول ..

وجاء العهد الإسلامي بمفهوم جديد عن الغزل ، اختار له الدكتور شكري نموذجاً من قول ابن قيم الجوزية في تحميدة كتابه :

« الحمد لله الذي جعل المحبة إلى الظفر بالمحبوب سبيلاً .. وأثار بها الهمم السامية والعزمات العالية إلى أشرف غاياتها تخصيصاً لها وتأهيلاً » .

وإذن فالحب في الإسلام – على حد قوله – ليسَ قَصْرَ هذه العاطفة

السامية على ارواء الهوى واشباع الغرض .. وإنما يجب أن يكون قوة حافزة ودافعة إلى تحقيق غايات الدين من إعمار المجتمع وإنشاء الأجيال المؤمنة ..

ويبدو لنا أن الغزليين الإسلاميين لم يَبْقَوا على هذا الفهم ، فقد انشطروا إلى شعراء أحبوا محبوباتهم حباً عذرياً وشببوا بهن إرواءً لعاطفة متقدة لم تُوَجَّهْ إلى غير الناحية الفنية المثالية ، كجميل بن معمر ، وإلى شعراءَ اتخذوا من الغزل مطية لإثبات شاعريتهم القوية ، ولم يَقْصِرُوا حبهم على بثينة والأخيلية ، بل عددوا النساء اللواتي تغزلوا بهن ، وتخلوا عن الأطلال ، وتمثلوا حضارة عصرهم فانعكست في هذه الموسيقية الطلقة الخفيفة التي تنطق بها قصائدهم ، وما أحلى ما قاله عمر بن أبي ربيعة في هذه الأبيات العفيفة :

نظرت إليها بالمحصَّب من منى	ولي نظر لولا التحرُّج عازمُ
فقلت أصبح أم مصابيح بيعة	بدتْ لك تحت السَّجْف أم أنت حالم
بعيدة مهوى القُرط إما لنوفلٍ	أبوها ، وإما عبدُ شمس وهاشم

ويأتي على رأس هؤلاء المجددين عمر بن أبي ربيعة ، الذي خصه الدكتور شكري بدراسة عميقة ، وخاصة رائيتَه المشهورة ، بلغت أكثر من ثلث الكتاب ..

ويكفيني أن أقول في هذا المؤلف الرائع إنه عمل إبداعي حقاً ، ما أظن أن أحداً من المؤلفين في الأدب سبقه إليه .. وليس من الضروري أن نتبنى وجهةَ نظر المؤلف دون نقاش .. في كل ما قاله عن الغزل .

ثالثاً ـ أبحاث أدبية أخرى

وهذه الأبحاث كثيرة تناول فيها عدداً من المواضيع ، التي تتصف بأنها تتدفق من ينبوع ثر .. أذكر بعضاً من عناوينها .

١ ــ شفيق جبري الشاعر والشعر

ويقول عنه « إنه كان مشدوداً إلى ثروة أدبية عربية ، وكان مزوداً بتراث كبير . وهو ينفي عن أدبه وجود الرومانتيكية التي نقلها بعض الأدباء من الغرب . وجبري ، العربي الفخور بعروبته ، يطرب ليوم الجلاء فيقول :

أتكذب العين والرايات خافقةٌ   أم تكذب الأذن والدنيا أغاريد

٢ ــ البيان النبوي

وهو دراسة نشرتْها وزارةُ الشؤون الدينية الجزائرية بحث فيها أشكال البيان النبوي (الأحاديث الشفوية والرسائل المكتوبة والخطب المرتجلة) وأبرز القيم التي يتضمنها (دينية وأخلاقية واجتماعية وشعورية) ..

وقد قال في هذا البيان : « لقد تحقق له هذا المستوى الرفيع في الأداء ، وهذه الروعة في إخراج الكلام هذا المخرج أو ذاك ، وهذا الإعجاز المشتقُ من الإعجاز القرآني والمتصل به .. حتى أن الرسول أحسه من نفسه فسماه جوامع الكلم » .

٣ ــ مقالة في الأستاذ محمد كردعلي

٤ ــ مقالة في محمد جميل بيهم

٥ ــ مقالة في الدكتور ميشيل حنا الخوري

٦ ــ مقالة في الشيخ محمد بشير الإبراهيمي

٧ ــ مقالة في الأستاذ المجمعي عز الدين التنوخي

٨ ــ مقالة في السيدة المرحومة عادلة بيهم الجزائري

وهذه سيدة فاضلة رائدة عملت بكل كرامة وثبات على نشر تعليم المرأة وتحريرها في اطار المُثل الروحية السامية .. وقد قال فيها الدكتور شكري ما يلي : « لا بد أن تأخذ المرأة العربية مكانها .. لا بد أن تخرج من

إسَارِ الجهل إلى ضياء العلم ، ومن ربقة التأخر إلى أفق التفتح . ولا بد أن تخرج من ذلك في كثير من الحذر ، حتى لا تضل الطريق ولا تنزلق بها المزالق .. » .

وهذا قول جدير بالتأييد ، فتحرير المرأة ضرورة دينية وقومية واجتماعية ، وهو يعني تمكينها من ممارسة حقوقها الإنسانية والقانونية .. ولا يعني أبداً الانحلال والفساد ..

٩ ـ مقال عن خير الدين الزركلي الشاعر الرقيق . فقد درس شعره وأشاد بموسيقيته وامتدح عاطفيته الجياشة .. وفيما يلي أبيات اختارها من ديوانه الدكتور شكري :

يَجْني وأشكُرُ في الهوى يَدَهُ   وطنٌ شَقيتُ به لأُسْعِدَهُ
آليتُ ، لا باليتُ بي ألماً   وبه دمٌ حتى أضمِّدَهُ
يومي له ، وغدي له هبةٌ   وعساي أحْمَدُ في غدي غَدَه
كم ليلةٍ سامرتُ أنجمها   مترقباً في الشرق فرقَدَه
ويح السياسة في تقلبها   يسلو الحليمُ بها تجلده

١٠ ـ مقالة عن الشاعر القروي ...

وللقروي مكانة خاصة في نفسي ، ليس هنا مكان الإشادة بها ...

١١ ـ دراسة مطولة عن كتاب « روح القدس في محاسبة النفس » لابن عربي .

١٢ ـ الصحافة الأدبية . وهي دراسة مفصلة عن مجلة المجمع العلمي العربي في عشر محاضرات ألقاها عام ١٩٥٩ على طلبة معهد الدراسات العالية في القاهرة .

١٣ ـ المصلحون ، وهي مقالة بعنوان « بين تشرين الذي كان وتشرين الذي يكون » درس فيها دعوات الإصلاح التي نادى بها محمد عبده

ورشيد رضا وابن تيمية وساطع الحصري ، وفيها هجوم شديد على النُّعَرة الإقليمية ..

١٤ ـ ثلاثة أحاديث في الإذاعة عن كتاب الثعالبي .

وقد قال الدكتور شكري عن هذا الكتاب :

« إنه يتناول لوناً من ألوان التعبير الفني الذي يَعْتَمِدُ على عَقْدِ جملة من المشابِهات بين جملة من الأشياء ، لا يبدو أن بينها من الصلات ما يسمح بإقامة هذا التشابه . ولكن الشاعر بموهبته الفنية قادرٌ على أن يلتقط هذه المشابِهات ثم يعرضها على الناس » .

وفيما يلي مثل اختاره الثعالبي من شعر أبي تمام لتوضيح الفكرة :

ما اليومُ أولُ توديع ولا الثاني ... البينُ أكثرُ من شوقي وأحزاني
دَعِ الفراقَ فإنَّ الدهرَ ساعَدَه ... فصار أملكَ من روحي بجُثماني
بالشام قومي وبغدادُ الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما فعلتْ ... حتى تجاوز بي أقصى خراسان
خَلَّفْتُ بالأفق الغربي لي سَكَناً ... قد كان عيشي به يحلو بحلوان

رابعاً ـ كتب قديمة حققها

هذه كتب قديمة ظفرت بولع الدكتور شكري وعنايته ، فعمل على إخراجها سليمةً من العيوب مبرأة من التصحيف والتحريف . وهذه الكتب هي :

١ ـ مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام .
٢ ـ خريدة القصر وجريدة العصر للثعالبي (أربعة أجزاء) .
٣ ـ ديوان الشاعر الزاهد أبي العتاهية ، مع أخباره .
٤ ـ ثلاثة أجزاء من تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر .
٥ ـ الوافي للصفدي ، الجزء الخامس عشر .
٦ ـ ديوان النابغة الذبياني (صنعة ابن السكِّيت) .

هذا بالإضافة إلى سلسلة من المقالات لم ترد في هذا السرد ، في مجلتي المجمع والمعرفة . وقد قدم لائحة بها الدكتور عدنان الخطيب في دراسته الممتازة بعنوان « شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً »[1] .

وأود أن أشير إشارة خاصة إلى عمل كبير قام به الدكتور شكري هو **جمعه أهم أعمال الدكتور طه حسين** في ثلاثة أجزاء كبيرة ، انتقاها وأشرف على طباعتها . والذي دفعه إلى هذا العمل وفاؤه لأستاذه ، وهو المعروف بالوفاء ، ورغبته في وضع كتاب نفيس تحت أيدي الأدباء العرب .

وهاكم ما قاله عن طه حسين في مقال نشره في مجلة المعرفة (عدد تشرين الثاني ١٩٧٤) :

« أَجَلُّ هو في عيني وفي نفسي من أن أتناول حياته ببحث ، أو أن أعرض لكتاب من كتبه بدراسة ، أو أن أتوقف عند جانب من جوانب أدبه بالتحليل ... فلم يكنْ عندي المؤلِّفَ ولا الباحث ولا الناقد ، ولم يكن عندي الأديبَ الذي لا يُجَارى ، وصاحبَ البيان الذي لا يُضاهى .. وإنما كان قبل ذلك الأستاذ .. ولا يحتمل وفائي لأساتذتي أن ألقاهم بغير النظرة الحيِيَّة . إني لأغضي حياءً منهم وتوقيراً لهم .. » .

خامساً ـ العروبي الإسلامي

أشعر بأن دراستي هذه تبقى ناقصةً ، إذا أنا اكتفيت بعرض أعمال الدكتور شكري دون أن أتحدث عن قناعاته الشخصية ، كما تظهر من كتاباته . وأبرز هذه القناعات ، العروبة والإسلام ، والربط بينهما ربطاً عضوياً لا انفصام له . فمن هذين الينبوعين الثَّرَّيْنِ ، تفجرت عدة دراساتٍ على جانب كبير من الغنى واستشراف آفاق المستقبل .

١ ـ **ففي موضوع العروبة** ، نلمس إيماناً راسخاً بوحدة العرب

(١) دار الفكر للطباعة ١٩٨٦ ، ص٤٨ و٤٩ و٧٢ و٧٣ .

لا يتزعزع ، كما نلمس عاطفة مقاتلة في حب اللغة العربية والدفاع عنها . ويعرف كل من كان على صلة به ما كان يعتمل في صدره من قناعة وحدوية بدت ظاهرة على سن قلمه منذ أمسك به يافعاً ، وظل على إيمانه الذي لم يساوره شكوك ، حتى أسلم الأمانة راضياً مرضياً إلى الأجيال الكثيرة من طلابه في شتى أرجاء الوطن العربي . وليس من عجبٍ في ذلك ، فقد كان أبناء جيله من الذين عاشوا تحت كابوس الانتداب والحماية الفرنسيين والبريطانيين يقاتلون لمستعمرين بكل وسيلة متاحة .. وكان أساتذتنا وقادة النضال الوطني يعلموننا أن مقارعة الأجنبي المحتل دينٌ وشرف وفريضة ..

ولم يكن معقولاً أن يبقى الدكتور شكري خارج الحلبة . فقد عمل مع أعضاء عصبة العمل القومي ، وكانوا من خيرة شباب الوطن .. وكتب في جريدتها معرضاً نفسه لغضب الانتدابيين .. وحين أعلنت الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨ أصبح عضواً في الاتحاد القومي .. ثم اختير عضواً في مجلس الشعب الموحد . وحين وقع الانفصال في ليلة مشؤومة تداعى عدد من القوميين الوحدويين وشكلنا الجبهة العربية المتحدة من أجل إعادة ربط ما انفصم من الرابطة القومية .. وكان للجبهة قيادتان ، علنية وسرية .. وكان المرحوم أحدَ أعضاءِ القيادة السرية . وقد قاتل بالسيفين في سبيل إعادة دولة الوحدة ، ولكن كان للأحداث منطق آخر . ثم جمعتني به غِيَرُ الأحداث التالية خمسة شهور في المعتقل ، فألفيت فيه المؤمن الصابر على قضاء الله .

وكان رحمه الله يربط ربطاً قوياً بين قوميته وعقيدته ، ففي قناعته أن جميع الحروب والمآسي التي نزلت بهذه المنطقة ، بدأ بالحروب الصليبية ومروراً بالانتدابات الأجنبية وانتهاء بقيام إسرائيل ، إنما كان بسبب إسلامها أولاً واستمساكها بأهدابه .. وكان راسخ القناعة بأن هذه المآسي كانت قادرة على محق العروبة ومفاهيمها ، غير أنها إذا ظلت صامدة ولم تتمكن

الرياح العاتية من بعثرتها شذر مذر ، فإنما مرد ذلك إلى رسوخ الإسلام في النفوس ..

اقرؤوا له هذا المقطع من خطابه في حفل استقبال الدكتور أمجد الطرابلسي : « في سنوات الوحدة الثلاث ، وهي أحلى السنوات في تاريخ الوطن وأحفلها بتجاربه وأقواها أثراً في مستقبله ومستقبل العروبة ، كانت في آذاننا أصوات من كل فج وفي نفوسنا تطلعات في كل أفق وفي قلوبنا آمال هي أغنى الآمال ... كنا نشعر أننا نصوغ من جديد حياة العرب بعيداً عن إقليمياتهم وعن تخلفهم ، وكنا نحس أننا نصل ما كان انقطع من هذا التاريخ ، وأننا بدأنا رحلة الوحدة بعد رحلة الإستقلال ...

ولكن التجربة ، وارحمتاه للوطن المتعثر ، آلت إلى غير مصيرها الطبيعي الذي كان يجب أن يحكمها وانفرط العقد وفي العين دموع .. » .

وهذا المقطع من مقال له في مجلة المعرفة عن « الرومانتيكية العربية » (عدد كانون الثاني ١٩٧٤) :

« ولكن لماذا تظل الحركة العربية سلسلةً من المفاجآت يشتد تواترها ثم يضعف ، فإذا هي في مكانها ..؟ لماذا تتخذ هذا الطابع الرومانتيكي ثم لا تجاوزه إلى ما وراءَه من طابع عقلاني ..؟ » .

حتى وحدة ١٩٥٨ ، هذا الأمل الذي أعاد العرب من جديد إلى ساحة التاريخ ، وقهر للمرة الأولى – بعد صلاح الدين – تفرقهم ، حتى هذه الوحدة لم تعدم بعد ستة أشهر من كان يشرب الشاي في القاهرة ويقسم على قطعها .. هل كان تاريخ هذه المنطقة إلا هذه الحركة المتكاملة بين مصر والشام ؟ » ..

وأسأل : هل الذي بدأنا نسمعه من فترة قصيرة على ألسنة القادة في هذه المنطقة غير هذا الذي قاله الدكتور شكري ؟..

وهل يلومه لائم ، حين يرفض تعبير « التضامن العربي » لأنه في نظره هرطقة وهل يقول قائل عن نظرته « بأن أي رفاه اقتصادي أو تقدم اجتماعي مستقل عن المجموعة العربية إنما هو رفاه مكذوب وتقدم خادع » بأنه ليس على صواب ؟..

ولن يجد المرء شغفاً صوفياً بحب اللغة العربية كشغف الدكتور شكري بها . وكان له نشاط ضخم في موضوع التعريب ، أي إعادة اللغة العربية إلى أهلها ، خاصة في البلاد المغاربية التي أفسدها فيها الاستعمار ، والجزائر أقبح صورة لما جنى فيها الاستعمار الفرنسي خلال قرن وثلث .. حيث حارب العروبة واللغة والإسلام حرباً لا هوادة فيها ..

ومن كتابات المرحوم في هذا الصدد ما يلي[1] :

« إن القَدْرَ الذي يحتاج إليه الوطن العربي من التقدم العلمي ومن شيوع المعرفة العلمية ومن تحديث الفكر المعاصر ، لا يمكن أن يتم إلا عن طريق اللغة العربية ». **وهو يعرِّف اللغة العربية تعريفاً شاعرياً** ينم عن احساس عميق بعظمة هذه اللغة ودورها الحضاري ، في كتابه « المجتمعات الإسلامية »[2] فيقول : « اللغة ليست إلا نسيجاً من أفكار وأَنْظَار ، تزينه وتُحَلِّيه عواطف ومشاعر . ووراء الغلاف اللفظي لكل كلمة ، تستقر حقيقةٌ من الحقائق التي يؤمِنُ بها الشعب أو شحنةٌ من الانفعالات التي يخضع لها ..

والعقائد الكبرى والأساطيرُ والمُثُل ، إنما تتبلور جميعاً في ألفاظ اللغة وكلماتها ..

فلغتُنا ليستْ هذه الألفاظَ الجامدةَ التي تَتَضَامُّ فيها الحروف ، ولكنها

(١) في بحثه « الدراسات الإسلامية اللازمة لمدرسي اللغة العربية » الرياض ١٠-٣-١٩٧٧ .

(٢) ص٢٢٦ .

هذه الأصوات العميقة التي تتركز فيها عواطفُنا وأفكارنا وتصوراتُنا البعيدة . ولكل صوتٍ منها شمولٌ عريض ومدى واسع ونفاذٌ خاص ، وفي أصدائه وحناياه تعيش المخلفاتُ الفكرية والعاطفية لكل القرون التي تقدمت قبلنا » .

وعنده أن عبء التعريب يجب أن تقوم به المجامع الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد .

وتتلخص نظرته إلى واقع اللغة العربية في بحثه الذي قدمه إلى الندوة التي أقامها اتحاد مجامع اللغة العربية في عَمَّان في شهر كانون الأول ١٩٧٨ كما يلي :

١ – يجب أن تكون اللغة العربية واحدة على امتداد الوطن العربي .

٢ – وأنها قضيـةٌ تمتد على تاريخ الوطن العربي في ماضيـه وحاضره ومستقبله .

٣ – وعليها أن تتحدى اللغات الأجنبية ، لصد أخطارها من جهة ، ثم للتفاعل معها لمواكبتها في طريق التقدم ..

٤ – وهي وسيلة الجمع بين أبناء العروبة الذين عصفت بهم أيدي التمزق .

ولكنه لا يتردد في الدعوة إلى فتح النوافذ على لغتنا ، من أجل إدخال التجديد فيها . والتجديد يجب أن يقوم على ثلاثة أسس هي :

١ – طواعية اللغة ، وأفهم من هذا القول ، تخليصها من كل تعقيد يجعلها عسـيرة المـأخذ والاشتقاق .. أي مراجعة قواعد النحو والصرف بصورة خاصة .

٢ – يسر الأسلوب وتبسيطه .

٣ – الخلاص من الزخرف بصورة نهائية .

ولا أريد أن أمر مرور الكرام بالمبدأ الثالث ، وهو « **تفاعل العربية مع اللغات الأخرى** » ، لأن هذا المبدأ الأساسي يفرض علينا تقوية اللغة في مدارسنا الثانوية وفي جامعاتنا .. لا لكي ينجح الطالب في امتحان اللغة

الأجنبية ، وإنما لكي تصبح لغة مراجعة ودراسة جديتين ، يُعَوِّضُ بها عن نقص المؤلفات العربية في جميع نواحي المعرفة ، من فلسفة وقانون وطب وعلوم وتكنولوجيا .. فليس سراً أن المكتبة العربية ، على امتداد الوطن العربي ، تشكو في هذه المراجع نقصاً لا يغتفر .. والمراجعة في اللغة الأصيلة تفوق قراءة الكتب المترجمة .. خاصة إذا كانت الترجمات سقيمة ..

٢ ـ **وفي موضوع الإسلام** ، أشير إلى أن الدكتور شكري مؤمن ممارس للشعائر الدينية . وكل الذين يعرفونه يعرفون أن باطنه في هذا كظاهره الطيب .. وهو كذلك من **دعاة التراث بصورة عامة** . ولقد وقفت عند هذه المسألة لأشير إلى أن المرحوم يريد من هذا التراث أن ينسجم مع مقتضيات التطور العلمي والاجتماعي . ففي بحثه الذي قدمه إلى ندوة مجامع اللغة العربية المنعقدة في عمّان عام ١٩٧٨ يقول مايلي :

« إذا كانت الحروب الصليبية وحروبٌ أخرى بعدها لم تُعْطِ الغربَ الأوربي ما كان يطمح إليه من تفوق ، فإن **الركودَ الإسلامي** أعطى هذا الغرب أثمنَ فرصة حين ساعد بضعفه على أن يجد المسلمون أنفسَهم في موقف التخلف . وقد حارب الاستعمار اللغة العربية لكي يضعف العقيدة الدينية .. » .

ومن شدة حرصه على سلامة العقيدة والتراث ، كان ينظر بحذر شديد إلى غالبية المستشرقين ، وخاصة الأوائل منهم . فقد كان يجد دراساتهم بعيدةً عن الموضوعيةِ في البحث ، وعن الطهارة في الهدف[1] ، لأن أبحاث الاستشراق تصب ، في نظره ، في دوائر وزارات الخارجية أو المستعمرات أو التبشير ...

وتقتضيني الأمانة العلمية ألا أذهب معه إلى نهاية تفكيره ..

فقناعتي أنّ هؤلاء المستشرقين الجواسيس هم القلة .. أما هؤلاء الذين

(١) مقاله « على هامش مؤتمر المستشرقين » الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣ .

أحبوا الحضـــارة العربيـة وسـاعدوا في نشر كنوزها ، وألفوا عنها المؤلفات العميقـة والرائدة ، وعلّمونا طرق البحث في تاريخنا وآدابنا ، فإنهم الكثرة الكاثرة .. ولقد عرفت من بينهم ، رحمهم الله ، من كانوا أساتذة لي ، وكانوا يعلنون عن ضرورة احتلال الحضارة العربية مكانها المرموق .. حتى أن منهم من شارك العرب في مظاهراتهم التي طالبوا فيها باستقلال الجزائر وفي قلب بـاريس ... ولن أذكر من أعمـــالهـم الرائعـة إلا L' Encyclopédie de L' Islam ومؤلفـــات بروكلمـــان وبلاشـــير و Gibb وغوستـاف لوبون وغولدزيهر .. وليس من حقنا أن نرميهم جميعاً بسوء القصد ، إذا توصلوا في أبحاثهم إلى نتائج لا نستطيبها ... والمرحوم لم يعمم القول فيهم جميعاً ، لأنه استثنى من سماهم « الأنقياء » الذين قال عنهم :

« وعلى هذا الطريق تلقى الذين يموتون وهم يقلبون صفحات الكتب بحثاً عن حقيقة ، والذين يبحثون عن أشباه الحقائق يميتون بها الشعوب » .

وحين عالج موضـوع ما يسميـه « **الصحوة الإســلامية بين الواقع والطموح** » في بحث له تحت هذا العنوان ، قال :

« إن أبرز ما تَعْنيهِ الصحوةُ اللَّحاقَ بالركب الإنساني . إنها تتمثل في إنســانٍ نائم خَلَّفتـه القافلة وراءها ، ثم صحا فوجد نفسَـه في مثل حالة الضياع ... فمضى يسعى وراء الركب . وإني أرد هذه الصحوة إلى أنها مظهر من مظاهر التململ وأن لها أثراً تخديرياً » .

ويسوق عدة أمثلة على عدم صحة هذه الصحوة المزعومة .. الثورة الأفغانية والتقاطع بين أقطار الإسلام والدماء التي تسيل أنهاراً على حدود الديار الإسلامية ، والأُميَّة التي تصل إلى نسبة ثلاثة أرباع المسلمين ... ويتساءل « كيف نتحدث عن صحوة إسلامية إذا كنا لم نستطع أن نحقق الحد الأدنى الحضاري »؟

ويطالب بعد ذلك بقوة « **بالتحول إلى صحوة إسلامية فاعلة** » يجب أن نَعْنِي في نظره « تَعَمُّقَ الأساس التنظيري الذي جاءنا من عند الله .. تعمق فهمه وتعمقَ فقهه دون أي خروج عن نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية المشرفة أو ما التقى عليه إجماع المسلمين ..» .

وهذا في نظري هو العمل المثمر للتوفيق بين التراث ووجوب فهمه بنصه وبروحه ، في ظل مقتضيات العصر .. حتى يصح لنا أن نقول بحق : إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .. غير أنه يضع شرطاً جديراً بالتأييد ، هو الآتي :

« إن الحركة الإسلامية لا تتطلع إلى سلطة أو تحكُّمٍ ولا تسابق أصحاب السلطة والحكم عليهما . وعلينا أن نستخدم ما يسمونه الديمقراطية بأصح معانيها ، لأن الصحوة تريد أن يتاح للشعوب في حكومات الإسلام أن تحقق وجودها .. » .

وقد أوضح رأيه في موضوع ممارسة الديمقراطية في مقال له عن « حركات الاصلاح الاجتماعي في العالم الإسلامي »[1] قال فيه :

« وليس للشورى شكل واحد ثابت لا يقبل التغيير ، ولكنَّ لها مفهوماً ثابتاً لا يقبل جوهرهُ التغيير . والقرآن الذي أقر المبدأ لم يتناول **من قريب أو بعيد الشكل** . وقد حاول جمال الدين الأفغاني نشر مبدأ الشورى فحورب بشراسة . **أما العلمُ** فليس شرطاً من شروط النهضة بل هو النهضة بذاتها » .

وقد حَلَّقَ عالياً حين كتب في مقاله « نحو حضارة عربية جديدة »[2] مايلي :

« حين ننظر إلى أقطارنا العربية ... تُرَوِّعُنا مسافةُ هذا الخُلْف بيننا وبين الحضارةِ المعاصرة . وأقسى ما يروعنا أننا لا نصنع الحضارة ، وإنما نحن

(١) من كتاب وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية والإسلامية .

(٢) نشره في مجلة المعرفة ، شباط ١٩٧٥ .

نستهلك الحضارة التي يصنعها الآخرون .. لذلك يجب علينا أن نحقق هدفين متكاملين : اللحاقَ بالركب الحضاري والإسهامَ في قيادة هذا الركب ... وقد كان لنا ماضٍ حضاريٌّ متميز .. فلماذا يظل الوطنُ العربي خارج دائرة الإسهام الحضاري ؟ » .

ويضرب مثلاً على تقدم الشعوب التي كانت نائمةً فاستيقظتْ : اليابانَ « التي استطاعت أن تُحطم أسطورةَ التخلف الشرقي ، وتزرع في ملايين الملايين من الشرقيين خُضْرةَ الأمل » حسب تعبيره .

ولكن من الذي يعمل على بقائنا متخلفين ؟ في رأي الدكتور شكري المسؤول عن تخلفنا هي « هذه القوى غير المجهولة .. قوى أعداء الإنسانية الذين يؤمنون بالتمايز ويضعون الشعوب طبقات ... أولئك أكلة لحوم البشر الذين يختلسون ثروات هذه الشعوب ويُجْهضون ثوراتها .. » .

ونحن أليست لنا مسؤوليةٌ مباشرةٌ وضخمة في تخلفنا ؟ يقيناً لو أن الله مَدَّ في عمره فعاش أحداث ١٩٩٠ و١٩٩١ المبكية على الساحة العربية ، لكان أدخل تعديلاً جذرياً في تفكيره القومي وفي تحديد المسؤولية عن أسباب تخلفنا ...

وما هو سبيلُ سلامة العرب ومنطلقُ تقدمهم ؟ جوابه هو أنَّ دخول العرب التاريخ الحضاري يجب أن يبدأ **بتحريك الوحدة العربية** : « لأن الذين تلهيهم أو تقنعهم في الوطن العربي الممزق بعضُ المنجزات التي استطاعوا أن يحققوها ، فإن عليهم أن يَحْسِبوا قبل أن يفرحوا بما أنجزوا ، المدى الذي لا يزال يَفْصِلُ بينهم وبين الحضارة الموصَدَةِ مِنْ دونهم ..

وإذن فطريق الوحدة وحده بالنسبة إلى العرب هو الذي يمكن أن يكون إنْهاءً لمرحلة القِرْبَةِ المقطوعة . ذلك أن الذي نعملُهُ لا يعدو كثيراً أن يكون وهَمَ محاولةٍ لملء قِرْبَة مقطوعة ...» .

ومن عجب أننا نشهد اليوم ميلاد عملاقٍ ضخم في أوربا ، التي

تناست دولُها أحقادها القديمة والدماءَ التي سفحت بغزارة في ساحات الحروب قروناً طويلةً واندمجتْ في مجموعةٍ اقتصادية كبرى ، وهي تعمل جاهدة على الذوبان في كيانٍ سياسي مُذْهش .. ومع ذلك فنحن ننظر كالمبهوت الذي لا يتعظ ولا يستوعب ...

وكل ما قاله الدكتور شكري في أسباب التخلف العربي بشيء من التعميم ، يتساوق خير تساوق مع الصرخات المدوية التي ارتفعت في عصرنا تطالب بتجديد الفكر العربي .. والفكر الإسلامي أيضاً ..

« فالشيخ محمد عبده قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد والتحرر من قيود التقليد ، فاستعمل عقله الحر في بحوثه ولم يَجْرِ على ما جَمَدَ عليه غيره من أفكار المتقدمين »[1] .

بل إن مفكراً إسلامياً من طلابنا في جامعة دمشق ، هو الدكتور فاروق النبهان يذهب أبعد من ذلك فيقول :

« ظهر في العصر الحديث لونٌ جديد من التفسير يختلف عن المدارس السابقة التي عرفناها . ويهتم هذا التفسير بالجوانب الأدبية والاجتماعية التي يشتمل عليها النص القرآني .. وقد لاقت هذه المدرسة قبولاً طيباً لدى الناس »[2] .

ويضرب الأستاذ مصطفى الزرقا مثلاً ملموساً عن تطور التفسير الفقهي في أيامنا هو نص المادة ٢٢ من قانون الأحوال الشخصية . فقد قرر واضعو هذه المادة أن طلاق السكران والمدهوش والمكره لا يقع ، وكذلك لا يقع الطلاق ثلاثاً إذا تم بلفظ واحد ، كما أجازوا تفويض المرأة بتطليق نفسها . ويقول إن هذا التجديد جاء خلافاً لرأي الأئمة الأربعة أخذاً من فقه

---

(١) انظر الشيخ محمد حسين الذهبي ، المفسرون والتفسير ج٣ ص٢٢٠ .

(٢) في كتابه نظام الحكم في الإسلام ص٣٤٠ .

الإمامين ابن حزم وابن تيمية رضي الله عنهما .

ومنذ العشرينات من هذا القرن أدرك فقيه كبير هو الأستاذ شاكر الحنبلي[١] مدى أهمية تحديد معنى الربا في الشريعة الإسلامية ، فقرر في دراسة مُدْعَمةٍ بالحجج بأن الودائع المصرفية لا تدخل في مفهوم الربا المحرَّم ..

وهو مذهب أيده الدكتور معروف الدواليبي في دراسته التي قدَّمها عام ١٩٥٢ إلى مؤتمر إسلامي عقد في باريس . وجاءت فتوى المفتي العام للجمهورية المصرية الشيخ سيد طنطاوي منذ وقت قريب تفتح الباب أمام تحرير الرأس المال الوطني وتمكين المصارف المحلية من القيام بأعباء التنمية ودعم الصناعات وتأسيس شركات كبرى تقوى على المزاحمة في مصطرع دولي لا يرحم ، في زمنٍ أصبحت فيه الشركاتُ عابرةُ القارات أُخْطَبوطاً هائلاً تهدد برأسمالها الفلكي كلَّ الاقتصادات الصغيرة .

ومن أسفٍ أن دار الإفتاء في مصر لم تتحرك إلا بعد أن فَقَدَ مئاتُ آلافٍ من صغار المدَّخرين أقوات أُسَرهم بسبب تلاعبِ مجموعاتٍ من الذين لا يخافون الله ، تحت ستارٍ شرعي مزعوم .

ولا يجوز أن يكون ذلك خاتمة المطاف ، بل بدايةً صحيحة للشوط الذي يدمجنا في العصر ، ويجعلنا نساهم في إنشاء الحضارة لا أن نستهلكها ونَنْعَم بفتاتِ موائدِ المتقدمين ، كما ذكر المرحوم شكري ..

ومن المهام التي تقع على عاتق المجتهدين ، ولستُ منهم ، مسألةُ رفع العوائق التي تقف في سبيل نوال المرأة حقوقها ، تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ . وهو مذهب نادى به المرحوم أيضاً .. ومن

---

(١) الأستاذ البارز في معهد حقوق دمشق (كلية الحقوق الحالية) .

الأمثلة على هذه العوائق منعُ شهادة المرأة في الحدود والقصاص ، ومسألةُ تحديد ديتها بنصف دية الرجل .. وهي حلولٌ رسخت من قِدَمٍ ، دون أن يكون لها سندٌ في الشريعة السمحاء ... وبصورة عامة فتح باب الاجتهاد واسعاً لإعادة النظر في تفسير التراث تفسيراً منفتحاً على العصر ، ليكون قادراً على مواكبة التطور والخلاص من الجمود الذي تردى فيه ...

أيها السيدات والسادة :

إني أعرف أنني لم أُوَفِّ سلفي الكبير حقه ، لا من حيث تعدادُ ما دبجته يراعته من كتب وأبحاث مشرقة ، ولا من حيث تحليلُ مضامينها وتأثيرها في الأدب والاجتماع وتطوير الفكر العربي والفقه الإسلامي . وقد قدمت لكم غيضاً من فيض وباقةً من بستان ..

ولن أجد خاتمة لهذا الخطاب خيراً من قول شاعر قديم :

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

والسلام عليكم ورحمة الله .

حفل استقبال

الزميل الأستاذ جورج صدقني

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م (الدورة المجمعية ١٩٩٠ – ١٩٩١م) الأستاذ جورج صدقني عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٦) تاريخ ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ صدقني في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كردعلي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٢٢ ربيع الآخر ١٤١٢هـ / ٣٠ تشرين الأول ١٩٩١م حضرها ثلة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحاضرين ، وشكر لهم شهودهم هذا الاحتفال الذي أقامه المجمع ، وهنأ الأستاذ صدقني بثقة زملائه المجمعيين به واختيارهم له زميلاً كريماً يعزز مسيرتهم في تحقيق غايات المجمع المباركة .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعي هنأ فيها زميله المجمعي ونوه فيها بمزاياه الخلقية والعلمية وذكر طرفاً من سيرته .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

أهلاً بكم في رحاب مجمع الخالدين ، وشكراً لكم أن تشهدوا معنا هذا الاحتفال نقيمه احتفاءً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ جورج صدقني .

لقد تمَّ انتخاب الأستاذ صدقني عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع في دورته المجمعية ١٩٩٠–١٩٩١م (التي عقدت في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٦ (في ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م) بتعيينه[١] .

وإننا لنهنئ الأستاذ صدقني ثقة زملائه المجمعيين به ، واختيارهم له زميلاً كريماً ، يعزّز مسيرتهم ، ويشدُّ من عضدهم ، يمضون معاً في تحقيق غايات المجمع ، لتظلَّ العربية المبينة أداة الإفصاح والبيان في جميع ميادين المعرفة والحياة ، تجاري اللغات العالمية ، تغنيها وتغتني بها .

لقد ولد الأستاذ صدقني ونشأ في الثلاثينات ، تلك السنوات التي شهدت نضال شعبنا العربي لانتزاع حريته واستقلاله من مستعمريه الذين ظنوا جهلاً أنه قد استتبَّ لهم كل شيء بعد أن قضوا على الثورة السورية الكبرى التي شبّ أوارها في العقد الثالث من القرن ، وقدّم فيها شعبنا العظيم آلاف الشهداء ، وعانى من فظائع المستعمر أشدَّ ما عاناه شعب . ولكن

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٦٦ ، ج٣ ، ص٥٧١ (تموز/١٩٩١م) .

جذوة النضال لم تخمد ، وهبَّ الشعب من جديد بعد أن أعدَّ واستعدّ ، وفوجئ المستعمر بمعركة أخرى من معارك شعبنا قد استعر لهيبها في كل مكان . كان الكفاح في سورية قد بلغ أشده ، وكانت الثورة في بطاح فلسطين تدافع عن الأرض والوجود ، وتتالت المعارك متتابعةً لا تتوقف حتى عام ١٩٤٥م .

وكان صدقي ابن بيئته الشعبية ، يصغي إلى أحاديث جمهرة الشعب ، وينفعل بعواطفها المتأججة حباً للحرية ، وشوقاً إلى النضال ، وحنقاً على المستعمر الغاشم . فامتلأت نفسه وتروّى بما رأى وسمع ، ونشأ هذه النشأة الوطنية ، وصار من أكبر همومه ، على صغر سنه ، التفكير في مصير الوطن ، وطرق انتزاع الحرية .

لقد كان صدقي في الرابعة عشرة من عمره حين حدثت مجزرة البرلمان ، وعدوانُ فرنسة الغاشم في التاسع والعشرين من أيار ١٩٤٥م ، الذي أرادت به أن تجدّد عدوانها الذي ارتكبته في الجزائر الشقيقة في الثامن من أيار ١٩٤٥م ، فقضت على الألوف من المواطنين الجزائريين الآمنين الوادعين .

وشاء الله أن تكون يد الحق هي العليا ، وانتزع شعبنا حريته واستقلاله وكان الجلاء العظيم في السابع عشر من نيسان ١٩٤٦م ، ففُتحت الأبوابُ مشرعة لتعاظم حركة النضال العربي ، وأحرزت البلاد العربية استقلالها واحدة إثر واحدة ، وتُوِّج ذلك كلُّه بالنصر العظيم باستقلال الجزائر عام ١٩٦٢م .

وبدأت سورية بعد إشراقة فجر الاستقلال حياتها الجديدة الحرة ، وأخذت الأجيال العربية الجديدة ترسم صورة المستقبل العربي وتخطّ طريقه ، وتطلعت إلى الحركات العربية التي تستجيب لمطامحها وآمالها . وهنا نجد الإجابة الصادقة في تطلع الأستاذ صدقي إلى الالتحاق بحركة البعث العربي

في تشرين الأول ١٩٤٦م . وكان آنذاك طالباً في المرحلة الثانوية باللاذقية ، لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره .

إنه نموذج الجيل العربي الجديد الذي نشأ في أيام الاستعمار فشارك في التظاهرات والاضرابات ، فلما أشرقت شمس الحرية انضم إلى المؤسسات التي تلبي مطالبه وتطلعاته .

ولقد رأى الأستاذ صدقني في حركة البعث العربي ما يُرضي طموحه وتشوّفه : فقد رفعت : وحدة النضــال العربي لتحقيق الوحدة العربية ، وشعـار الحرية ، والدعوة لاقامة العدل الأجتماعي والقضـاء على استغلال الإنسان للإنسان .

وشـارك الأستـاذ صـدقني في نشـاط الحزب ، وقاسم رفاقه تبعاتهم ومسؤولياتهم الحزبية . وانغمس في ميادين السياسـة ، والفكر السياسي . وتولّى وزارة الإعلام في الســادس والعشـرين من أيلول ١٩٧٣م ، فبذل ما بذل ليرتفع بمستوى الإعلام إلى مستوى بطولات المقاتلين وتضحيات الشهداء في حرب تشرين التحريرية (١٩٧٣م) .

ولا يزال الأستاذ صدقني يتابع نشاطه الفكري السياسي ، وقد نضا العام الخامس والأربعين من حياته الحزبية .

أيها الحفل الكريم

لقـد قـلت ما قلت ، وعيني وقلبي يتطـلعـان إلى ما يحدث اليوم في مدريد . لقد ناضلت الأمة العربية النضال الطويل لتسترد حريتها ووحدتها وعزتها منذ أن صدّت غزوة نابليون عن ديارها عام ١٧٩٨م حتى اليوم . وعانت الأمة العربيـة ما عانت طوال مئتي عام ، وقدمت من التضحيات ما لم تقدمه أمة قط . وقد وقف لها الاستعمار بالمرصـاد يعوق تقدمها ، ويعرقل مسيرتها ، ويفتنّ في أساليبه الماكرة ليحول دون وحدتها وازدهارها .

ولقد كانت الصهيونية أخطر ما تفتقت عنه أساليب المستعمرين فزرعوها في قلب الأرض المقدسة فلسطين ، ليحولوا دون وحدة الأمة العربية .

وهانحن نشهد اليوم انعقاد مؤتمر مدريد ، فهل نتوقع أن يكون مبدأ الفجر الذي نتطلع إليه ؟ أرجو وآمل والله الموفق والمستعان .

أعود فأرحّب الترحيب كله بالزميل العزيز ، يشارك زملاءه المجمعيين في أعمالهم وهمومهم وتطلعاتهم ، تظللنا جميعاً راية العربية المبينة التي نجد فيها أمننا وسلامتنا ووحدتنا .

لقد أحب الأستاذ صدقني العربية حباً جماً ملك عليه نفسه ، فعني بها أتم العناية ، وتوخّى في كتابته السهولة والفصاحة ، ووفر لعبارته أناقة اللفظ وجمال الأسلوب . وتميزت صياغته بالوضوح والبيان . وأحب الأستاذ صدقني أن يشارك المشاركة الجادة في نهضة قومه الفكرية ، ورأى أن خير ما يقوم به أن ينهج نهج الأسلاف العرب في نهضتهم الأولى حين نقلوا إلى العربية تراث اليونان والفرس والهند وغيرهم من الأمم ، فأكب على اختيار المصادر الينابيع ينقلها إلى العربية وشارك في نقل تراث الإنسانية ليكون في متناول أبناء العربية .

ليس من همي أن أتحدث عن سيرة الأستاذ صدقني ، أو أعرض لآثاره وإنما هي كلمة قصيرة أقدمه بها .

ويسعدني أن يتقدم الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم عضو المجمع فيلقي كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم ، ويتحدث عن سيرته العلمية ، وآثاره ، ليتلوه الأستاذ جورج صدقني فيعرض لنا جوانب من سيرة سلفه الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد رحمه الله ، وما كان له من جليل الشأن في عالم الفكر ودنيا الناس .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

في حفل استقبال الأستاذ جورج صدقني

أيها الحفل الكريم .

لقد أسعدني حقاً أن كلفني مجمع اللغة العربية الموقر استقبال العضو العامل الجديد الأستاذ جورج صدقني . والأستاذ صدقني صديق قديم عرفته منذ زمن بعيد قريب معاً ، منذ ثلاثة وأربعين عاماً عندما عينت مدرساً للفلسفة في اللاذقية . وإن فاتني أن ألقاه وهو على مقاعد الدراسة ، لكونه أنهى المرحلة الثانوية قبيل مباشرتي العمل ، فقد كنت ألقاه بين الحين والآخر في مدينته الجميلة . وإني أذكر جيداً أن نظرته إلى التفكير الفلسفي كانت ، منذ ذلك الحين ، عميقة الاتصال بهموم الحياة القومية وبالتطلع الدائم إلى نهضة أمتنا العربية .

وعندما عُينت في جامعة دمشق توقعتُ أن أراه منتسباً إلى قسم الفلسفة ، بعد أن لمست شغفه الشديد بمتابعة هذا الأسلوب من التأمل والعمل . ولكني علمت أن ظروفاً مادية صعبة دفعته إلى الالتحاق بالتعليم الابتدائي مدة عامين . ثم ما لبث أن نجح في مسابقة حكومية أوفد بعدها لدراسة الفلسفة في جامعة دمشق . وعند ذلك أحس بأنه وجد طريقه المفضل .

لن أتحدث عن مرحلة دراسته الجامعية . ويكفيني أن أشهد بأنه كان متفوقاً لامعاً يمثل الأمل العريض لمستقبل الأجيال العربية .

للأستاذ صدقني اهتمامات متنوعة ابدأ بالإشارة إلى كتب وبحوث نقلها من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية . وأول ما ترجم كتابٌ لكارل يسبرز بعنوان مدخل إلى الفلسفة . والكتاب مؤلف من مجموعة من الدراسات عرض فيها يسبرز خصائص الفلسفة الوجودية بمعناها الإنساني والمنفتح على ارتباط الفرد بالعلو ،أي بما يتجاوزه ويضعه وجهاً لوجه أمام مسؤوليات التحرر وتحقق الذات تجاه المصير . ويمتاز الكتاب بالوضوح والسهولة كما تمتاز الترجمة العربية بالدقة وجمال التعبير .

والكتاب الثاني لفرانسوا شاتليه عن فلسفة هيغل . وهو كتاب يشهد له الباحثون بعمق الدراسة وبطابعها الشامل . ولا شك أن اطلاع القارئ العربي على مذهب هذا المفكر العالمي يضعه أمام منبع أساسي من منابع الفكر المعاصر في صوره المختلفة .

وكتاب ثالث ممتاز ترجمه الأستاذ صدقني هو كتاب لجان هيپوليت بعنوان « دراسات في ماركس وهيغل » . ولا شك أن المؤلف هيپوليت قد كان راعياً للدراسات الهيغلية والماركسية الكثيرة في ميدان الفكر الفرنسي .

الكتاب الرابع كان لروبينيه عن الفيلسوف جان جوريس . وكلنا يعرف أن جوريس قد ربط ربطاً وثيقاً بين الفلسفة النظرية وبين الاشتراكية النابعة من النزوع الديموقراطي ومن النظرة الأخلاقية .

والكتاب الواسع والغني فعلاً هو لجان جاك شوڤاليه عن أمهات الكتب،السياسية وفيه عرض واضح ودقيق لأفكار مكياڤلي ولوك ومونتسكيو وفيشته وتوكفيل وماركس وموراس وسوريل ولينين . وهو كتاب استعين به في التدريس بالمعهد العالي للعلوم السياسية .

أما البحوث التي نقلها الأستاذ صدقني فأهمها لبول ريكور الفيلسوف الفرنسي المعاصر والتي تدور حول فكرة المفارقة السياسية وفكرة العلاقة بين القول والعمل .

وأحب أن أشير هنا إلى مسألة فيها طرافة ودقةُ ملاحظة تتصل بمفهوم الأمة في اللغات الأجنبية وفي اللغة العربية . فقد كتب الأستاذ صدقي يقول : « لقد رأى المترجمون أن كلمة Nation تقابلها كلمة (أمة) في اللغة العربية . هذا صحيح ، أو ليس خطأ على الأقل . ولكن الخطأ حصل عندما ظن المترجمون أن كلمة Nation تعني (أمة) دائماً ، وفي كل الأحوال ، وأنها لا تعني شيئاً آخر ، في حين أن المطلعين على خفايا اللغة الفرنسية يعرفون أنها ، في كثير من الأحيان ، تعني (الأمة – الدولة) ... أو الأمة التي أصبحت دولة . وعلى سبيل المثال : ان اسم منظمة الأمم المتحدة باللغات الأجنبية يدل على أنها مؤلفة من Nations فترجم اسم المنظمة إلى العربية على مألوف العادة ، فقيل إنها منظمة مؤلفة من أمم ». ولا يخفى على أحد... أن عضوية المنظمة لا تُمنح للأمم بل للدول . إن لغتنا العربية تفصل مفهوم الأمة عن مفهوم الدولة فصلاً تاماً ... ذلك أن الأمة العربية مجزأة إلى دول متعددة .

ومن الأمور المتصلة بهذه المسألة أن الأجانب ترجموا كلمة « العروبة » ترجمات مختلفة أدت إلى حدوث نوع من الالتباس . فمنهم من ترجمها بكلمة Pan – Arabisme . وأرجح الظن أنهم ترجموها على هذا النحو مدفوعين بنيتهم السيئة في الاساءة إلى معنى العروبة ، لأننا لو أعدنا ترجمة هذه الكلمة مرة أخرى إلى العربية ، لما وجدنا لها مقابلاً أفضل من « النزعة التوسعية العربية » . ومنهم من ترجمها بكلمة Arabisme لكي يخلّصها من صفة النزعة التوسعية . ولكن هذه الترجمة مع ذلك ظلت تواجه مشكلة حقيقية : فهي – فضلاً عن أنها لا تؤدي من معاني العروبة إلا المعنى الحركي – توحي للقارئ الأجنبي بأنها نزعة توسعية أيضاً ، لأنها تذكر بالنزعة الجرمانية Germanisme . والتي عانت الشعوب الأوربية منها الأمرّين . وفي الآونة الأخيرة بدأت بعض الأوساط تستخدم كلمة

Arabité للدلالة على معنى « العروبة » ... وفي رأينا أن هذه الكلمة أفضل من غيرها ... لأنها تخلصها في نظر الأجانب من سمة التوسع والعدوان المزعومة ... ولكن هذه الترجمة تعاني من نقص أساسي هو عجزها عن التعبير عما تحمله العروبة في طياتها من معنى حركي . باعتبارها حركة نضالية تحررية . ثم ينتهي إلى القول : « إن العروبة لا تعبر عنها تعبيراً مطابقاً إلا كلمة العروبة » ، ولذلك فإني على مثل اليقين بأنه سوف يأتي يوم تنقل فيه هذه الكلمة إلى اللغات الأجنبية بلفظها كما هو لكي تعبر عن نفسها بنفسها » .

لقد أردت في ما أوجزته من أقوال الأستاذ صدقني أن أقدم أمثلة تدل على تدقيقه المتصل في ما ينقله إلى العربية ، وتدل في الوقت نفسه على نزوعه الدائم إلى إيضاح كل ما يتصل بمعنى العروبة .

الميدان الرئيسي الثاني الذي اهتم به الأستاذ صدقني هو ميدان الدراسات القومية . ففي سلسلة من البحوث ، نُشرت في مجلة المعرفة السورية كتابات عن قضية الوحدة العربية بين أنصارها وبين أعدائها . وأحب أن أشير إلى عبارة تكشف عن الطابع الشخصي لأفكاره ، ويقول فيها : « إنني أعلم علم اليقين أن ما قررته يخالف الفكر السياسي الوحدوي الشائع في نقطة أو في أكثر من نقطة . ولذلك لن استغرب إذا اصطدم بأفكار شائعة بلغت مرتبة القناعات المفروغ منها » . ومن أقواله إن المناضلين في سبيل الوحدة العربية لا يضعون شروطاً أمامها تتحول إلى عوائق .. إنهم يناضلون لخلق الشروط الملائمة .

فالموقف الوحدوي موقف ثوري ، وهو **فعل** إيجابي يخلق الظروف المناسبة لغاياته . وأكتفي هنا بإيراد عبارات موحية وذات دلالة ، منها أن الفكر لا يكون تقدمياً إن لم يكن وحدوياً ، وأن شيئاً من اللبس والغموض قد انتشر بتأثير ما يطرحه المثقفون الذين ينطلقون من مواقع لا قومية .

•

ويوجز الأستاذ صدقني حديثه عن أعداء الوحدة العربية في الخارج والداخل بقوله : « إن أعداء الوحدة كثيرون : الاستعمار والامبريالية والصهيونية العالمية والطبقات المستغِلة وأنظمة الحكم التي أفرزتها للمحافظة على مصالحها الرجعية والإقليمية والطائفية والعشائرية والعائلية والشعوبية الجديدة » .. ولكن هذا كلّه لا يدعو إلى اليأس . فهذه القوى المعادية كلها ليست من قوى المستقبل . إنها – دون استثناء – قوى سائرةٌ إلى الاندحار والزوال . ويبقى للوحدة العربية ، رغم كثرة أعدائها ، قوة أقوى من هذه الاعداء مجتمعين ، تبقى لها الجماهير الشعبية الواسعة العريضة .

أنتقل الآن إلى بحوث مبتكرة حاول فيها الأستاذ صدقني أن يقدم على مغامرة روحية كبيرة تتعلق بالعقلية العربية التي يمكن أن تستنبط من بنية اللغة العربية ومن عالم الأمثال العربية . ويؤسفني أني لن أستطيع ، في هذه الكلمة ، الإلمام بهذا الموضوع الجديد في تفرعاته ونتائجه . وسأكتفي بإيراد موجز أرجو أن يعطي فكرة سريعة عن جهود الأستاذ صدقني في هذا الميدان .

يرى الأستاذ صدقني أن الآراء المطروحة في مقالاته تدخل في مجال فلسفة اللغة . وهي تمثل محاولة لقراءة بعض الكلمات العربية قراءة جديدة ، تعتمد على العلاقات والروابط القائمة بينها . فهي جهد تحليلي استقرائي يهدف إلى استخلاص معاني الكلمات التي قد تكون غائبة عن الأفهام لطول العهد باستخدامها ... يقول الأستاذ صدقني : « اللغة العربية هي العقلية العربية ، وهي تصور العرب وفهمهم للوجود . فالمرأة ، مثلاً ، مؤنث المرء ؛ والمرء والمروءة من أسرة واحدة . فالمرء يكون كذلك في العقلية العربية إذا كان من أهل المروءة ، أي شهماً ذا نخوة . وكون المرأة مؤنث المرء يعني أن العقلية العربية تتصور المرأة إنسانةً ذات مروءة ، تسارع إلى نجدة الملهوف .. وكلمة « انسان » تنتمي مع الكلمات أَنِس وأُنس وأنيس وغير

ذلك إلى أسرة واحدة . وهذا يعني أن الإنسان قد سمي إنساناً لأنه يأنس بغيره أو يؤنس غيره . أما العقل فيشير إلى الربط والترتيب . ويستخلص الأستاذ صدقني من تحليل مثل هذه الكلمات ، في اللغات المختلفة ، إلى أن العقلية اللاتينية أقرب إلى الفلسفة الواقعية . ذلك أن تصورها للوجود قائم على أساس أن العالم الخارجي مؤلف من علاقات وأن لدى الإنسان استعداداً لسبر أغوار هذه العلاقات ... وحسابها حساباً كمياً دقيقاً . وهذا التصور كان في أساس ما حققه العلم الحديث من تقدم ونجاح .. أما تحليل الكلمات العربية فيؤدي بنا إلى القول بأن العقلية العربية الأصلية (القديمة) أقرب إلى الفلسفة المثالية . ذلك أن هذا التحليل يوحي بأن تصورها للوجود قائم على أساس أن العالم الخارجي يبقى مفكك الأوصال ، تسوده الفوضى ، لولا تدخل الإنسان ، الذي يقوم بفعل « العقل » فيصبح العالم مرتباً مترابطاً منظماً .

ولو انتقلنا إلى كلمة واقع ، بالفرنسية Réalité ، لوجدنا أنها مأخوذة من الكلمة اللاتينية Res ومعناها الشيء ، واستطراداً ما هو موجود بالفعل . فهي بذلك حيادية لا تتضمن أي حكم من أحكام القيمة .

.فالموجود بالفعل لا هو صاعد ولا هو هابط . أما الكلمة العربية « واقع » فهي تتضمن حكم قيمة وتعبر عن نظرة « سلبية » إلى الوجود الواقعي ... وهذا يعني أن الاختلاف بين النظرة العربية والنظرة اللاتينية إلى الواقع يكاد يبلغ حد التناقض .

والعقلية العربية لا تقيم هوة بين الواقع وبين المثل الأعلى ، بل هما في نظرها متواصلان . الواقع مقصر عن المثل الأعلى ، ولكنه صبوة دائمة إلى بلوغه . ثم إن المثالية في اللسان العربي ليست مثالية بالمعنى المعروف في تاريخ الفلسفة الغربية ، بل هي مثالية من نوع خاص تقيم تواصلاً بين المثال

والواقع ، فترى في الواقع قصوراً عن بلوغ المثال يجب تلافيه ، وهو أمر ممكن .

وعندما ينتقل الأستاذ صدقي إلى تحليل الأمثال العربية القديمة يورد عدداً كبيراً منها ، ويقرر أن الأمثال العربية تنفرد ، دون غيرها ، بأن لكل مثل قصة . ولهذا الأمر دلالة هامة ومغزى عميق . فهو يعني أن المثل الأعلى في الفكر العربي القديم ليس فكرة مجردة خالية من الحياة بل هو من صميم الحياة نفسها .

كل ذلك يعني أن الإنسان قادر على بلوغ المثل الأعلى في الواقع . ثم إن الفعل الماضي في المثل العربي يدل على أن واقعاً معيناً قد سما إلى مرتبة المثل الأعلى . فالمثل العربي بهذه الصيغة ليس حكمة ، وليس دعوة إلى الحكمة . إنه انبهار أمام بهاء الواقع المتسامي ، وقصته تهز النفس من الأعماق ، وتستنهض الهمم ، وتبشر بقدرة الإنسان على الارتقاء في مراتب الكمال .

أيها الحفل الكريم

لقد حاولت في كلمة الاستقبال هذه ، على الرغم من الصداقة التي تربطني بالأستاذ صدقي ، ومن الاهتمام المشترك بمسائل الفلسفة التأملية ، ومن الإيمان غير المشروط بأهداف الأمة العربية ، أقول لقد حاولت أن أتخذ موقف الحياد الموضوعي قدر الإمكان وألا أغفل عن أمور تبقى موضع جدل ونقاش .

لقد اجتهد الأستاذ صدقي وأخلص في اجتهاده ، وتحمس لقضايا أمته أجمل حماسة ، فأهلاً به في مجمع اللغة العربية طالباً للعلم الصادق ، وباحثاً عن أهداف عزيزة غالية ومفكّراً يملؤه النشاط الحي كما يملؤه الشباب (الشباب النسبي طبعاً) ومتطوعاً لخدمة اللغة العربية بكل ما يستطيع بل بأكثر مما يستطيع . حتى تتحد هذه اللغة مع الفكر العربي ذاته .

وإني لأذكر دائماً أنه كتب مرة يقول : « إني لأشهد بأن لسان العرب هو أجمل لغة على وجه الأرض . ولا عَجَبَ في هذا ، فهو لغة السماء أيضاً » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الأستاذ جورج صدقني
في حفل استقباله

أيها السيدات والسادة

إن لساني لعاجز عن التعبير عن مدى اعتزازي بالثقة التي أولاني إياها أعضاء المجمع الكرام بانتخابي زميلاً لهم ، فشكراً لهم من صميم القلب ، وعهداً أن أبذل وسع طاقتي في خدمة لساننا العربي المبين ، ما حييت . وإني لأعرب في الوقت نفسه عن أعمق مشاعر الامتنان والعرفان للأستاذ الدكتور شاكر الفحام لترحيبه بي بهذه الكلمات الجميلة الطيبة ، النابعة من نفسه الكريمة وخلقه النبيل ، وكذلك لأستاذنا الدكتور بديع الكسم لما غمرني به من صفات هي بعض البعض من طيب سجاياه وكريم شمائله .

أيها السيدات والسادة

لو أن الأقدار أسعدتني بمعرفة الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ، رحمه الله ، لسقت إليكم حديثي اليوم عنه بعنوان « كامل عياد كما عرفته » . لكن الأقدار لم تسعدني فأنا لم ألتق هذا المعلم العربي الكبير في حياتي البتة . ولو جريت على مألوف العادة لسردت على مسامعكم سيرة حياته ، لكني أستأذنكم ألا أفعل ، وأترك لمن يشاء أن يبحث عنها في مظانّها ، وليس هذا بعسير . والواقع أنه لم يبق لي ما أقوله عن سيرة عياد بعد الكلمة العاطفية الحارة التي استقبله بها ، في هذه القاعة نفسها في أرجح الظن ، صديقه وصفيّه الأستاذ الدكتور جميل صليبا في ٢٠ كانون الأول عام ١٩٥٨ ، والتي فصل فيها سيرة حياته منذ ولادته في ليبيا عام ١٩٠١ ،

حتى انتخابه عضواً في المجمع ، وكذلك الكلمةِ البليغة التي كتبها تلميذه الوفي الأستاذ الدكتور محمد حرب فرزات بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته ، ناهيك عن الكلمة الجامعة ، التي ألقاها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام في حفل تأبين فقيد المجمع في ١٤ كانون الثاني ١٩٨٧ ، وجلا فيها فضائل الفقيد وشيمه وعرض سيرة حياته كلّها فلم يترك زيادة لمستزيد . إنني لا أحب لنفسي ، ولا أحب لكم ، أن أردد على مسامعكم وأعيد ، لهذا أستأذنكم في أن أقصر حديثي على الجانب الفكري والثقافي من شخصية كامل عياد .

ولكن كيف لوقت هذه الأمسية المحدود أن يتسع لجلاء جوانب شخصيته الموسوعية كلها ؟ أأحدثكم عنه فيلسوفاً ، أم مؤرخاً ، أم عالم تربية ، أم صحافياً ، أم كاتباً يترجم القصص والمسرحيات وينقلها من الألمانية ، أم منشئ أجيال ؟ لقد جمع في إهابه هذه الشخصيات كلّها على نحو متكامل لا تناقض فيه . إنه لضرب من ضروب المحال أن أحيط الآن بكل جانب من جوانب شخصيته الفكرية ، ويبدو لي أنه لا بد لي من معاناة حيرة الاختيار . ولما كانت هذه الجوانب كلها وجوهاً متعددة لشخصية واحدة ، فإنني أوثر التركيز على « فلسفة التاريخ » عنده ، لأنها كانت من اهتماماته كلها بمثابة البؤرة ، أو المحور . والحق أن العشق الحقيقي ، الذي أخذ بمجامع نفسه كلها ، لم يكن الفلسفة وحدها ، ولا التاريخ بمفرده ، وإنما « فلسفة التاريخ » ، لأنها تجمع الفلسفة التي موضوعها الحقائق الكلية ، إلى التاريخ ، الذي موضوعه الحوادث الجزئية ، فكأني بكامل عياد كان يرمي دائماً إلى الارتقاء من حوادث التاريخ الجزئية إلى حقائق الوجود الكلية .

لقد سمعت كثيرين يقولون إن الدكتور عياد كان ماركسياً . وهذا أمر ليس لي أن أنفيَه أو أثبته . لقد وجدت بالفعل نكهة ماركسية خفيفة في

بعض مقالاته ، لكنها لا تجعلني أصنفه في عداد الماركسيين . لقد كان الدكتور عياد معتدلاً بعيداً عن التعصب ، خلافاً للماركسيين . وهذا يحملني على القول إنه لو كان الماركسيون يتحلون بمثل اعتدال الدكتور عياد وبعده عن التعصب ، لما صاروا إلى المصير الذي تعرفون . والحق أن الدكتور عياد كان « خلدونياً » - إذا جازت النسبة على هذا النحو - جعل من ابن خلدون قدوة ومثالاً ، وكان الأثيرَ على قلبه ، فاصطفاه دون سواه من المفكرين والفلاسفة العرب ، كابن رشد والغزالي والكندي وابن سينا ، موضوعاً لرسالته ، التي وضعها باللغة الألمانية ، ونال بها درجة الدكتوراة من جامعة برلين . وأصدر بالاشتراك مع الدكتور جميل صليبا كتاباً يضم نصوصاً مختارة لابن خلدون . وجعل من ابن خلدون محطة يستوقف القارئ عندها في معظم كتاباته المتصلة بالتاريخ ، مثال ذلك أنه أفرد في أمليته الجامعية « تاريخ التربية » فصلاً ضافياً عن التربية عند ابن خلدون . صفوة القول إن عياد كان خلدونياً في الأساس ، وإذا كان قد وجد في الفكر الماركسي جوانب حازت على إعجابه ، مثلَ فكرة القوانين في التاريخ والحتمية التاريخية ، فمرد ذلك - في تقديري - أنه وجد فيها تطويراً وإغناء لفكر ابن خلدون الأصيل .

أيها السيدات والسادة

للدكتور عياد مقالات عديدة في فلسفة التاريخ ومعناه ، على أن واحدة منها عنوانها « عبر التاريخ » ، نشرت عام ١٩٧٦ ، تعد أنموذجاً لأسلوب عياد ، الذي يتصف بعبقرية البساطة ، وتفصح عن خلاصة فكره في فلسفة التاريخ خير إفصاح . وإليكم زبدة القول فيها :

يستهل عياد مقالته بقوله : « من السهل جداً أن نذم التاريخ . فقد لاحظ الناس منذ القديم أن الأخبار التي يرويها المؤرخون لا يمكن الوثوق بصحتها ، يختلط فيها الصدق بالكذب ، ويعتريها التشويه والتحريف

والتزوير ... » . ثم ينقل عن ابن الأثير قوله : « رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ، ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغيها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار » . ويستعيد عياد رد ابن الأثير على هؤلاء ، وتعداده فوائد علم التاريخ ، إلى أن يختم الرد بقوله : « ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد » . وبعد أن يشير عياد إلى كتاب « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » لشمس الدين السخاوي ، من علماء القرن الخامس عشر الميلادي ، يقول : « وما زال بعض الباحثين يدعون أن التاريخ ليس علماً بالمرة ، لأنه لا يكشف عن حقائق وقوانين عامة .. بل يقتصر على سرد وقائع فردية وحوادث جزئية .. وتساهل آخرون فقالوا : إنه لا يمكن اعتبار التاريخ علماً إلا من حيث طرائقُ بحثه فقط ... ويتساءل الكثيرون : ما الفائدة من الاشتغال بالتاريخ والرجوع إلى الماضي ، في هذا العصر الذي ... أخذت فيه الأمم تتسابق نحو المستقبل ؟» .

ويروي عياد أن هنري فورد ، صاحبَ مصانع السيارات المشهورة ، دعي عام ١٩٢٧ لزيارة بعض الأماكن الأثرية ، فاعتذر ، وصرح بأن التاريخ كلّه هُراء وسخف . ثم يقول عياد إن هذا التصريح « يدل على تفكير صبياني ، سطحي من رجل أمريكي ، ليس لبلاده في الماضي تاريخ يذكر » . ثم يضيف في ما يشبه الشماتة : « لم يكن المستر فورد يعرف شيئاً عن تاريخ الأزمات الاقتصادية الدورية ، التي رافقت تطور النظام الرأسمالي ، وكأن هذا التاريخ أراد أن ينتقم من المستر فورد ، ويلقنَه درساً ، فلم تمضِ سنتان حتى حدث الانهيار الاقتصادي الهائل في سنة ١٩٢٩ .. » .

ويشير عياد إلى هجوم (نيتشه) على التاريخ وادعائه أن الالتفات إلى الماضي يحرم البشر من التمتع بحياتهم الحاضرة ، ويهزأ به ضمناً عندما يقول : « كان نيتشه يغبط الحيوانات لأنها تعيش في الحاضر فقط ، فهي سعيدة ..

لأنها لا تتذكر الماضي ، ولا تفكر في المستقبل » . وينتهي عياد إلى القول : « إنه من السهل حقاً أن نطعن في التاريخ ، ولكن من الصعب جداً أن نتحرر منه ونستغني عنه » .

ويعلن عياد « أن التاريخ يقوم لدى الشعوب مقام الذاكرة عند أفراد البشر » ، ويسهب بعد ذلك في شرح دور الذاكرة في تكوين شخصية المرء ، ويبين أهميتها في مراحل العمر المختلفة ، ويركز اهتمامه على ما تتصف به الذاكرة من انتقاء في ما تجمع وتختزن ، فيقول : « إن شرط التذكر الصحيح هو النسيان ... وهكذا التاريخ بالنسبة إلى الشعوب : فإنه ... لا نفعَ في استقصاء كل الأمور ... لا بد من عملية اصطفاء لابراز الحوادث الخطيرة ... وانتقاد الأخطاء ، وبيان أسباب النكبات والنكسات لاستخلاص العبر منها ، وكم لدينا من تقاليد وعادات بالية ... لا بد لنا من نسيانها والتخلص منها ، إذا أردنا السير في طريق التقدم ...» . ثم يقول : « إن الشعوب الفتية لا تهتم إلا بالمستقبل ، وتنصرف في الحاضر إلى تكوين ذاتها وبناء حضارة جديدة . وحين تتوقف ... عن النمو ... والابداع تتجه إلى الماضي ، تتغنى بأمجاده ، أو تدعو إلى إحيائه والرجعة إليه . ثم عندما تهرم ... تبدأ في دراسة تاريخها ، وتبحث في أسباب التقدم والتأخر ... » فيتكون (الوعي التاريخي) التام والواضح ، الذي يجعلنا نعرف من نحن ، وإلى أي مرحلة من التطور وصلنا ، وفي أي طريق نسير ... هناك شبان يرغبون في التحرر من الماضي ... يصرخون قائلين : نريد أن نعيش الحياة الحاضرة ، حياة عصرنا ، ولا يهمنا الماضي الميْت » لكن عياد يرد على هؤلاء ويقول إن « الحاضر ليس سوى امتداد للماضي ، ونحن لا يمكننا أن نفهم أوضاعنا ومشاكلنا الحاضرة ، وأن نعالجها معالجة صحيحة ناجعة ، وأن نرسم الطريق إلى المستقبل ، إلا بالرجوع إلى الماضي وإدراك الأسباب الفاعلة .. التي أدت إلى خلق تلك المشاكل (التي) لها جذورها وأصولها في

التراث » . ويفصل عياد في هذا الباب تفصيلاً حتى يقول : « إن العالم الذي يحيط بنا يظل لغزاً إذا لم نعرف كيف تكوّن ... وإذا تساءلنا لماذا يختلف موقف العربي عن موقف الانكليزي مثلاً ، أو الفرنسي في الظروف الخاصة أو العامة ، فإن التاريخ وحده يعطينا الجواب » .

أما فائدة التاريخ على صعيد حياتنا العملية فيتناولها عياد مشيراً إلى اعتقاد « الناس في جميع العصور بأنه من الممكن استخلاص عبر ودروس من التاريخ يسترشدون بها في أعمالهم » . ويعرض آراء هيرودوت وتوكيديديس وديودورس الصقلي في هذا الباب ، ويسهب في عرض آراء المؤرخ اليوناني بوليبيوس ، الذي كشف الغطاء عن الأسس المتينة ، التي قامت عليها عظمة روما ، وعلل الاستقرار الذي عرفه نظام الحكم فيها ، وبيّن أن معرفة الماضي هي أفضل وسيلة لإصلاح الطبيعة البشرية ، ونصح المؤرخين بأن يركزوا اهتمامهم على كشف الأسباب ، ومعرفة النتائج ، لا على سرد الوقائع ورواية الأخبار .

ثم انتقل عياد إلى المؤرخين العرب ، فاقتطف من كتاب (تجارب الأمم) لمسكويه قوله : « إني لما تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت كتب التاريخ وجدت فيها ما يستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبيهها » إلى أن يقول مسكويه : « ولما كانت أمور الدنيا متشابهة وأحوالها متناسبة صار جميع ما يحفظه الانسان من أحداث التاريخ كأنه تجاربُ له ، وكأنه عاش الزمان كله » .

وينقل عياد من كتاب (الآدابُ السلطانية) هذه الحكاية : « طلب الخليفة (المكتفي) من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع بمطالعتها وقته . فتقدم الوزير إلى نوابه بتحصيل ذلك ، وعَرضِه عليه قبل حمله إلى الخليفة . فحصّلوا على بعض كتب التاريخ ، وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من ... معرفة التحيل في استخراج الأموال . فلما رأى الوزير ذلك قال

لنوابه : والله إنكم أشد الناس عداوة لي ! أنا قلت حصّلوا له كتباً يلهو بها عني وعن غيري . وقد حصلتم له ما يعرّفه مصارع الوزراء ، ويرشده إلى الطريق لاستخراج المال ، ويبين له خراب البلاد من عمارتها » .

ثم وقف عياد وقفة غير قصيرة عند « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر » لابن خلدون ، « الذي أراد أن يجعل من التاريخ علماً ... يقوم على دراسة العمران والاجتماع البشري ومعرفة قوانين التطور » . وأوضح أن « ابن خلدون كان يطالب بملاحظة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال مع مرور الأيام ، واختلاف الأخلاق والعوائد والمذاهب من عصر إلى عصر». وكان يدعو إلى المقارنة بين الحوادث لمعرفة ما بينها من تشابه أو تباين ، وتعليل ذلك ، ويحذّر من أن نحكم على أخبار الماضين حسب أوضاعنا . وذكر عياد بنظرية ابن خلدون التي تقول بحتمية التطور التاريخي ، وتذهب إلى أن كل مجتمع يجتاز في تطوره أدواراً معينة ، تتكرر بانتظام ، وتشبه مراحل نمو الكائنات الحية وفنائها ، وتدعي أن هناك قوانين تاريخية،مثلَ القوانين الطبيعية ، لا تتغير لذلك لا مجال في التاريخ للمصادفات أو المعجزات . وأشار أيضاً إلى أن ابن خلدون بيّن أن الحوادث التاريخية تخضع لقانون السببية . وهنا يكمن السر في إمكان الاستفادة عملياً من عبر التاريخ ، لأن الأسباب نفسها لا بد أن تؤديَ إلى النتائج ذاتها .

ولكن لما أطل القرن التاسع عشر ، أخذ الاعتقاد بالاستفادة من عبر التاريخ يتزعزع . وأيد عياد هذا التحول مستشهداً بما كتبه هيغل في ذلك الوقت ، إذ قال : « الشيء الوحيد ، الذي نتعلمه من التاريخ هو أن لا أحد يتعلم من دروس التاريخ شيئاً » . إن في التاريخ أمثلة كثيرة عن العاقبة الوخيمة التي ينتهي إليها الظلم والطغيان ، غير أن هذا لم يردع الطغاة المستبدين ، وظلوا يطمعون في الاستئثار بالحكم وخنق حرية الشعوب . ونابليون أخطأ خطأً فاحشاً بهجومه على روسيا وزحفه على موسكو ، ولكن

هتلر لم يتعلم من هذا الخطأ ، بل سرعان ما وقع فيه . وبعد أن يورد عياد أمثلة كثيرة وطريفة من هذا القبيل ، استقاها من الحربين العالميتين،يقول معلقاً على كلمة هيغل « إنها لا تعني أنه يستحيل استخلاص العبر من التاريخ ، ولكنها تعلن أن البشر ، أفراداً وشعوباً وحكومات ، لا يستفيدون من هذه العبر ، إما لجهلهم ، أو طيشهم ، أو ضعف إرادتهم وانقيادهم للأنانية وما يتفرع عنها من طمع وحسد وخوف وحقد » . وينبه عياد إلى أنه « للاستفادة من دروس التاريخ يجب أن تكون لدينا معرفة جيدة دقيقة للحوادث ، وأن نحسن تفسيرها ونلاحظ اختلاف الظروف التي وقعت فيها بالنسبة إلى الأوضاع الجديدة » . ويضرب أمثلة عديدة على ذلك من حرب القرم وحرب سنة ١٨٧٠ وثورة البلاشفة والثورة الفرنسية .

وبعد كلمة هيغل « ارتفعت أصوات كثيرة تؤكد على أن أهم درس نتعلمه من التاريخ هو أنه لا يعيد نفسه ، وأن الصفة المميزة للحادث التاريخي هي أنه فريد ، ومقيد بمكان معين وزمان محدود وظروف خاصة ، وأنه لا يتكرر أبداً .. على الصورة نفسها وبجميع التفصيلات و...أنكر قسم من العلماء أن تكون هناك قوانين تاريخية ثابتة مثل القوانين الطبيعية ، وحجتهم في ذلك .. أن المصادفات لها دور كبير في حياة البشر ... وأن حوادث التاريخ تنبعث من إرادة الأفراد الحرة ، فهم الذين يصنعون تاريخهم ، وزعماء الشعوب يتبعون أهواءهم الذاتية ، فكيف يمكن أن نستخلص الدروس والعبر من التاريخ ؟

وينبري عياد لمناقشة هذه الاعتراضات والرد عليها بالتفصيل فيؤكد أن القول بحرية الارادة من وجهة نظر ما بعد الطبيعة لا ينفي أن الأعمال البشرية تخضع لقوانين منتظمة . ويستند في رده هذا على اجتهادات علماء الكلام المسلمين وعلى الفيلسوف الألماني (كنط) ، وينتهي إلى القول مع هيغل « إن الشخصية التاريخية العظيمة ليست سوى الفرد البارز في

المجتمع ، والذي هو محصول الأحداث التاريخية ، وفي الوقت نفسه صانع هذه الأحداث والمؤثر في توجيهها » .

وعن دور المصادفة في التاريخ يورد عبارة باسكال الساخرة : « لو كان أنف كليوباترا أقصر لتبدل مجرى أحداث العالم » . يقصد أن أنطونيوس ما كان ليقع في غرامها وينهزم في معركة (آكسيوم) . كما ينقل عن تشرشل أن قرداً صغيراً عض اسكندر ملك اليونان ، فتسمم الجرح ومات الملك في خريف سنة ١٩٢٠ . ويضيف تشرشل قائلاً : « بسبب هذه العضة مات ربع مليون من البشر » ، ذلك أن اليونانيين أعادوا الملك قسطنطين إلى الحكم فاستأنف الحرب ضد الأتراك ، وسقط فيها هذا العدد من القتلى . ثم يفسر عياد المصادفة بأنها نقطة التقاء سلسلتين من الأسباب الحتمية ، ولهذا فالمصادفة لا تتنافى مع قانون السببية والحتمية ، ولا يمكننا أن نستنتج قاعدة عامة من التقاء أنطونيوس وكليوباترا فحواها أن قادة الجيوش عامة يخسرون المعارك إذا هم وقعوا في غرام ملكات جميلات . ثم يعترف عياد بأن التاريخ لا يعيد نفسه ، لكنه يؤكد أن في تاريخ الشعوب أوضاعاً متشابهة قد تؤدي إلى نتائج مماثلة ، ويضرب مثلاً على ذلك أن الأزمات التي سبقت الثورة الإنكليزية سنة ١٦٤٠ والثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ والثورة البلشفية سنة ١٩١٧ كانت أزمات متشابهة .

وينبهنا عياد إلى أننا نخطئ كثيراً إذا اعتقدنا بأن التاريخ يقدم لنا وصفات جاهزة وحلولاً كاملة . إن الفرد يستفيد من التجارب التي مرت به . والتاريخ إنما هو ذاكرة البشرية التي تحوي خلاصة تجارب الشعوب على مر العصور . وتجارب التاريخ ليست نماذج نقتدي بها ونقلدها ، بل هي مادة للتأمل والتفكير والمقارنة . نتعلم من التاريخ أن أحوال البشر في تطور دائم ، كذلك يعلمنا التاريخ كيف نفكر تفكيراً واقعياً انتقادياً ، ويحررنا بذلك من الأوهام والأضاليل والأساطير . إن مقدرات الأمم مرتبطة

بإدراكها للعوامل التاريخية ، التي نشأت عنها أوضاعها الحاضرة ، وبمعرفتها للرواسب ، التي انتقلت إليها من الماضي ... يجب ، في تاريخنا القومي أن نربط بين أمجادنا وتقاليدنا الماضية وبين حاضرنا ، فلا يجوز أن نغرق في الماضي ونستسلمَ إلى سحره وننسى واقعنا ومتطلبات عصرنا . إن الانغماس في الماضي قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشل الارادة عوضاً عن أن يدفعنا إلى النهوض ..

ويورد عياد أمثلة من التاريخ كثيرة ومملوءة عبراً ، أقتطف منها هذا المثال : في سنة ١٨٠٤ استدعى ملك بروسيا السياسي الألماني فون شتاين لتولي الوزارة وتنظيم حركة المقاومة ضد نابليون ، فلم يقبل إلا بشروط ، بينها إصدار قانون بتحرير الأقنان وآخر بتنظيم ملكية الأراضي ، رغم أنه كان من النبلاء الاقطاعيين المحافظين ، ومن المعارضين لمبادئ الثورة الفرنسية . قال فون شتاين للملك : « كيف أستطيع ، يا صاحب الجلالة ، أن أدعو الفلاحين ، الذين يؤلفون أكثرية الشعب ، إلى الدفاع عن أرض لا يملكون منها شيئاً ؟ وكيف نطالب أفراد الشعب بأن يقاتلوا في سبيل حرية بلادهم ، إذا لم يكونوا هم أنفسهم أحراراً ؟ » .

وفي النهاية يصل عياد إلى زبدة الزبدة فيقول :

« وأخيراً هانحن في الوطن العربي ، عندما نفكر كل يوم في تحرير فلسطين ، تعود بنا الذاكرة رأساً إلى جهاد صلاح الدين الأيوبي ، الذي طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة . وعلى الرغم من معرفتنا بالفروق العديدة بين الأوضاع التي كانت سائدة في القرن الثاني عشر ، وبين الحالة في الوقت الحاضر ، فإننا نعتقد بأن أعمال صلاح الدين يمكن أن تكون عبرة ، وحافزاً لنا ، ودرساً نتعلم منه . وبديهي أننا لا نستفيد شيئاً من إحياء ذكرى صلاح الدين ، إذا اقتصرنا على الإشادة بصفاته السامية ، ومزاياه النادرة ، والتغني بأعماله المجيدة . إنه لا بد لنا من دراسة دقيقة

للخطط السياسية البعيدة ، التي رسمها ، والأساليب العملية ، التي اتبعها لبلوغ الهدف ، ليس بحشد الجنود وجمع العتاد والذخائر فحسب ، بل كذلك بإنشاء الطرق والجسور ، وتسهيل وسائل العيش للشعب ، بإلغاء المكوس وخفض الضرائب ، ثم تنوير الأفكار بتأسيس المدارس ونشر العلم . وهو لم يكتب له النجاح في طرد الصليبيين إلا لِما اتصف به من بعد النظر ، والمهارة السياسية ، والثقة بالنفس ، والحزم في تنفيذ ما يصمم عليه ، والصبر على الشدائد ، والعمل المتواصل دون كلال أو ملل. فكان حقاً مثال البطولة في تاريخ الإسلام ، بل كان ، باتفاق اراء المؤرخين المسلمين والفرنج على السواء ، من أعظم عباقرة العالم . وإن في سيرته لعبرةً لمن يتفكرون ؟» .

أيها السيدات والسادة

هذا نزر يسير من عطايا الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد لأمته العربية ، وما أعظم ما أعطى ، وما أقل ما أخذ ، وما أفدح ما فقدناه برحيله . رحم الله هذا المعلم العربي الكبير رحمة واسعة بقدْر ما أوسع في البذل وأجزل في العطاء .

أشكر لكم حسن إصغائكم والسلام .

حفل استقبال

الزميل الأستاذ الدكتور عادل العوا

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م (الدورة المجمعية ١٩٩٠ - ١٩٩١م) الأستاذ الدكتور عادل العوا عضواً عاملاً في المجمع . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٤) تاريخ ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور عادل العوا في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كردعلي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٧ جمادى الأولى ١٤١٢هـ/١٣ تشرين الثاني ١٩٩١م حضرها نخبة من رجال الفكر والأدب والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحاضرين لمشاركتهم في هذا الاحتفال ، وهنأ الأستاذ الدكتور العوا ثقة زملائه المجمعيين به واختيارهم له لانضمامه إلى صفوفهم يؤيد مسعاهم في خدمة اللغة العربية والذود عنها .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعي . أشاد فيها بسجاياه الخلقية ومكانته العلمية وذكر طرفاً من سيرته .

ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور عادل العوا كلمته التي تحدث فيها عن اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية .

ونتشر فيما يلي كلمات الحفل .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم :

أحييكم أجمل تحية ، وأرحب بكم ، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور ، لتشاركونا في الاحتفال باستقبال الأخ الكريم والزميل العزيز الأستاذ الدكتور عادل العوا .

لقد انتخب الأستاذ العوا عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع ، في دورته المجمعية ١٩٩٠-١٩٩١م (التي عقدت في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٤ (في ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م) بتعيينه[١] .

فهنيئاً للأستاذ العوا ثقةُ زملائه المجمعيين به ، واختيارُهم له زميلاً عزيزاً ينضم إلى صفوفهم ، ويؤيد مسعاهم ، قد أعدّ عدته ليقدم لمجمع الخالدين صفوة تجربته ، وخلاصة خبرته .

والأستاذ العوا ، هو ما هو علماً ومعرفة ، قد فطر على القراءة والمطالعة والبحث ، ووقف نفسه على التعلم والتعليم .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج٣ ، ص٥٧٠ (تموز/١٩٩١م) .

بدأ يدرّس ويحاضر منذ عام ١٩٤٥م ، وها هي ذي ستة وأربعون عاماً قد مرت ، وهو دائب في عمله ، متفان في تحقيق هدفه ، يعطي دون توقف ، قد تخرّج به مئات ومئات من الطلاب ، بعد أن ملؤوا عيابهم من المعرفة ، واكتسبوا ما أهّلهم لحياة البحث ومتابعة العلم .

ولئن كان مركز نشاطه العلمي في جامعة دمشق ، إنه قد مدَّ من حدود نشاطه فدرّس وحاضر في الجامعة الأردنية ، والجامعة اللبنانية ، وجامعة الجزائر ، وجامعة هلسنكي ، كما حاضر في جامعتي الكويت واليرموك . وكان له المشاركات الواسعة في المؤتمرات والندوات العلمية العربية والعالمية ، وقام بقسط وافٍ في المناصب العلمية الإدارية بجامعة دمشق ، فترأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، وكان وكيلاً لكلية الآداب وعميداً لها سنوات عدة .

كان الكتاب صديق الأستاذ العوا وجليسه طوال حياته ، فهو مشغوف بالمطالعة ، لا يفتر عن القراءة والتقييد ، وقد واتته موهبة التعبير الجميل ، والأسلوب السلس ، فاستجاب لها ، وسلك في كتابته طريقي التأليف والترجمة ، وقدّم لدنيا الثقافة والكتب مجموعتين من نفائس مؤلفاته وترجماته أغنى بهما المكتبة العربية ، وهيأ للناشئة العربية الجنى الطيب تتزود منه بخير زاد ، ويفتح لها النوافذ لتطل على آفاق الفكر الواسعة .

صدر أول تآليف الأستاذ العوا (الفكر الانتقادي لجماعة أخوان الصفا) سنة ١٩٤٨م ، وتابع الأستاذ طريقه بهمة وعزيمة لا يعرفان الكلال ، ليصدر كتابه الثالث والعشرون (مذاهب السعادة) سنة ١٩٩١م .

وقدّم أول كتبه المترجمة (المدنية : سرابها ويقينها) سنة ١٩٥٧م ، ليصدر كتابه المترجم التاسع والثلاثون (الحرية) سنة ١٩٩٠ .

إنه النتاج الطيب الوفير ، قد آتى أكله أضعافاً مضاعفة . لقد أعطى الأستاذ العوا فأكثر وأطاب ، ولم يُمْسك ، وإنه ليحق له أن يزهى بما قدّم ، وإننا لنعتزُّ بالزميل العزيز رفيقاً يؤازر ويسعف ، لتظل الفصحى اللسان المبين في كل المؤسسات والبيئات العلمية في الوطن العربي .

لقد أسعدني الحظ بصداقة الأستاذ العوا ، وقُدّر لنا أن نعمل معاً فقد كان الأستاذ العوا عميداً لكلية الآداب ، وكنا نلتقي أسبوعياً في مجلس الجامعة طوال ثلاث سنوات (١٩٦٨–١٩٧١) ، فعرفنا فيه سماحة الخلق ، وحصافة الرأي ، وثقوب النظر ، وحسن التأتي لحل المشكلات .

أعود فأرحب بالزميل العزيز رفيق دربنا في خدمة اللسان العربي المبين . وأدعو الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع ليتفضل بالقاء كلمة المجمع في استقبال الأستاذ العوا ، ويعرضَ سيرته العلمية ، ثم يُعقبَه الأستاذ العوا فيلقي كلمته التي يتحدث فيها عن اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

في حفل استقبال الأستاذ الدكتور عادل العوا

السيد العماد مصطفى طلاس نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع
سيادة وزير الأوقاف والسيد الأستاذ الدكتور نائب رئيس مجمع اللغة العربية
السادة الزملاء أعضاء مجمع اللغة العربية سيداتي سادتي .

حينما كُلفت من قِبل مجلسِ مجمعِ اللغة العربية بدمشق الكلامَ عن السيرة العلمية للأخ الزميل والصديق العزيز الأستاذ الدكتور عادل العوا ، احتفالاً باستقباله عضواً عاملاً في المجمع المذكور ، عادت بي الذاكرة إلى عام ١٩٣٨ حينما أقام الأستاذ المرحوم جودت الهاشمي ، مدير الثانوية الأولى بدمشق ، حفلاً تكريمياً للطلاب المتفوقين في نهاية الامتحان ، وكان الدكتور العوا الأول في شعبة الفلسفة من الصف الثاني عشر في النظام القديم .

وفي ذلك العام أعلنت وزارة المعارف في سورية عن مسابقة لإيفاد عددٍ من حملةِ الشهادة الثانوية إلى فرنسة ، للتخصص في فروع العلم المختلفة . وقد تقدم الدكتور العوا إلى امتحان تلك المسابقة للتخصص في الفلسفة ، فنجح فيه بتفوق ثم سافر إثر ذلك إلى فرنسة ، وانتسب إلى جامعة السوربون في باريس لتحضير شهادتي الليسانس والدكتوراه . وقد شاءت الأقدار أن يحظى بالتلمذة على أيدي مجموعةٍ من خيرةِ أساتذة

الفلسفة في ذلك الحين ، كما كان المُشرِف على تحضير رسالة الدكتوراه ورئيسُ لجنة الحكم العلامةُ والمستشرقُ الشهير لويس ماسينيون .

أما موضوعُ تلك الأطروحةِ التي قدمّها عام ١٩٤٥ فكان (الفكرُ الانتقادي في رسائل أخوان الصفا) . لقد طُبعت هذه الرسائل ونُشرت عدةَ مرات ، في الهند والقاهرة وبيروت ، ولكن دون تحقيقٍ علمي صحيح أو دراسةٍ منهجية . لذلك انتخب الأستاذ العوا نسخةَ القاهرة ، المصحّحة والمنشورةَ من قبل المرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي عام ١٩٢٩ . وقام بدراستها دراسة تحليليةً ونقدية باللغة الفرنسية ، وخلُصَ منها إلى النتائج الرئيسة الآتية :

لقد كان القصدُ من كتابة هذه الرسائل ونشرِها الدعوةَ في مختلف الأوساط الاجتماعية والقومية والثقافية والدينية ، للانضمام إلى حركة أخوان الصفا ، يبلغ عددُ هذه الرسائل اثنتين وخمسين رسالة . وهي أشبهُ بمحاضرَ جلسات لهذه الجماعة ، يبثونها في الناس لشرحِ أفكارهم بأسلوبٍ علمي وفلسفي أصيل .

كانت حركةُ أخوان الصفا في أولِ أمرها متميزةً بتجاوزِ الانحياز إلى أي مذهب أو دين . وكان هدفُها التقاءُ الناس كافةً على مذهبٍ إنساني يجمعُ ما سبقَه وعاصرَه من مذاهبَ وحركاتٍ دينية وفلسفية . كما امتازت حركتُهم بنزعةٍ اشتراكية بالإضافة إلى النزعةِ الإنسانيةِ المثالية .

لقد قاموا بتصنيف الناس في أربعِ زمر ، فمنهم من رُزق العلم والمال ومنهم من حُرم منهما . ومنهم من رُزق العلمَ دون المال أو رُزق المالَ دون العلم . ولكي ينعَم جميعُ هؤلاء الناس بالسعادة والخير يجبُ عليهم أن يتعاونوا في السرّاء والضراء ، وأن ينشروا العدل في صفوفهم ثم في مجتمعهم . لقد أطلق أخوانُ الصفا على أنفسهم اسمَ أهل العدل وأبناءِ الحمدِ . وفي

تسميتهم أنفسهم بأهل العدل إشارةٌ جليةٌ إلى إجلالهم الاسم الذي هو أحبُّ الأسماءِ إلى المعتزلة .

إن الدراسةَ الموضوعية لرسائل أخوان الصفا ، والتحليلَ النقدي لنصوصها يُبيّن خصائصَ تفكيرهم ، مما يُبيح لنا تحديدَ هويتهم الثقافية واعتبارهم معتزلةً متأخرين .

تابع الأستاذ العوا بعد تخرجه ، دراسته للفكر العربي الإسلامي ، وعُني بنشر نصوصٍ إسماعيلية في كتاب عنوانه « منتخباتٌ اسماعيلية تُنشر لأول مرّة » ، مع مقدمة وافية تشير إلى الحركة الإسماعيلية وتطورها .

ثم توسع بعد ذلك في بحث جانبين أساسين من الفكر الإسلامي وهما « علم الكلام والفلسفة » فنشر كتاباً بهذا العنوان عام ١٩٦٤ ، تحدث فيه عن مختلف الفرق الكلامية ، والمسائل الرئيسية التي عالجها أصحاب الكلام .

وفي مضمار الفلسفة العربية سبق الأستاذ العوا مؤرخي الفلسفة إلى تمييز تيارين في الفلسفة العربية المشرقية ، دعا أحدَهما التيارَ الانتقادي ، وبحث فيه عن آراء ابن المقفع والنظّام والجاحظ والمعرّي وأخوان الصفا . أما الفريقُ الثاني فهم الفلاسفةُ المسلمون الذي اهتموا بالتوفيق بين الشرع والفلسفة ، وكان منهم الكندي والفارابي وابن سينا . لقد امتاز الفريقُ الأول بنظرته الإنسانية الشاملة ، بينما اقتصر اهتمامُ الفريق الثاني على الإنسان المتديّن المسلم .

وفي عام ١٩٨٧ نشر الاستاذُ العوا كتاباً بعنوان (المعتزلةُ والفكر الحر) ، أوضح فيه أسبابَ ظهور حركة الاعتزال ، واعتبراها ارتكاساً تاريخياً وثقافياً وسياسياً ، على تطرف الخوارج المتزمتين ، وتراخي المرجئة السلبيين . ثم حللّ خصائص حركةِ المعتزلة من شتى الجوانب العقلية

والعلمية والانتقادية والإنسانية . وتحدث عن آراء بعضِ زعمائهم أمثال : واصـــل بن عطــاء والعــلّاف والنظّـام والجاحظ والفوطي وابن أبي دواد وغيرهم . وفي نهايةِ كتـابه قدم بحثـاً شــاملاً عن تأثر المعتزلة وتأثيرِهم ، وأوضـح استمـرارَ روح الاعـتزال في الفكر العربي والإســلامي إلى وقتنـا الحاضر .

لقد اهتم الأستـاذ العوا بعـلم الأخلاق ، إلى جانب اهتمامه بعـلمي الكــلام والفــلسـفـة ، فنشـر منذ عام ١٩٥٨ كتـاباً عنوانه « المذاهبُ الأخلاقية » ، بين فيه مفهومَ الأخلاق عند مختلف المفكرين والفلاسفة ، منذ نشأة الفكر الأخلاقي في اليونان حتى المرحلة المعاصرة ، فأصبح البحثُ الفلسفي في الأخلاق يندرج في مجال معاصر شـامل تحت اسم (فلسفة القيم) . ومن الفصول التي تناولها في كتابه هذا مذاهبُ المدرسة السقراطية والأبيقورية والرواقية ، ومذهب ديكارت وسبينوزا وليبنز وكانت ، كما تحدث عن المـوســوعيـين وروسـو وآدام سميث ، وعن شبنهور وسبنســر ونيتشــه وبرغسون وسواهم .

وفي عــام ١٩٦٠ نشـر الأستــاذ العـوا كتــابـاً بعنـوان (القيمــة الأخلاقية) ، توسع فيه في بيان النظرة المعاصرة لهذا المفهوم ، ثم تتابع بعد ذلك ظهور عدة مؤلفات أخلاقية له ، نكتفي بالإشارة إلى عناوينها وهي : (الوجدان) صــدر عام ١٩٦١ –(أسس الأخلاق الاقتصــادية) عام ١٩٨١ –(العمدة في فلسفة القيم) عام ١٩٨٦ –(الأخلاق والحضـارة) عام ١٩٨٩ –(أخلاق التحكـم) عام ١٩٨٩ –(مذاهـب السعادة) عام ١٩٩١ .

ومن مؤلفاته المهمة أيضاً ، والمتعلقة بالمطلب الأخلاقي ، كتابٌ عنوانه (من معالم الكرامة في الفكر العربي) صدر عام ١٩٦٩ ، وفيه بحث عن

الكرامة الإنسانية بين القديم والحديث . وقد بين المؤلف النظرة الإسلامية إلى هذا المفهوم في اللغة العربية والقرآن والتفسير . ثم انتقل إلى بحث هذا المفهوم في التاريخ العربي الإسلامي ، مبيناً معنى كرامة الرسول والخلفاء الراشدين ، وكرامة آل البيت في نظر السنة والشيعة ، ثم كرامة الأشراف .

وقدم بعد ذلك بحثاً انتقادياً عن كرامة الأولياء والمتصوفة ، يعيب فيه على الأخيرين غلوهم في سلب إرادة المريد ، خضوعاً بل رضوخاً لشيخه .

كما تصدّى أيضاً لمشكلة الرقّ والموالاة ، وبيّن مفهوم الكرامة في الأخلاق ، وأتى على آراء المجتهدين في تحديد حقوق الإنسان المسلم والزوج والأب والمرأة والملك وأولي الأمر . وأشار أخيراً إلى موقف الأدباء والشعراء ، في مختلف العصور ، بصدد الكرامة القومية ، ومعركة الشعوبية المتصلة بفضل العرب على العجم أو العكس . وانتهى إلى بيان الكرامة بالمعنى القومي والاجتماعي ، واتصالها بالمطالب الاقتصادية والاجتماعية .

لقد توقّف الأستاذ العوا طويلاً عند الكلام على كارثة فلسطين ، والكرامة العربية في نكسة عام ١٩٦٧ .

- ومما تحسن الإشارة إليه قيام زميلنا بترجمة عدد وافر من كتب الأخلاق ، نذكر منها : (الفن والأخلاق) نشر عام ١٩٦٥ -(الانتحار والأخلاق) عام ١٩٨٧ -(الأخلاق والسياسة) عام ١٩٨٨ .

وفي الكتاب الأخير يشير المؤلف ، بعد تعريفات وافية ، إلى تناقض الأخلاق والسياسة . ويتقدم بمحاولات لحل هذا التناقض ، منتهياً إلى ما انتهى إليه أخوان الصفا وهو أن العدالة قيمة أساسية في حياة المجتمع ، وفي قيام سلطة شرعية ونجاح ممارستها . فالشعب يتكلم لغة العقل ، وهو يُعرب عن رأي المجتمع بأسره ، وأن رسالة الفلاسفة لم تبق في أن يحكموا المجتمع مباشرة ، بل هي تربيةُ المواطنين وإعدادُهم لحكم أنفسهم ، والإيمان

بأن الديمقراطية هي الأساس الوحيد المعقول للسلطة الشرعية .

لقد أراد الأستاذ العوا أن يتوسع في مفهوم الكرامة ، باعتبارها نزعةً عالمية إنسانية ، فنشر عام ١٩٧٣ كتاباً عنوانه (من الشرف إلى الكرامة) بيّن فيه تطور العادات في هذا المجال ، من تقديم الإنسان قرباناً للآلهة ، كما كان قرباناً في حالات الحرب والمجاعة والوباء والكوارث الطبيعية .

ومن عوائق نضج هذا المفهوم القتل في سبيل الثأر ، وقتل الزوج للزوجة أو العكس ، في حال الخيانة الزوجية ، وقتل الوالدين عند الهرم عقوقاً ، ووأد البنات صوناً للكرامة والعرض أو خوفاً من السبي .

ويرى المؤلف أن الكرامة الإنسانية تنافي تقييد الحرية الموجودة في بعض العادات الإجتماعية ، كخضوع الأبناء والبنات لأوامر الأب أو الابن الأكبر ، وخضوع الفتاة القاصر للزواج ممن لا ترضاه .

ولما كانت المرأة لما تزل تعتبر أدنى منزلةً من الرجل ، فقد رفض المؤلف هذه النظرة ، وأوضح ضرورة تحررها ومساواتها للرجل ، حفظاً لكرامتها .

وفي بحثين آخرين يُبين الأستاذُ العوا بعضَ أشكال الاستغلال ، المنافي للكرامة الإنسانية ، فطرح قضية الرق والقنانة ، والاستعمار والتمييز العنصري ، ولم يغفل نضال الأمم حالياً لمكافحة الرقيق الأبيض والبغاء .

وفي الفصل الأخير من كتابه هذا يعالج مشكلات الحرب وكوارثَها ، وينتهي إلى بيان سعي الدول لانقاذِ الكرامةِ الفردية والجماعية ، أيام الأزمات والفتن والحروب ، عن طريق عقد المواثيق في ظل الأمم المتحدة .

وفي إطار الفلسفة العامة ، التي أشرقت على جوانب التفكير المعاصر ، قام الأستاذ العوا بمجهود كبير ، فصنف أو ترجم مؤلفات كثيرة ومتنوعة ، نذكر من عناوينها : الفكر والتاريخ – التجربة الفلسفية – نهج الفلسفة والفلاسفة الإنسانيون – الفلسفة والتقنيات – الفكر الفلسفي المعاصر –

الثقافة الفردية وثقافة الجمهور .

ومن مؤلفات الأستاذ العوا المهمة ما يتصل بالإبداع الفني والإلهام . فقد نشر كتاباً عنوانُه (مدرسةُ الآلهات) ، وهو من وحي الأسطورة اليونانية التي تقول بوجود ربّات للوحي ، في مجالات الشعر والتاريخ والرقص والموسيقى . وبيّن فيه مفهومَ العبقرية في الفكر العربي ، مستشهداً بمؤلفات وآراء مجموعة من أدباء ومفكرين أجلّاء ، منهم الشاعر خليل مردم ، الذي تكلم عن اللحظات الإشراقية التي يتمّ فيها الإبداعُ الشعري والفني بصورة عامة .

ومن المؤلفات الحديثة التي ترجمها الأستاذ العوا (حوارُ الحضارات) لروجيه غارودي ، المعروف بتطوره الفكري ، ونضاله في سبيل نصرة الحق ، ولو كان حقاً عربياً . وفيه يستعرض تاريخ الغرب ومستقبله ، انطلاقاً من وجهة نظر لا ترتكز إلى أوربا فحسب . ويرى أن الغرب ليس وحده مبدعَ القيم الإنسانية ، بل اشترك في ذلك جميعُ شعوب العالم القديم . لذلك لا مناص من إعداد نظام عالمي جديد ، يبدأ الحوارَ مع حضارات آسيا وإفريقية وأمريكة اللاتينية على السواء .

هذا ولما كان للإيديولوجيا في وقتنا الحاضر مفهومٌ كثير الشيوع ، فقد بحث الأستاذ العوا هذا العلمَ الجديد عبر ترجمته المتجسدة في ثلاثة مؤلفات متكاملة ، عناوينها : « نقد المجتمع المعاصر – نقد الأيديولوجيات المعاصرة – الممارسة الأيديولوجية » . وهذه الكتب من تأليف الفيلسوف ريمون روِّيه ، الأستاذ بجامعة نانسي في فرنسة ، والباحث المعروف في علم الاجتماع . وفي مؤلفاته نقدٌ للمجتمع المعاصر ، الغارقِ في خضم وسائل الإعلام الجماهيرية ، حيث لا يكاد الإنسانُ يفقه من آلياتها المعقّدة وأهدافها الحقيقية شيئاً .

ولذا تبدو مؤسساتُ ووسائل الأعلام في العالم الثالث ، على اختلاف أنواعها ، متخلفةً . كما يبدو الحاضرُ الاجتماعي قاصراً عن التهيؤ لاستقبال الغد . ومن هنا وجب تجاوز مجتمع البعد الواحد إلى المجتمع المتعدد الأبعاد ، وهذا يقود إلى انتقاد الأيديولوجيات المعاصرة بروح منفتحة ، ومستعدة للتطور ، لتجعل الممارسة الأيديولوجية أكثرَ فائدةً ومواءمةً لحياةِ الإنسان في العصر القادم .

مما سبق يتبين لنا جودة وغزارة الإنتاج العلمي للزميل الكريم الأستاذ الدكتور عادل العوا الذى أغنى المكتبة العربية بمؤلفاته القيمة والذي يعتبر بحق أحد المربّين الأوائل، والمؤسسين لعلمي الأخلاق والفلسفة في بلادنا، ونحن نستقبله في هذه الأمسية عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية ، راجين له دوام الصحة واستمرار العطاء .

ولنا كبيرُ الأمل أن يكون انتماء الأعضاء الجُدد لهذا المجمع فاتحة عهد ازدهارٍ وتقدم لنشر العربية الفصحى والدفاع عنها تجاه الطامعين في تشويهها والقضاء عليها والسلام .

كلمة الأستاذ الدكتور عادل العوا

في حفل استقباله

اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية

العروبة انتماء محبة وولاء ، محبة الأمة العربية ، خيرِ الأمم ، وولاءٍ للخُلَّص الكَمَلة الفضلاء من عشّاق الذود عن حياضها ، والنهوض بإمكاناتها ، ولا سيما من بني جلدتها . وهل من يضارع رسل مجمع اللغة العربية جهاداً صادقاً في سبيل الأمة العربية ولغتها الشريفة النامية ؟ إنهم ، كما وصف (التوحيدي) جماعة (إخوان الصفاء) ، « مَنْ تألفت قلوبهم بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة » ، فنذروا جهودهم وجهادهم ، وأنفقوا مددهم وأعمارهم ، في سبيل هذا الهدف السامي الرفيع ، والغرض الأسمى النبيل .

وإنه ليشرفني ، ويسعدني ، أن أرى حقبة أخيرة من حياتي الفانية يتوّجها تكريمٌ رفضتُ دونه كلَّ تكريم ، ويَهيب بي وعي مسؤولية ثمينة غالية إلى مزيد من الشكر لمن جادوا باقتراح قبولي في هذه الندوة العريقة ، وهم الأماثل زملاء المستقبل ، والشكر والامتنان كذلك لسيادة الرئيس القائد الذي أيّد هذا الاقتراح وأقرّه بإفضال سابغ . وأخص بالشكر أوفره الصديقين العزيزين الدكتور شاكر الفحام والدكتور محمد زهير البابا ، وقد أغدقا علي من وحي عطفهما ثناءً ، كما شهدتم ، لا أجدني جديراً بأقله ، فكيف أفوز بأكمله ؟

أيها السيدات والسادة .

إن ألفاً من السنين الأخيرة من تاريخنا ، تفصلنا عن نشاط (أخوان الصفاء) . فلنتمهل لحظة نبصر فيها بعض ما طرأ من فوارق ، وبعض ما ثبُت من اهتمامات .

يتابع (التوحيدي) كلامه على جماعتهم ، حاكياً قولهم : « إن الشريعة قد دُنّست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية الحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية » .

وقد تمخض مسعاهم ، في الأحوال كلها ، عن رسائل كثيرة يشبه أن يكون مجموعها موسوعة تامة للمعارف الإنسانية السائدة في عصرهم ، من حساب وفلك وهندسة وموسيقا ، إلى العلوم الطبيعية والنفسية والدينية الناموسية أو الإلهية . فهم لم يعادوا علماً من العلوم ، ولا فناً أو صناعة أو أسطورة ، حتى السحر والعزائم والتنجيم . وقد تناولوا مصطلحات هذه الإحاطة الشاملة بالإيضاح والتدقيق ، وما زالت رسائلهم تشهد على حيوية اللغة العربية ، ونباهة الناطقين بها آنذاك ، وقد حققوا نصراً مبيناً في معركة التعبير عن كل ما خطر ببال بشر بلغة جلية ، ومصطلحات مبتكرة ، ولم يفتّ في عضدهم عجز ولا قُصور .

وها نحن أولاء بعد قرون عشرة نملك من أدوات المعرفة ، وأجهزة حفظها وتطويرها ما لم يكن لهم به عهد ، ونطرح على أنفسنا تساؤلاً عن مراكز اهتمامنا العلمي والثقافي . أترانا نكرر عنايتهم بصلة الشريعة والفلسفة بمثل الصدق والعمق والحرية التي كانت تواكب بحوثهم ومناقشاتهم ؟

مطالب المجمعيين :

لقد أحببتُ ، بغية الإجابة ، أن أستلهم طرفاً من أراء السادة

المجمعيين ، فقرأتُ ما اتفق لي من الخطب الملقاة تقليدياً في حفلات استقبال الأعضاء العاملين الجُدد ، فوجدت إجماعاً رائعاً ، وطبيعياً ، على الإشادة بلغتنا الحبيبة الشريفة « التي كرّمها الله فأنزل بها كتابه المعجز ليكون هدى للعالمين »[١] ، وهي « اللغة المقدسة التي تعلو في شموخها على سائر لغات العالم »[٢] . وأنا أعلم أن (أخوان الصفاء) ، مثلاً ، يجلّون العربية كذلك بقولهم : « اللغة التامة لغة العرب ، والكلام الفصيح كلام العرب ، وما سوى ذلك ناقص . واللغة العربية في اللغات مثل صورة الإنسان في الحيوان ... وهي تمام اللغة الإنسانية ، وختام صناعة الكتابة ، ولم يحدث بعدها شيء ينسخها ، ولا يغيرها ، ولا يَزيدها ، ولا يُنقِصها »[٣] .

هذه الإشادة باللغة العربية ، وهذا الإيمان بتفوقها ، بل بتفردها ، وربما بتقديسها ، قاسم مشترك ، وصلة متصلة بين أجيال الأمة العربية الواحدة في تاريخها التليد والطريف . أليست « أم اللغات » كما قيل[٤] ؟. بيد أن السادة المجمعيين ، جلَّهم ، يعزِفون عن « الميتافيزياء » القومية أو الدينية . وهم بذلك يختلفون عن الأسلاف المبجَّلين ، وإن آمنوا بأن « من أراد خيراً بهذه الأمة خدم لغتها وصانها من العابثين »[٥] .

فمن « الخالدين » من يشكو « داء انتفاخ الأفكار » حين يُعبِّر عن فكرة بسيطة بلفظة أكبر من هذه الفكرة « فيسرع النَخْر والبِلى إلى لغتنا ، ويتباعد ما بين عقليتنا وعقليات الأمم »[٦] . ومنهم من يستخلص من ملكية الأجيال العربية لغتَها ضرورة « أن ينضاف عن طريقها جديد إلى قديم » « لنواكب ما بين اللغة وبين الحياة قبل أن ينفصم الذي بينهما » « ونضمن للفكر العربي كله أن يعمل في طلاقة وحرية »[٧] . ومنهم من يحذّر من الدعوات الفاسدة في مجال اللغة « لأن لِلغة في حياة الأمة العربية شأناً

كبيراً ، وقيمة أعظمَ من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم »[٨] . وقد « تداعت على اللغة العربية الأمم : كبيرُها وصغيرها »[٩] ، كما أن « أخطر ما يتهددها هو هذه الأمراض التي تساور بناءها الصحيح ، وتتسرب إلى ينابيعها الثرّة الصافية كالسُمّ الخفي »[١٠] .

ويمضي مجمعيون خطوات أخرى في درب المنحى الواقعي . فيرى الأستاذ نائب رئيس المجمع الدكتور (شاكر الفحام) « أن أمانة المجامع العربية تلتقي وأمانة الجامعاتِ لتكون الفصحى لغة العلم والتعليم والإدارة والحياة اليومية في الوطن العربي » . و « العربية قادرة على الاستجابة لكل ما جَدَّ ويجدّ من كشوف في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية والتكنولوجية والإنسانية »[١١] . ويطمح مجمعي عزيز إلى قيام مجمع موّحد للغة العربية تسهم فيه الأقطار العربية كافة « نشداناً للوحدة الثقافية » التي هي « اللبنة الأولى في صرح الوحدة السياسية » ، وهي عنده كذلك « لبنة في مؤسسة أكاديمية واسعة تضم النابهين من المفكرين والأدباء واللغويين والعلماء »[١٢] . وكان أستاذنا الدكتور (جميل صليبا) يطلب « إنشاء مجمع علمي واحد » . واكتفى الزميل (عبد الكريم زهور) « بتوثيق العلاقة بين مجامع اللغة العربية ، وتشكيل ما يشبه الهيئة المركزية .. تُوزِّع على المجامع الأعمال ، ثم تنظر في النتائج ، وتقرّ ما تقرّه ، وتعمّمه »[١٣] .

إن الأمنيات تعكس ، من الناحية الجدلية ، نقائص وعَوَزاً . فممَّ تشكو اللغة العربية والناطقون بها ؟ وما هي الجهالات التي دنّست لغتنا الجميلة بعد أن دنّست الشريعة الغرّاء ؟ وكيف السبيل إلى غسل اللغة وتطهيرها كما شاؤوا غسل الشريعة بالفلسفة ؟

لقد نبّه الأمير (مصطفى الشهابي) إلى « مبلغ اتساع العلوم الحديثة اتساعاً يحيّر العقول . ورأى أن العلوم والفنون الحديثة تدهمنا من جميع

جوانبنـا ؛ ومجامعنـا اللغـويـة والعـلميـة بطيئـة في وضع المصطلحات العربية »[١٤] . بيد أن للقضية وجهاً آخر ، على الأقل ، يجدر بنا الالتفات إليـه ، والعنـاية به . فلم يبق « انتفـاخ الأفكار » هو المشكلةَ وحسب . وكذلك داء العجمة والرطانة العتيقُ جداً ، وهو يهدد اللغة الفصحى بخطر ألا يجيدها إلا فئة من المتخصصين ، بعد أن ساءت أساليب تعليم اللغة وعلومهـا ، ومُنيت الأجيـال الفتية بنَفْرة منها ، وهبّت عواصف الشعوبية تدعو إلى اللغـة العامية ، وتمارسها ، وتدّعي عجز لغة القرآن عن مواكبة مسيرة العلم والفن ، زاعمة أن من الخير أن يُستبدل بها اللغات الأجنبية ولا سيا في تدريس العلوم .

التفاعل التاريخي :

وهذا الوجه الآخر الذي نحب أن نلفت الانتبـاه إليـه هو التفـاعل التـاريخي الراهن في عالمنـا المعـاصر ، حيث تضـاءلت الأبعاد ، وقصرت المسـافات ، وكثر التواصـل بازدياد وثّاب ، وصار للدول ذوات الوسائل الأحدث التأثيرُ الأقوى في توجيه الوقائع والأفكار . وبات من أثر التفاوت بين العوالم السيـاسيـة اضطرامُ الجشع ، وطغيـان العدوانيـة الشمولية على الوجود العربي . ومن أخفى أسلحته تجاهلُ هذا الوجود ، وقَصْر الاكتراث به على مسعى الاسـاءة إليه في السرّ أو العلن .. ومن هنا كانت دعاوى انتقاص الامكانات العربية في كل مجال ، ومنها مجال الثقافة والعلم والفكر والأدب والفنون .

إننا نود إماطة اللثام عن بعض هذا التجاهل العالمي ، شبه العالمي ، وهو يتطلع إلى أن يُسقط من حسـاب الحضارة العالمية الثقافة العربية في سـالفها وحاضرها ، ويسدَّ الطريق أمام تطويرها ومستقبلها . وسبيلنا إلى ذلك سبيل ذاك الفيلسوف القديم الذي نهض وسـار ليبرهن على إمكان الحركة بالحركة ، حاسماً على هذا المنوال تخبط المتخبطين .

وقد اخترنا للتمثيل على مشاركة ثقافتنا الثقافة العالمية إلماعات سريعةً في ميدانين أساسين هما : ميدان الشعور الديني ، وميدان الشعور الفلسفي . وغرضنا توضيح أن إسهام العرب غابراً وحاضراً في صنوف النشاط الإنساني كلها ، ومنها هذان المجالان ، يمنحنا الحق في متابعة الخطا ، وغذّ السير لمواكبة ما بلغ الآخرون من المتقدمين في وقتنا ، بل حق/وواجب/الاسهام فيما يتصور المستقبليون من إمكانات قادمة لمصير الإنسانية ، الممكن والمحتمل .

المجال الديني :

ففي المجال الديني ، يرى المتتبع ، بادئ ذي بدء ، أن اللغة العربية تنمّ عن توافر الأنماط الابتدائية من الظاهرة الدينية في الجزيرة العربية قبل الإسلام . وهذا يعني أن للأمة العربية في غابرها إسهاماً في سيرورة الشعور الديني وتطوره من طوطمية ووثنية حتى التوحيدية . ولما ظهر الإسلام ، وتتابعت الدعوة إليه في ظل الدولة العربية فالأموية فالعباسية ، تأكد التفاعل الكلامي ، بل والصوفي ، مع ما يماثل هذين امنتزعين في الديانتين السماويتين السابقتين . ونحن نعلم ، من ناحية أخرى ، أن البحث العلمي في الشؤون الدينية ما انفك يزداد أهمية وتنوعاً واتساعاً ، حتى في أقطار ليست الممارسة الدينية فيها أمراً لازباً كلياً . وقد واكب البحثَ الاعتقادي في كنه الدين بوجه عام بحثٌ متطور تبع نماء العلوم التاريخية والإنسانية : فكان من ذلك علم النفس الديني ، وعلم الإجتماع الديني ، وتاريخ الأديان ، والأديان المقارنة ، والظواهرية الدينية ، وآل الأمر حالياً إلى ما يسمى علم الأديان ، وهو مسعى يود العثور على جوهر التدين باستقراء معطيات الديانات كافة ، أعني حقيقة القداسة والمقدس .

وليس هنا مجال سرد كثير من التآليف العربية التي تمضي مع هذا

النشاط العلمي العالمي . ونكتفي بالإشارة إلى واقع مهم يبيّن الحرص على الانفتاح العربي العقلي والقومي المعاصر ، والمؤيِّد للتآزر الإنساني في حقل المعرفة الدينية ، وإن ظلت جوانب من هذه المعرفة تُعدّ قبل فترة وجيزة من العقائد السرية المكتومة عن غير مستحقّيها .

ذاكم مثلاً هو الانفتاح الذي نشاهده اليوم لدى بعض النزعات أو التيارات كالإسماعيلية التي أخذ معتنقوها ينشرون على الملأ ما كان مكتوماً ، ويذيعون ما كان محجوباً . ويحق للممعن أن يدرك بجلاء أن للفلسفة الباطنية جذوراً هي عينُها الجذور التي نلقاها في الفلسفة الإسلامية الظاهرة . وما الفارق الأساس بينهما سوى فارق التأويل ، شأنه هنا كشأنه في كل مكان مماثل في سائر الديانات العالمية أن ينوس بين تفسير حرفي مرفوض ، وبين دلالات مجازية طريفة أو مبتكرة . ولا يخفى أن « جلاء العقول » العالِمة بمزيد من جلاء جوانب هذه الفلسفة الباطنية إنما يسهم إسهاماً جليلاً في توحيد الشعور القومي العربي من ناحية ، ويضع في الوقت ذاته لبنة جديدة في صرح التكامل الثقافي العالمي من ناحية أخرى .

غير أن لهذا الصرح الديني العالمي جوانب مهمة أخرى كان للعرب والمسلمين فيها إسهام عظيم ناجع . من ذلك ما نعلم عن قصة الفكر الحر ونشأته وتطوره في جو الصراع العقائدي السياسي – الاجتماعي معاً . فقد طَمَح رواقيو (رومه) إلى تحرير الإنسان العبد . وجاء المعتزلة بتحرير الإنسان الفكر . وأعقبهم كثيرون من طبقة (روسو) و (فولتير) و (مونتسكيو) و (دولباخ) و (لوك) و (ستورت مل) و (رينان) و (لوازي) . وانتهى الأمر إلى مقولة الفكر الحر ، وآل إلى صوغ شعاراتِ عالمنا المعاصر المتقدم . تقول الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان : « لكل شخص الحق في حرية التفكير والاعتقاد والديانة » . وقد ألحف المعتزلة من

قبل على الدفاع عن الدين بتحرير العقل الإنساني ، راجين تحول حرية التفكير في الإسلام إلى فكر حر جهد المستطاع . رائدهم في ذلك آية قرآنية كريمة : « لا إكراه في الدين »[١٥] ، وآية أخرى كذلك : « أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »[١٦] . وقد امتد تأثير المعتزلة إلى فرق السنّة والجماعة والشيعة وإلى الفلاسفة و (المعري) و (مسكويه) ، وإلى الثقافة الأدبية واللغوية ، وإلى الثقافة الإسلامية غير العربية ، بل وإلى الفكر اليهودي .. ولئن خَفَت صوت المعتزلة مذهباً ، فإن الاعتزال ، بأصالته العربية والعالمية ، ما زال ينمو في دنيا البشر روحاً وموقفاً .

المجال الفلسفي :

لننتقل الآن إلى المجال الفلسفي بالمعنى الدقيق .

فقد أهمل مؤرخو الفلسفة الغربية الكلام ، إلا بنحو من الاستثناء ، على الفلسفة العربية ، وتجاهلوا إسهامها الثرَّ والأساسي في نماء النشاط الفلسفي الغربي فالعالمي ، وقلّ منهم من أنصف العرب والفكر العربي ، فوجب التنبّه إلى إحقاق الحق ، وإعادة الأمور إلى نصابها بإحلال النشاط الفلسفي العربي – الإسلامي محله الصحيح من تطور الفكر الفلسفي العالمي ، وغدا مُنكراً زعم (رينان) « أن الفلسفة العربية فلسفة إغريقية بحروف عربية » ! وقد فاته أن الفلاسفة العرب القدامى لم ينسجوا على منواله ، ولم ينظروا نظرة عرقية كنظرته ، وإنما وجدوا أن الحقيقة ملك البشر كافة ، وإن ثمة قرابةً روحية ، ونَسَباً ثقافياً ينمّ عن اتصال تاريخي بين الشعوب والحضارات ، وإن انتقلت مراكز التميز من شعب إلى شعب ، ومن أمة إلى أخرى . آية ذلك إيمان (الكندي) بأن الحقيقة تراث مشترك بين الأمم على مرّ العصور ، وعلى الرغم من تفاوت المكان والزمان والديانة

واللغة والجنس .. وقد أوجب (الكندي) ، فوق ذلك أن يشكر اللاحق السابق الرائد . يقول : « مِن أوجب الحق ألّا نذمّ من كان أحد أسباب منافعنا الهزلية ، فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية » . فإنهم « كانوا لنا أنساباً وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم ... فينبغي أن يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق ، فضلاً عمن أتى بكثير من الحق إذ أشركونا في ثمار فكرهم » . وهذا الشكر والعرفان يتجدد لدى سائر الفلاسفة والمفكرين العرب والمسلمين ، حتى لدى (ابن رشد) ، المتيّمِ بـ (أرسطو) ، وشارحِه الشهير ، وصاحبِ مذهب الرشدية الذي كان له الأثر العميق في تطور الفكر الغربي عامة ، والتومائية بوجه خاص .

وقد رصد استاذنا المجمعي الدكتور (جميل صليبا) ، قبل ثلاثين عاماً[١٧] ، الإنتاج الفلسفي العربي خلال المائة السنة الأخيرة ، وأشار إلى أن المشتغل بالفلسفة كان في العصور المظلمة يُرمى بالمروق من دينه ، ويُتَّهَمُ بالزندقة والإلحاد . ثم جاءت مراحل « مدّ البصر إلى أقصى حدود المعرفة . وعمد مؤلفون ومترجمون إلى وضع المصطلحات العربية للتعبير عن المعاني الفلسفية الحديثة ، فأغنَوا لغتنا العربية بالألفاظ الفلسفية ، ومكنّوها من التعبير عن دقائق الفكر الحديث . يقول : « إن العالم العربي لم يتمخض عن فيلسوف عربي كبير على طراز (أفلاطون) و (أرسطو) و (ابن سينا) و (ابن رشد) » . وإن ثمة أساتذةً آثروا العناية بتاريخ الفلسفة « وألّفوا كتباً لا تخلو من النظر الدقيق ، والتحليل العميق » . ولكن الأستاذ الكبير ينتهي إلى تمييز اتجاهات كثيرة في الإنتاج الفلسفي المعاصر ، ليس أقلّها الاتجاهُ المادي ، والعقلي ، والروحي ، والتكاملي ، والوجودي ، والشخصاني ، والعلمي » . وعندنا أن هذه الاتجاهاتِ السبعةَ تدل على مشاركة العقل العربي في منازع مختارةٍ من الفكر الغربي والعالمي الراهن . ولكنَّ لهذه المشاركة تاريخاً أعرقَ من تأثر الباحثين المعاصرين بالاحتكاك

الجديد بالثقافة العالمية . فإذا رجعنا بالماعة إلى الماضي ألفينا الفلسفة العربية حلقة لازبة في تطور النشاط الفلسفي . وإن المشكلات التي طرحها في الإسكندرية الفكر اليهودي لدى (فيلون) ، والمسيحي لدى (أفلوطين) هي مشكلات علم الكلام ذاتها . ومن نظرية الفيض تمتح الفلسفة (الفارابية) و (السينوية) والفلسفات الباطنية التأويلية دون أن يغفل أي مفكر « تقويم » أفكارِ من سبقه ، فتجدهم يجلّون القدامى ، غير غافلين عن قصورهم تارة ، وأخطائهم تارات .

وقد عمدوا إلى تصحيح الغلط ، وتدارك النقص ، والمضي قدماً إلى حلول مبتكرة لمشكلات « ميتافيزيائية » مستعصية . ولم يشذّ نهجهم في هذا كله عن النهج العالمي في الفلسفة ، أعني الطريقة التفكيرية التي نشاهدها هي هي لدى (أفلاطون) ، و (الفارابي) ، و (ابن سينا) . وإن الجدل ذاته هو الذي يتيح للشيخ الرئيس بناء فلسفته بتعمق مفهوم واجب الوجود وتحليل ما ينطوي عليه هذا المفهوم تحليلاً خلفياً مشفوعاً باستطراد أمامي ، ويجيز ربط معنى آله الفيلسوف بفكرة خلق العالَم ، والانتهاء من ذلك إلى اتفاق الحكمة والشريعة ، والعقل مع النقل ، شأن الفلاسفة المسلمين إجمالاً ، وفلاسفة العصر الوسيط الأوربي بوجه أعم . بل إن (الغزالي) نفسه ، صاحب النفحة الإلهية ، والإشراقة القلبية ، لا يبعد عن (ديكارت) في منطلق الشك المنهجي الموصل إلى يقين الكوجيتو (الديكارتي) من جهة ، وإلى ذي العزة والجلال بالذوق الصوفي عند (أبي حامد) ، من جهة أخرى .

المشاركة المعاصرة :

إن أستاذنا الجليل الدكتور (صليبا) لم يدرك منزعاً راهناً لاحقاً في الفكر الفلسفي المعاصر ، وهو المنزع الذي يعي دقائق المشاركة العربية في

الثقافة العالمية ، وذلك بالانطلاق من واقع العروبة التي تواجه في هذه الفترة الأخيرة من القرن العشرين تألباً شبه عالمي يود القضاء عليها وتدميرها ، لولا أن الشعوب لا تموت ، وإن أمكن أن تحيق بها هزائم نكراء ، ونكسات ماحقة الفكر واللغة والثقافة جميعاً .

وهذا المنزع المعاصر محاولة نضالية هادفة تسعى ، في المرتبة الأولى ، إلى إعادة البرهان على حيوية الفكر العربي ، وعلى إمكاناته اللامحدودة ، واللامحددة ، بما لا يقل سطوعاً عن نصوع ما يتحلى به تراثنا العربي الماجد ، وتسعى ، في المرتبة الثانية ، إلى مشاركة حضارية في التقدم الإنساني على سلّم المعمورة بأسرها . ونحن سنختار للتمثيل على هذا المنزع الثاني الإلماع إلى جانبي النظر والعمل ، فنختار أولاً في ميدان النظر العقلي ما يسمى اليوم مجال الأبستمولوجيا أو نقد العلوم . ونختار ثانياً في ميدان العمل ما يعرف باسم فلسفة القيم ، وهو ميدان وسيع جد وسيع ، وله فروع بعضها جمالي فني فيه كلام على البلاغة ، ومن ضروبها التهكم . وبعضها الآخر أخلاقي ، ومن شُعبه الحديث عن الفضيلة عامة ، وعن الكرامة الإنسانية بوجه التخصيص .

فقد بدأ مفهوم العقل في الفكر اليوناني القديم على صورة « هواء مفكر » في نظر (ديوجين الأبولوني) ، ثم أصبح « ناراً كونية » في نظر (هرقليط العجوز) ، وسما به (أناكساغور القلامازوني) إلى فكرة « المبدأ الروحي المدبّر للكون » . وانحدر به المغالطون إلى درك التمويه الذكي طلباً للربح أو الجاه . فجاء (سقراط) ، ومن بعده (أفلاطون) فـ (أرسطو) ، وإذ ذاك استوى الفكر المنطقي القديم على سوقه ، ونهض العرب بنشاطهم الدؤوب ، وأسهموا في تنمية هذا كله ، وولّدوا من معنى العقل البسيط معاني شتى هي بلا ريب مشاركة ثمينة في رقي الفكر الإنساني العالمي .

لنذكر من ذلك قبسة لغوية . العقل هو الحِجى ، لإصابة الحُجَّة به . وهو الحِجْر لحجره عن ركوب المناهي . والنُهى لانتهاء الذكاء والمعرفة إليه . وهو اللبّ ، والملجأ ، والحبل ، والعِقال ، والعاقل ، أو المعقول ، ذو مِرَّة ، أي عقل ، لأن أصل المِرّة إحكام الفتل . والعقل في الاصطلاح جوهر روحاني ، أو نور في القلب يعرف الحق والباطل ، أو هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات . وثمة عقل هيولاني ، وعقل بالملكة ، وعقل بالفعل . وفي مجال السلوك : إذا كان المرء في أول درجة العقل يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل إن كان في أول حد الدهاء قيل له : شيطان . فإذا عتا في الطغيان قيل : مارد . فإذا زاد على ذلك قيل : عبقري . فإذا جمع إلى خبثه شدة شر قيل : عفريت . وكذلك الجاهل : يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيع ، ثم الأنوك ، ثم الأحمق[١٨] .

أتراها ألفاظاً عربية لأمة واحدة وحسب ، أم أن في مضمونها إغناءاً رائعاً لدلالات إنسانية عالمية يحسن بالآخرين أن يمتحوا منها قيماً نفسية واجتماعية وسلوكية معاً ؟

العقل ، والمنطق ، والقسطاس المستقيم أو منطق الرحمن عند (الغزالي) ، ونقض المنطق لدى (ابن تيمية) ... وضروب الشروح على منطق (أرسطو) ، والروح الانتقادية المنطقية لدى (ابن المقفع) و (النظّام) و (الجاحظ) و (المعري) و (اخوان الصفاء) و (أبي زكريا الرازي) .. كل ذلك يجيز للنشاط العربي أن يشغل موقعه في نماء الفكر العقلي الإنساني العالمي . ولم يأل المعاصرون جهداً في مسعى اللحاق بركب التطور المنطقي من المنطق الصوري أو التقليدي إلى منطق التناقض والجدل الثلاثي فالمنطق الرمزي ومنطق الأولويات (الاكسيوماتيك) فالمنطق القيمي ومنه الابستمولوجيا أو نقد العلوم . وتكفينا الإشارة إلى

ما نشرت وزارتا الثقافة والتعليم العالي بدمشق من آثار باحثين عالميين في هذا المجال المتقدم الأخير ، من طبقة (جان بياجه) و (غاستون باشلار) و (روبرت بلانشه) أو (اليونسكو) ...

ذلك أن لفظ الأبستمولوجيا مركب من (ابستيمه)، وهي العلم ، و (لوجيا) ، أو المقال . وقد ذهب فريق إلى أن هذا المبحث يعني « علم العلم »[١٩] ، أو أنه « نظرية المعرفة » .. أو أنه « فلسفة العلوم » كما يقول (لالاند) ، صاحب المعجم الفلسفي التقني الانتقادي . ولا مراء في أن هذا الاختلاف في التسمية ينمّ عن اختلاف في التحديد وفي الممارسة ، ويوجب عوداً موصولاً إلى تاريخ العلوم ، ومنطق العلوم ، وربما أُتخذ نقد الفلسفة ذاتها موضوعاً أبستمولوجياً ، فتصبح صِنو ما يسمى التاريخ الفلسفي الانتقادي . وقد جنح (غاستون باشلار) إلى تمييز نوعين من الأبستمولوجيا : إحداهما تنقد العلوم ، والأخرى تنقد الأدب .. ودعا إلى ما يسميه التحليل النفسي للمعرفة . وابتكر (جان بياجه) ما يدعوه الأبستمولوجيا التكوينية ، وبعض آثاره فيها قيد الترجمة في وزارة التعليم العالي بدمشق ، كما أسهم مترجمون سوريون ، بإشراف هذه الوزارة ، منذ سنوات قليلة ، في نقل أفكاره الأساسية إلى اللغة العربية ، وأسهم سواهم من قطرنا ومن أقطار عربية أخرى في تنمية أراء (باشلار) ، وتعميق أفكار مدرسته .

فلسفة القيم :

وعلى غرار إسهام الفكر العربي في مراحل تطور المبحث المنطقي حتى الأبستمولوجيا ، كان له إسهام حميد آخر في ميدان فلسفة القيم أو (الاكسيولوجيا) من ميادين الفكر العالمي المعاصر .

ومن خاصة هذا المبحث الطريف أنه علم يتناول ما هو ثمين ، كما

يقول (لافيل) . فهو يبحث القيم ويشكل فلسفة قيم أو نظرية قيم . وفي مكنة الممعن في تاريخ الفكر الإنساني أن يكتشف بجلاء انطواء كل فلسفة على مسعى قيمي : قيم الخير ، والحق ، والجمال ، وما يتفرع عنها ، ويتصل بها ، ويكملها في عصرنا ، وفي العصور اللاحقة . ومن الجائز قولنا : « إن الإنسان حيوان مقوِّم » أو : « في البدء كانت القيمة » . والقيمة تصور وواقع ووعي . بل إنها وعي بتصور الواقع بالإضافة إلى ما يجب أن يكون .

لقد كان الفلاسفة والمفكرون الإنسانيون ، ومنهم مؤمنون ومتكلمون ، ينشدون معنى الكمال . والكمال في حقيقته تشوف وتطلع ، تجربة قيمية . وكل فلسفة ذات مطمح عملي هي فلسفة قيمة . إنها حكمة . والحكمة اتخاذ العمل والسلوك (براكسيس) غرضاً للتأمل والنظر . وإنما فلسفة القيم ، في آخر المطاف ، فلسفة تغيير العالَم ، فلسفة أنسنة الكون ، أي فلسفة تحديد الإنسان مصيره ومصير الوجود .

البشر كافة ، في جميع أصقاع الأرض ، يتحدثون بالنثر أسلوباً . وبعضهم يجهل معنى النثر لأنه لا يضيفه إلى سواه ، كالشعر . وكذلك فإن الناس قاطبة يمارسون القيم في حياتهم حتى اليومية ، من تغذية ، ودفء ، وسكن ، إلى عقائد وعلاقات أسرية ومهنية واقتصادية : بيد أن جلَّهم لا يفقه قوام ما يفعل . وما فلسفة القيم سوى وعي هذه الممارسة بالذات ، والتعبير عنها بدقة وجلاء . وقد كان للغة العربية ، والأدب العربي ، إسهام رائع في تنمية هذا الوعي القيمي ، وإن تأخرت تسميته باسم الفلسفة القيمية ؛ فمثل ذلك قد حدث في جميع الثقافات ، ولدى الأمم كلها ، حتى مستهل القرن العشرين ، حيث مولد الوعي القيمي .

إننا نلمس بيسر روعة الرافد العربي منذ الإشارة إلى أقرب الأمثلة اللغوية .

أمثلة لغوية :

تقول نظرية راجحة أن ليس بين الألفاظ العربية ترادف مطلق ، بل ثمة فويرقاتُ تفاضلٍ دقيقة تبلغ درجة الإذهال في التعبير . فهذا (أبو منصور الثعالبي) ، مثلاً ، يمتّعنا بكلامه على أوصاف الإنسان السيد قائلاً[٢٠] :

السيد : الحُلاحل ، وهو السيد الشجاع . والهُمام ، وهو السيد البعيد الهِمّة . والقُمقَام ، وهو السيد الجواد . والغِطريف ، وهو السيد الكريم . والصِنديد ، وهو السيد الشريف . والأروع ، وهو السيد الذي له جسم وجِهارة . والكوثر ، وهو السيد الكثير الخير . والبهلول ، وهو السيد الحسن البشر . والمعمّم ، وهو المسود في قومه . ومثل هذا الإبداع التقويمي نجده في وصف المقابح . وما برح التضاد القيمي في ألفاظ المدح والقدح ، وتمايزها ، يغذّيان – بتفاعلهما – الإبداع الأدبي ، والمقامات ، والروايات ، وكتب المحاسن والمساوئ ، والمحاسن والأضداد ، ويَعُمران ميادين الفخر والهجاء .

قيل في مدح العقل : إنه يقلب الأمر إلى ضده ، والقيمة السلبية قيمة إيجابية . يقول (البستي) : « كفى بالعاقل فضلاً ... أن تُجعل البلادة منه حلماً ، والحدة ذكاءً ، والعِيّ صمتاً ، والإسراف جوداً ، والإمساك تقديراً ، فلا تكاد ترى عاقلاً إلا موقراً للرؤساء ، ناصحاً للأقران ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد الأصحاب ، ولا مخادع للأحباب ... لا يمدح أحداً إلا بما فيه »[٢١] .

أما الأحمق فإن له شيماً كريهة كلها . من شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والعجز ، والفجور ، والجهل ، والمقت ، والوهن ، والمهانة ، والتعرض ، والتحاسد ، والظلم ، والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والغي ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ، والبغضاء[٢٢] . إنها عشرون شيمةَ مذمةٍ تشكل صورة تامة لإمكانات سلوك قيمي مرفوض ، لا ندري

إن كانت اللغات المتقدمة الأخرى قد انتهت إلى ما يقاربها ، أو يدنو منها ، دون أن تزيد عليها . ونحسب أن في الأدب المقارن متسعاً رحباً لمثل هذه البحوث وأضرابها، مما يتعلق حتى بالأمثال ، كل الأمثال ، وهي تنطوي على دلالات قيمية شديدة الاتصال بالوقائع ماضية ومتوقعة ، أو مفترضة ومتخيلة . ولكنها في الحق وقائع تعكس كذلك أمام الناظر المدقّق أصداء صلات الأمم بعضها ببعض ، وتفاعل عاداتها وخصالها ، وحتى أمزجتها وأيامها . ولو أتيحت لجائزة (نوبل) فرصٌ عادلة لكان نصيب الأدب العربي أكثر من بيضة ديك .

وهكذا نجد النشاط القيمي العربي يسهم في تطور النشاط العالمي ، وقد أصبح مفهوم القيمة في حقل السلوك الإنساني كمفهوم الطاقة أو القوة في العلم الحديث .

المقولات البلاغية : التهكم

لم يكن الفكر العالمي في طفولته ليفصل النظر عن العمل ، وقد ظل الإغريق القدامى يمزجون الفن النافع أو الصناعة بالفن الجميل . وكانوا يطلقون على الرجل المثالي كلمة تعني بآن واحد إنه صالح وجميل Kalos Agtos . وظل المعتزلة والمتكلمون يتحدثون عن الخير والشر باسم الحسن والقبح . وحرص المتصوفة على اتحاد شعوري الجمال والخير . ولكن الفكر الإنساني ما عتم أن تطور ، وافترقت القيم الرئيسة الثلاث بعضها عن بعض بادئ الأمر . ثم اشتد نماء فروعها فصار لكل فن أو قيمة مقولات متعددة يتفاوت تحديدها باختلاف المذاهب والثقافات . وليس بمستغرب أن نجد لغة الفصاحة ، وأمة الكلمة ، وتاريخ البيان تتيح لمثل (ابن حجة الحموي) تمييز ما ينوف على مائة وأربعين ضرباً من ضروب البلاغة ، وفنون البديع . منها ، على سبيل المثال : التهكم الذي نعته بأنه « نوع عزيز لعلو مناره ،

وصعوبة مسلكه ، وكثرة التباسه بالهجاء في معرض المدح ، وبالهزل الذي يراد به الحق » .

والحق أن الناظر في هذا الفن يدرك عراقته في التاريخ البشري ، كما يدرك شأوه واستمراره . فقد امتدت جذوره إلى شتى الآداب والثقافات . وفي اللغة العربية كوكبة من المعاني الرهيفة التي تدور حوله دون أن تطابقه : كالفُكاهة ، والدُّعابة ، والإضمار ، والمواربة ، والتلميح ، والتورية ، والتوهيم ، والألغاز .. إلخ .

وقد تهكم (الجاحظ) و (التوحيدي) و (ابن زيدون) فيما سلف . وتهكم في الحاضر كثيرون عندنا . وجرى في هذا السياق (سقراط) و (ارستوفان) و (مارسيال) و (جوفنال) ، ثم (رابله) و (شكسبير) و (موليير) و (فولتير) و (سويفت) و (مارك توين) و (برنارشو) و (بيير دانينوس) ...

والتهكم يحظى في ثقافتنا ، وفي بعض ظروف حياتنا ، كما في الثقافة العالمية المعاصرة ، بعناية عظمى جعلت أكثر من باحث يعدّه ذروة الفطنة ، ومنطلق الفكر الثالث ، وهو الفكر الهادف الضاحك الناقد : يلهو ويؤنب ، ويهدم ليبني ، ويراوغ ليصدق ، يدّعي الجهل لينصر كلمة الحق ، ويهدم الوثنية و « الجمود » في الأعراف وفي الأفعال .

هكذا تشارك اللغة العربية ، ويشارك الذوق العربي ، في لون من أبرع ألوان الذكاء الجمالي في العالم . وليس بمحال أن يطرأ ظرف يمتح فيه أكثر من أدب أجنبي من معين إرهافات البديع العربي : وما أرقّها وأدقها ! وإن ما يُنقل الآن من العربية إلى لغات حية معاصرة ليشهد على هذا الإمكان .

ولكن المشاركة العربية في الثقافة العالمية لا تقتصر على مجالي الحقيقة والجمال . ذلك أن لقاءاً متميزاً يجمعنا والبشرَ في حقل خصيب رئيس هو

حقل العمل أو السلوك ، أي الأخلاق .. تُرى هل ثمة فضيلة عربية ؟ بمثل تساؤلنا عن وجود إنسان عربي وأرض عربية ؟

العروبة : سجية حضارية

ليست العروبة ، كما أسلفنا ، قومية عنصرية ، ولا سُخطاً أو تزمتاً . إنها مزاج حضاري كسائر أمزجة الأمم والأقوام . والمزاج الحضاري سجية شعب حين يفترق عن بقية الشعوب ، وحين يُقرن بهذه البقية من الشعوب .

ويقول آخر : إن خصائص الأمة تنحل في نهاية المطاف إلى ما يُكسبها المدح والاعتزاز ، أو مايجرّ عليها الذم والامتهان . ونحن ، بعفويتنا القومية ، نعجب طوعاً ، ويسرنا فضل العرب على العجم ، كما قال (ابن قتيبة)[٢٣] . وقد نغلو بجاهلية فنَعني بالعجم كلَّ من ليس عربياً . ومما يروقنا قول (ابن المقفع) عن أجدادنا الأقدمين : « إن العرب لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء والتذمم ، وتتعاير بالبخل والغدر والسَفَه ، وتتنزه عن الدناءة والمذمة .. وتوجب للجار حفظ الجوار فوق ما توجبه للحميم والشقيق » .

ولكننا ننظر اليوم بعقولنا إلى وقائع الوجود البشري ، ونرى أن في الناس فضائل أيضاً . والفضيلة بمعناها الدقيق هي الاستعداد لفعل الخير . وهي اختيار . وكذلك الرذيلة . ولم يبق ممكناً ، ولا مقبولاً ، أن يَرجِع فكرنا القهقرى إلى عصور الطفولة البشرية ، فندّعي أن أمة ، أو قوماً ، يمكن أن يتحلى وحده بالفضيلة المطلقة ، وأن لا فضيلة لسواه ، أو أن يكون شعب ، حتى الشعب العربي ، مالكاً باستئثار فضائل البشر كافة ، وأنه مبرّأ من كل نقيصة أو مذمة أو عيب .

والقول الفصل في ذلك كله امتزاج موصول لدى الأفراد والأمم لبعض فضيلة وبعض رذيلة . وهذه الأمشاج قوام الوجود الأخلاقي كما تجلوه اللغة العربية ، ومفكروها المدرسيون .

الفضيلة العربية :

الفضيلة في « لسان العرب » هي الدرجة الرفيعة من الفضل . والتفاضل تمايز في الفضل . والفواضل هي الأيادي الجميلة . والإفضال الإحسان . وعند (أبي البقاء) الفضل هو كل عطية لا تلزم من يعطي . وهو بمعنى الزيادة . والفضيلة تدل على صفات الكمال من العلم ونحوه .. وهي ضد النقيصة ، ومجالها مجال الحكمة العملية من علم السلوك أو الأخلاق ، إلى علم السياسة ، أو تدبير المرء حياته ، وتدبير المنزل ، والمدينة ، والدولة ، فالمعمورة .

يقول (ابن المقفع) : « اختلف ثلاثة في العقل والدولة والعافية ، وتنازعوا أيهم هو الأفضل ؟ » وقصدوا حكيماً قلّب وجوه هذه القيم الثلاث ، وانتهى إلى التوفيق بينها « فصاروا هنالك شيئاً واحداً »[٢٤] . وهذا هو الحل الذي اعتنقه في منتصف القرن العشرين الفيلسوف العلّامة (شارل لالو) إذ عرض لتنافر قيم الفن والأخلاق ، ودرس تجاذبها وتنابذها . وانتهى في حلّ نزاعها إلى القول إن القيم كافة نلتقي في ذروة النظر المطلق[٢٥] .

الكرامة الإنسانية :

إن النظر الإنساني إلى معنى المطلق يقود إلى حلّ المشكلات القيمية في مجالات الحقيقة والخير والجمال . ويكفي أن نشير هنا إلى دلالة مفهوم ذائع جداً كان فيه للغة العربية والفكر العربي اسهام كبير في مسار التطور الثقافي العالمي ، وأعني مفهوم الكرامة الإنسانية .

فعلى صعيد الشعور بالكرامة يتجلى النشاط العربي في جوانب رئيسة شتى : منها الجانب اللغوي والديني والتاريخي والمثالي . ألم تقل العرب : فلان كريم المَحْتِد، والمَنْصِب ، والمَنْبِت ، والعُنْصُر ، والمَغْرِس ، والجَذْم ، والأُرومة ، والنِجَار ، والأُبوة ، والمنتضى ، والمُركَّب ، والجُرثُومة ، والمنتمى .

وكذلك : فلان مُعِمّ ، مُخول ، وفلان كريم الضِّئْضِئ، والآصرة[٢٦] .. الخ . وقد قال بعضهم ، وما أحسن ما قال : الكرم مثل الحرية ، إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ...

وإلى جانب المعطى اللغوي والأدبي نجد في الجانب الديني أن الكريم من صفات الله تعالى وأسمائه . وقد جاء في الذكر الحكيم لفظ الكرم والكرام والأكرم والمُكْرم في خمسة وأربعين موضعاً . وجاءت كذلك الآية القائلة : ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[٢٧]. وفي هذه الآية إيماء إلى مساواة الذكر والأنثى من حيث القيمة والأرومة ، مع إمكان تفاوت الناس كافة من حيث العمل الصالح ، والفعل الكريم .﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

وهذه المساواة من جهة ، والمنافسة والمباراة من جهة أخرى ، ظلتا تصطرعان في التاريخ العربي – الإسلامي . فالمساواة كأسنان المشط ، أو أسنان الحمار ، لم تتحقق دوماً في أرض الواقع . وظلت ثمة فوارقُ جنسية واجتماعية وقومية ، وربما عنصرية في بعض الأحيان . ولكن مطلب العزوف عن مساوئ الواقع ، وحصر المنافسة والخصام على ا لمباراة في ابتغاء المزيد من التقوى ظل في الوقت ذاته ناشطاً في ميادين السياسة والمجتمع والاقتصاد والعلم . وهذا الجدل الحي بين واقع مرفوض ، ومثل أعلى مرموق أنجب إرهافاً نامياً في معطيات الثقافة العربية الإسلامية ، من الفقه حيث الرأي والقياس والاجتهاد ، إلى سائر المنجزات العلمية والتطبيقية المتصلة بقواعد السلوك التي تتيح للإنسان ، وتوجب عليه ، تحقيق إنسانيته الأتم ، وعزته النوعية الأكمل . وإن النشاط العربي لغوياً ودينياً وتاريخياً ومثالياً في درب وعي الكرامة الآدمية إنما هو إسهام عظيم ، ومشاركة حية في الثقافة العالمية ، ومن ورائها في تقدم ما يسمى الحضارة والمدنية على قدر سواء .

الحضارة والمدنية :

والحق أن في وسعنا هنا أن نستفيد من خصائص لغتنا العربية الغالية ، فَنَمِيْزَ معنى الحضارة ومعنى المدنية أحدَهما عن صاحبه . فالحضارة قيمة إنسانية تدل على ما يغيّر به البشر معطيات الطبيعة . والثقافة جزء من الحضارة ، وإن كانت بعض اللغات تجعل الحضارة والثقافة بمعنى واحد . أما المدنية فإنها الغاية التي تنشدها البشرية كلُها وتتخذها في أيامنا هدفاً مشتركاً أسمى لكل فاعلية حضارية وثقافية معاً . إن الحضارة لا تكون صالحة ، ولا قيمة مبتغاة ، بل قد تمسي شراً ورذيلة وهمجية حين تنحازُ إلى القوة الغاشمة فتغفلُ القيم الإيجابية ، وتزنُ بميزانين : أحدهما للقوي أو للأقوى .

في الحضارة ثقافة عاجزة إن لم تؤيد بقوة الحق المبين . وفي الثقافة جهود عقلية وفكرية وعاطفية ، يخسر أصحابها ثمار نَصَبهم إذا لم تؤتِ مشاركتهم أُكلها في الحياة وفي الوجود . أما المدنية فهي المفهوم ــ القيمة المشتركة الأسمى التي تتسق وكرامة الإنسان الفرد ، والإنسان المجتمع . إنها مطمح الأخلاق والقانون والفكر والعمل ، والفلسفة والسلوك . وهي الديمقراطية ، والإخاء ، والتعاضد ، والوفاء : شمولها يمتد من مكافحة المجاعة والأوبئة والتلوث إلى توافر الأمن والرخاء ومساواة الناس بعضِهم بعضاً ، إن لم نقل إحسان الإنسان إلى الإنسان .

وفي هذا الإطار القيمي الرحب ، وعلى هذا النحو من المشاركة التاريخية اللازبة ، تسهم ثقافتنا العربية ، عَبْر لغتنا المعطاء ، إسهاماً وافياً في الثقافة العالمية ، وهو إسهام جدير بالإبانة والتقدير .

أيها السيدات والسادة :

إن هذا كله غيض من فيض رسالة المجمع الخالدة ، ينهض بها قادةٌ أجلّاء مجمعيون .

طبتم عيشاً ، وأفضلتم سَمَاعاً ، وأجملتم صبراً ، فالشكر لكم ، والسلام عليكم .

الحواشي

(١) د. شاكر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا (مجلة المجمع_المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩) .

(٢) د. عبد الكريم اليافي : حفل استقبال د. عبد الحليم سويدان (مجلة المجمع المجلد ٥٩ ج٣ تموز ١٩٨٤) .

(٣) أخوان الصفاء : الرسائل ـ تصحيح خير الدين الزركلي ـ القاهرة ١٩٢٨ ج٣ الرسالة ١٧ ص١٥٢ .

(٤) جاء على لسان (فؤاد الخطيب) قوله :

وهل لعيوني ، قبل موتي ، أن أرى فتى عربياً يأنف الذل مقعدا ؟
يردّ على « أم اللغات » جلالها ويجعل للمجد الطريقَ معبَّدا ؟

(المجلة ـ العدد ٤٠ السنة ٤ أبريل.(نيسان) ١٩٦٠ ص٥٨) .

(٥) د. عبد الحليم سويدان : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع ـ المجلد ٥٩ ج٣ تموز ١٩٨٤) .

(٦) شفيق جبري : حفل استقبال د. حكمة هاشم بتاريخ ١٩٥٤/٣/٢٥ .

(٧) حفل استقبال د. شكري فيصل بتاريخ ١٩٦٣/٢/١ .

(٨) حفل استقبال د. مختار هاشم بتاريخ ١٩٨٩/٥/١١ (مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩ ص٤٤٨) .

(٩) عبد الكريم زهور : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٥٥ ج٣ تموز ١٩٨٠) .

(١٠) د. عبد الكريم اليافي : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٥٢ ج٣ تموز ١٩٧٧) .

(١١) د. شاكر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا (المصدر المذكور) .

(١٢) د. إحسان النص : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩ ص٤٩٥) .

(١٣) عبد الكريم زهور : خطابه في حفل استقباله (المصدر المذكور) .

(١٤) الأمير مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ط٢ دمشق ١٩٦٥ ص٣٢ وص١٧٦ .

(١٥) سورة البقرة /٢٥٥ .

(١٦) سورة يونس /٩٩ .

(١٧) د. جميل صليبا : الإنتاج الفلسفي خلال المائة السنة الأخيرة في العالم العربي (مجلة

المجمع مجلد ٣٦ ج٤ ومجلد ٣٧ ج١) ـ وانظر : الفكر الفلسفي في مائة سنة (هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية ـ بيروت ١٩٦٢ ص٣٩٣) .

(١٨) أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت : مختصر تهذيب الألفاظ ـ تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي ـ بيروت ١٨٩٧ ص١١٢ .

(١٩) المعجم العام للعلوم الاجتماعية بإشراف (ج. تينس وآ. لاميرور) باريز ١٩٧٥ ـ مادة أبستمولوجيا .

(٢٠) أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي : فقه اللغة وسر اللغة العربية ـ القاهرة ـ بلاتا ص٢٢٦ .

(٢١) أبو حاتم محمد بن حبان البستي : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ـ صححه مصطفى السقا ـ القاهرة ١٩٥٥ ص١١ .

(٢٢) المصدر السابق ص١٠٣ .

(٢٣) محمد كردعلي : رسائل البلغاء : كتاب العرب لابن قتيبة ـ (ط٣ القاهرة ١٩٤٦ ص٣٤٤) .

(٢٤) المصدر السابق : يتيمة السلطان لابن المقفع (ص١٤٦) .

(٢٥) شارل لالو : الفن والأخلاق ـ ترجمة عادل العوا ـ دمشق ١٩٦٥ .

(٢٦) عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني : الألفاظ الكتابية ـ القاهرة ١٩٣١ ص٣١ .

(٢٧) سورة الحجرات/١٣ .

في بيان نسبة
كتاب (المنصوري) في الطب

الدكتور شاكر الفحام

١

كان أبو بكر محمد بن زكريا بن يحيى الرازي (٢٥١ - ٣١٣هـ)[١] من أشهر علماء عصره ، جمع المعرفة بعلوم القدماء ، ويقول ابن أبي أصيبعة في صفته : « وكان [الرازي] من صغره مشتهياً للعلوم العقلية ، مشتغلاً بها ، وبعلم الأدب ، وبقول الشعر »[٢] . وقد أكبَّ على علم الكيمياء (الصنعة) ، وتمهّر بالطب حتى كان فيه إمام وقته ، وأقبل على دراسة الفلسفة فبلغ فيها الغاية . دبَّر مارستان الريّ ، ثم مارستان بغداد زماناً . وقد ألّف فأكثر وأجاد ، وصنَّف في الطب الكتب النافعة[٣] ، وصنع فهرساً لمؤلفاته نقله ابن النديم في كتابه[٤] ، وتبعه في ذلك القفطي[٥] ، وعاد أبو الريحان البيروني فألف فهرساً لكتب الرازي[٦] . ثم قفّى على أثرهما ابن

(١) فهرست كتابهاي رازي لأبي الريحان البيروني ، تح.الدكتور مهدي محقق : ١ ، ٤ ، ٥

(٢) طبقات الأطباء : ٤١٤ .

(٣) الفهرست لابن النديم : ٣٥٦ ، طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٧ ، طبقات الأمم لصاعد : ٨٣ ، وفيات الأعيان ٥ : ١٥٧ - ١٥٨ .

(٤) الفهرست : ٣٥٧ - ٣٥٩ ، ٤٢٣ ، وبلغ عدد الكتب التي سردها ابن النديم : (١٦٧) كتاب .

(٥) أخبار الحكماء : ٢٧٣ - ٢٧٧ .

(٦) فهرست كتابهاي رازي : ٥ - ١٨ ، وبلغ عدد الكتب التي سردها البيروني : (١٨٤) كتاب .

أبي أصيبعة ، وكان كثيراً ما يتبع ذكر الكتاب بيان موضوعه وغرضه[٧] .

ومن أبرز كتب الرازي الطبية : كتاب الحاوي[٨] ، وكتاب المنصوري[٩] .

وقد اختلف مترجمو الرازي في بيان مَنْ نُسب إليه المنصوري الذي ألّف له الرازي كتابه ، ووسمه باسمه . وهذه طائفة من أقوالهم :

١ - قال ابن النديم في الفهرست وهو يتحدث عن الرازي : « ... وبينه وبين منصور بن إسماعيل صداقة ، وله ألّف كتاب المنصوري » .

- ثم عاد فعدّد كتبه فقال : « كتاب المنصوري في الطب ، إلى منصور بن إسماعيل (بن نوح بن نصر من ملوك آل سامان) ...... »[١٠] .

٢ - وقال أبو الريحان البيروني وهو يسرد كتب الرازي : « .... الكناش المنصوري ، عمله لمنصور بن أسد ، قرابة والي خراسان »[١١] .

٣ - وذكر ابن جلجل وهو يعدّد كتب الرازي : « .... ومنها كتابه الذي بعث به إلى المنصور بن خاقان »[١٢] .

(٧) طبقات الأطباء : ٤٢١ - ٤٢٧ ، وبلغ عدد الكتب التي عددها ابن أبي أصيبعة : (٢٣٥) كتاب .

(٨) طبع كتاب (الحاوي) في ثلاثة وعشرين جزءاً ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن - الهند (١٩٥٥ - ١٩٧١م) . ثم طبعته الدائرة طبعة ثانية .

(٩) طبع كتاب (المنصوري) في الكويت (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) . وهو من منشورات معهد المخطوطات العربية .

(١٠) الفهرست : ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وذكر محقق الكتاب أن ما جاء بين هلالين فهو بخط غير الخط الذي كتبت به المخطوطة .

(١١) فهرست كتابهاي رازي : ٦ .

(١٢) طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٧ .

٤ ـ وتحدث ابن أبي أصيبعة فأورد رواية ابن النديم في الفهرست ، ثم قال في موضع آخر : « وصنّف كتابه المنصوري للمنصور بن إسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر » ، وعاد فقال وهو يعدّد كتب الرازي : « كتاب المنصوري : ألفه للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان .... »[١٣] .

٥ ـ وقال ياقوت الحموي وهو يتحدث عن مدينة الريّ : « .... ومن أعيان من يُنسب إليها أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم صاحب الكتب المصنفة . مات بالري ، بعد منصرفه من بغداد ، في سنة ٣١١هـ ، عن ابن شيراز »[١٤] . ثم قال بعد ذلك يذكر إسماعيل بن أحمد الساماني[١٥] : « ... فرجع فنزل بظاهر الريّ ، ولم يدخلها ، فخرج إليه أهلها وسألوه أن يتولى عليهم ، ويكاتب الخليفة في ذلك ويخطب ولاية الريّ ، فامتنع .... وارتحل عائداً إلى خراسان في ذي الحجة سنة ٢٨٩ ، ثم جاء عهده بولاية الري من المكتفي[١٦] وهو بخراسان ، فاستعمل على الري من قبله ابنَ أخيه أبا صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد فوليها ست

(١٣) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ .

(١٤) كثر الاختلاف في زمن وفاة الرازي . وذكر أكثر مترجميه أن وفاته كانت سنة ٣١١هـ ، وجعلها البيروني سنة ٣١٣هـ . وانظر بقية الأقوال في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٤٢٠ ، وأخبار الحكماء للقفطي : ٢٧٢ .

(١٥) في معجم البلدان : « أحمد بن إسماعيل » ، ولعله سهو من المؤلف أو الناسخ ، فإسماعيل بن أحمد بن أسد تولى ملك السامانيين (٢٧٩ ـ ٢٩٥هـ) ، وخلفه ابنه أحمد بن إسماعيل بن أحمد الذي تولى الملك (٢٩٥ ـ ٣٠١هـ) . انظر تاريخ بخارى للنرشخي: ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ـ ١٢٦ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ٧٤ ، ١١٧ ـ ١١٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ـ ١٤٥/سنة ٢٧٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠١هـ .

(١٦) ذكر ابن الأثير أن الخليفة المكتفي (وقد تولى الخلافة : ٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ) أنفذ عهداً إلى إسماعيل بن أحمد الساماني بولاية الري ، فسار إليها وبها محمد بن هارون ، فكانت بينهما وقعة ، فانهزم محمد ، ودخل إسماعيل الري (الكامل ٦ : ١٠٤ ، ١٠٧/سنة ٢٨٩ ، ٢٩٠هـ) .

سنين ، وهو الذي صنف له أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم كتاب المنصوري في الطب ، وهو الكناشة . وكان قدوم منصور إليها في سنة ٢٩٠ »[١٧] .

٦ – ونقل القفطي وهو يترجم لأبي بكر الرازي مقالة ابن جلجل في تفسير نسبة المنصوري ، ثم عاد فنقل عبارة ابن النديم[١٨] .

٧ – أما ابن خلكان فقال في ترجمة الرازي : « .... وله أيضاً كتاب المنصوري المختصر المشهور .... وكان قد صنفه لأبي صالح منصور بن نوح بن نصر بن إسماعيل بن أحمد[١٩] بن أسد بن سامان ، أحد الملوك السامانية ، فنسب الكتاب إليه .... وكانت وفاة أبي صالح المذكور في شوال سنة ٣٦٥هـ[٢٠] ، وكان قد صنف له الرازي الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به . ثم رأيتُ نسخة كتاب المنصوري وعلى ظهره : ان المنصور الذي وسم الرازيّ هذا الكتاب باسمه هو المنصور بن إسحاق بن أحمد بن نوح[٢١] ، من ولد بهرام كور ، صاحب كرمان وخراسان ، وكنيته أبو صالح ... »[٢٢] .

٨ – وقال الصفدي متحدثاً عن المنصوري : « صنفه لأبي صالح منصور بن نوح أحد ملوك السامانية »[٢٣] .

(١٧) معجم البلدان (الريّ) .

(١٨) أخبار الحكماء : ٢٧٢ .

(١٩) أسقط ابن خلكان اسم أحمد الساماني الملقب بالشهيد . والصواب : نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد .... » . وقد تولّى أحمد بن إسماعيل الملك سنة (٢٩٥ – ٣٠١هـ) . انظر الحاشية السابقة رقم (١٥) .

(٢٠) وهذا التاريخ يخالف رواية ابن الأثير الذي جعل وفاة أبي صالح في منتصف شوال سنة ٣٦٦هـ . (الكامل ٧ : ٨١/سنة ٣٦٦هـ) . وانظر تاريخ بخارى : ١٣٣ ، ١٤٣ .

(٢١) الصواب : أحمد بن أسد .

(٢٢) وفيات الأعيان ٥ : ١٥٨ ، ١٦٠ .

(٢٣) الوافي بالوفيات ٣ : ٧٦ ، نكت الهميان : ٢٤٩ .

٩ – وقال الذهبي وهو يترجم للرازي : « وكتاب المنصوري ، صنفه للملك منصور بن نوح الساماني »[٢٤] .

١٠ – وتحتفظ نسختان من مخطوطات (المنصوري) التي اعتمدها محقق الكتاب بذكر الأمير الذي وسم الكتاب باسمه :

– جاء في نسخة تيمور : « .... قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : إني جامعٌ للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل بن أحمد .... » .

– وجاء في نسخة الأوقاف : « قال أبو بكر محمد بن زكريا المتطبب الرازي رحمه الله : إني جامع للأمير سيدي وابن سيدي أبي صالح منصور بن إسحاق – أطال الله بقاءه – في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في صناعة الطب ، ومتحرٍّ في ذلك الاختصار والايجاز .... »[٢٥] .

– ويذكر الأستاذ فؤاد سيد محقق كتاب طبقات الأطباء لابن جلجل أن مخطوطة الخزانة التيمورية تذكر في مقدمتها : « أما بعد فإني جامع للأمير منصور بن إسحاق بن أحمد في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في صناعة الطب ... » ، ويماثلها ما جاء في نسخة آقاي حسين بطهران[٢٦] .

٢

إن أقصر الطرق وأسلمها لحل هذا الخلاف هو العودة إلى كتب التاريخ . ونستطيع أن نتبين من مجمل ما قاله المؤرخون في حديثهم عن ملوك السامانية الذين قامت دولتهم في ما وراء النهر ، ثم ضموا إليها خراسان ، وكانت بخارى كرسيَّ مملكتهم ، وعلى هدي ما جاء في مقدمة كتاب

(٢٤) سير أعلام النبلاء ١٤ : ٣٥٤ .
(٢٥) المنصوري في الطب (ط.الكويت – ١٩٨٧م) : ١٧ .
(٢٦) طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٩ .

المنصــوري (مخطـوطـة الأوقاف ، ومخطوطة الخزانة التيمورية التي ذكرها الأستـاذ فؤاد سيد) أن الأمير الذي أهدى أبو بكر الرازي كتابه إليه ، ووسمه باسمه هو أبو صــالح منصـور بن إسحـاق بن أحمد بن أسـد [بن سـامان] ، كما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ، وتسقط الأقوال الأخرى التي أثبتهـا مترجمو الرازي ، لأنها تخالف حيناً ما أطلعنا عليه في كتب المؤرخين من أنساب السامانيين ، ولا تلائم الوقائع والأحداث حيناً آخر . ولقد شعر بالحرج المؤرخ الكبير ابن خلكان حين نسب المنصوري إلى أبي صــــالح منـصــور بن نوح الذي تولى المـلك سـنـة (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ)[٢٧] ، ولجأ إلى التكلف والتخمين ليصحح الرواية فقال : « وكان قد صنف له الرازي الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به » .

٣

وهذه كلمة في التعريف بالأمير أبي صالح منصور .

كان أبوه إسحاق بن أحمد بن أسد بن سامان أمير سمرقند وفرغانة ، ولما تولّى ملك السامانيين أبو نصر أحمد بن إسماعيل بن أحمد (٢٩٥ ـ ٣٠١هـ) خلفاً لأبيه إسماعيل ، خاف عمَّه إسحاق فسجنه ثلاث سنين (٢٩٥ ـ ٢٩٨هـ) ، ثم أطلقه[٢٨] .

وقد استولى أبو نصر أحمد على سجستان سنة ٢٩٨هـ ، فولّى ابن عمه أبا صــالح منصـور بن إسحاق عليها ، فظلَّ بها حتى ثار الناس في سجستان سنة ٣٠٠هـ وحبسوه ، ثم أفرجوا عنه بعد أن عادوا إلى الطاعة .

وتولى أبو صــالح نيســابور سنـة ٣٠٠هـ[٢٩] ، ولما قُتل ابن عمه

(٢٧) الكـامل لابن الأثير ٦ : ٣٥٩ ، ٧ : ٨١/سنة ٣٥٠ ، ٣٦٦ ، وانظر الحاشية السابقة رقم (٢٠) .

(٢٨) الكامل ٦ : ١١٨ ، ١٣٨ ، ١٤٥/سنة ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠١هـ .

(٢٩) الكامل ٦ : ١٣٧ ، ١٤١ ـ ١٤٢/سنة ٢٩٨ ، ٣٠٠هـ .

أبو نصر أحمد بن إسماعيل ملك السامانية سنة ٣٠١هـ ، واضطربت الأمور على الملك الساماني الجديد الصغير أبي الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل (٣٠١ – ٣٣١هـ) وكثر المخالفون ، رفع الأمير منصور راية الخلاف في نيسابور سنة ٣٠٢هـ ، ولكن الأيام لم تمهله ، فمات في السنة نفسها (سنة ٣٠٢هـ) ، وقيل : مات مسموماً[٣٠] .

وتبقى رواية ياقوت في أن أبا صالح منصور بن إسحاق قد ولي الري ست سنين (٢٩٠ – ٢٩٦هـ) ، فهذه الرواية تفرد بها ياقوت ، ولم أجد فيما اطلعتُ عليه من كتب المؤرخين ما يعضدها او ينفيها .

وقد عُرف ياقوت بسعة الاطلاع ، ووفور المعرفة ، وتمكنه من مراجعة خزائن الكتب الغنية بالمؤلفات النفيسة النادرة ، فأكمل بكلمته عن أبي صالح ما كان أغفله المؤرخون حين عددوا ولاة الري ، وتحدثوا عن أحداثها .

وقد صنف أبو بكر الرازي للأمير أبي صالح منصور بن إسحاق كتاباً ثانياً هو كتاب الطب الروحاني . وقصّ في مفتتحه بيان سبب تأليفه فقال : « جرى بحضرة الأمير – أطال الله بقاءه – ذكرُ مقالة عملتُها في إصلاح الأخلاق ، سألنيها بعضُ إخواني بمدينة السلام أيام مقامي بها ، فأمر سيدي الأمير – أيده الله – بإنشاء كتاب يحتوي على جُمَل هذا المعنى بغاية الاختصار والايجاز ، وأن أسِمَه بالطب الروحاني ، فيكون قريناً للكتاب المنصوري الذي غرضُه في الطب الجسماني ، وعديلاً له ، لما قدَّر – أدام الله عزّه – في ضمّه إليه من عموم النفع ، وشموله للنفس والجسد .... »[٣١] .

---

(٣٠) تاريخ بخارى : ١٢٧ ، الكامل لابن الأثير ٦ : ١٤٨ – ١٤٩/سنة ٣٠٢هـ .

(٣١) رسائل فلسفية ، تح. كراوس (القاهرة – ١٩٣٩م) ١ : ١٥ .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
في مطلع عام ١٩٩٢م (جُمادى الآخرة ١٤١٢هـ)
أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عدنان الخطيب	
« أمين المجمع »	١٩٦٠
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٦٨
الدكتور شاكر الفحام	
«نائب الرئيس»	١٩٧١
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٧٦
الدكتور إحسان النص	١٩٧٩

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣
الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٨٨
الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٨٨
الدكتور مختار هاشم	١٩٨٨
الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨
الدكتور عادل العوا	١٩٩١
الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٩١
الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١

ب ـ الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة ١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة ١٩٨٦
الدكتور محمود إبراهيم ١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة ١٩٨٦

الجمهورية التونسية

الأستاذ محمد المزالي ١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ١٩٨٦
الدكتور محمد سويسي ١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي ١٩٨٦

الجمهورية الجزائرية

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٧٧
الدكتور صالح الخرفي ١٩٨٦

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١

جمهورية السودان

الدكتور محي الدين صابر ١٩٨٥
الدكتور عبد الله الطيب ١٩٨٥

تاريخ دخول المجمع

الجمهورية العربية السورية

الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤

الجمهورية العراقية

الشيخ محمد بهجت الأثري ١٩٣١
الأستاذ كوركيس عواد ١٩٤٨
الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩
الدكتور عبد اللطيف البدري ١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة ١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري ١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي ١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام ١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي ١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين ١٩٧٣
الدكتور محمد تقي الحكيم ١٩٧٣

فلسطين

الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢
الأستاذ أكرم زعيتر ١٩٨٥

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد ١٩٧٢

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني .

	تاريخ دخول المجمع
جمهورية مصر العربية	
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٧٧
الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
المملكة المغربية	
الأستاذ الأخضر غزال	١٩٧٨
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الجمهورية العربية اليمنية	
الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥

ج ـ الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

	تاريخ دخول المجمع
الاتحاد السوفيتي	
الدكتور غريغوري شرباتوف	١٩٨٦
اسبانية	
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٤٨
إيران	
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٧٧
الدكتور فيروز حريرجي	١٩٨٦
الدكتور محمد باقر حجتي	١٩٨٦
الدكتور مهدي محقق	١٩٨٦
ايطالية	
الأستاذ غبرييلي (فرنسيسكو)	١٩٤٨
باكستان	
الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي	١٩٦٦
الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي	١٩٨٦
تركية	
الدكتور فؤاد سزكين	١٩٧٧
الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو	١٩٨٦

	تاريخ دخول المجمع
السويد	
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٦٥
الصين	
الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ	١٩٨٥
فرنسة	
الأستاذ اندره ميكيل	١٩٨٦
فنلانده	
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	١٩٢٣
النروج	
الأستاذ موبرج	١٩٢١
النمسا	
الأستاذ جير	١٩٢١
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٢٨
الدكتور اشتولز (كارل)	١٩٥٤
الهند	
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٥٧
الدكتور مختار الدين أحمد	١٩٨٥
الدكتور عبد الحليم الندوي	١٩٨٦

رؤساء المجمع الراحلون	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ – ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ – ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ – ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ – ١٩٨٦)

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ الياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي	
« رئيس المجمع »	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي	
« نائب الرئيس »	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك	
« رئيس المجمع »	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي	
« نائب الرئيس »	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي	
« رئيس المجمع »	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني	
« أمين المجمع »	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين	
الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة		تاريخ الوفاة
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩	الدكتور شكري فيصل	
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠	« أمين المجمع »	١٩٨٥
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠	الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١	الدكتور حسني سبح	
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢	« رئيس المجمع »	١٩٨٦
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥	الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية

	تاريخ الوفاة
المملكة الأردنية الهاشمية	
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الجمهورية التونسية	
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الجمهورية الجزائرية	
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
جمهورية السودان	
الشيخ محمد نور الحسن	
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥

	تاريخ الوفاة
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوار مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الجمهورية العراقية	
الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاد منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠

فلسطين

الأستاذ خلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الشيخ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاد حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١

ج ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكي ادوار دو فيتش)	١٩٥٧
اسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
ألمانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١
ايران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١

	تاريخ الوفاة
ايطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نللينو (كارلو)	١٩٣٨
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي .	١٩٧٨
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو حمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د. س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون ا.ر.)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشيكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك. ف)	١٩٥٣
سويسرة	
الأستاذ مونته (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح. ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦

	تاريخ الوفاة
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
المجر	
الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس)	١٩٢١
الأستاذ ماهلر (ادوارد)	
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النمسا	
الدكتور اشتولز (كارل)	
الهند	
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٧
هولاندة	
الأستاذ هورغرونج (سنوك)	١٩٣٦
الأستاذ اراندونك (ك فان)	
الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس)	١٩٤٣
الأستاذ شخت (يوسف)	١٩٧٠
الولايات المتحدة الأميركية	
الدكتور مكدونالد (ب)	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج)	١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد)	١٩٧١
الدكتور فيليب حتي	١٩٧٨

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأخير من عام ١٩٩١

أ ـ الكتب العربية

وفاء تقي الدين

ـ **آثار الشابي وصداه في الشرق** ـ أبو القاسم محمد كرّو ـ دار المغرب العربي ، تونس ، بيروت ١٩٨٨م .

ـ **أجمل قصص الأطفال (جزءان)** ـ ترجمة وتقديم د. عبده عبود ، وفريزة التجار ـ منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

ـ **أدهم إسماعيل قراءة في ثلاثة أبعاد** ـ خليل صفية ـ منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

ـ **الأرض وأسرارها** ـ جورجيت بارتلمي ، ترجمة المهندس ميشيل خوري ـ منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

ـ **أساطير جبل كومكانغ** ـ ترجمة سامي كعكي ـ دار النشر باللغات الأجنبية ، بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

ـ **الاشتراكية** ـ إعداد وتقديم محمد كامل الخطيب ـ منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (الجزء الأول في قسمين)** – تأليف ابن شداد عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ، تحقيق يحي زكريا عبَّارة – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **أعلام الموسيقى الرومانتيكية** – ميلتون كروس ، ترجمة أبية حمزاوي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **أفلامنا وأفلامهم** – تأليف ساتيا جيت راي ، ترجمة عبد الكريم ناصيف – منشورات وزراة الثقافة ، المؤسسة العامة للسينما ، دمشق ١٩٩١ .

– **اقتصاد الانتفاضة الوطنية العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة** – د. عصام الزعيم – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **الإملاء المختصر في شرح غريب السير (٣ أجزاء)** – أبو ذر مصعب بن أبي بكر محمد بن مسعود الخشني ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني – دار البشير .

– **أمير المدينة الفضائية** – جان السيندريني ، ترجمة عطا نعيسه – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **إنسان ومال (حكاية مصورة)** – رسم تشاي زوسوب – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

– **أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات إقليمية** – أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة (الدورات) – مدريد ١٤١٠هـ ، الرباط ١٩٩٠م .

– **الإوزة البيضاء وقصص أخرى** – بول جيليكو ، وجولس فيرن ، ترجمة أديب الإنكليزي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،

دمشق ١٩٩١ .

– **بيان اللجنة التمهيدية إلى العالم العربي (دائرة المعارف العربية)** – رئيس اللجنة عضو المجمع العلمي العربي بدمشق رشيد بقدونس (المتوفى سنة ١٩٤٣) .

– **البيت الأخضر** – ماريو فارغاس ليوسا ، ترجمة رفعت عطفة – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **تطوير الإعلام في الدول العربية الاحتياجات والأولويات** – إعداد يحيى أبو بكر ، سعد لبيب ، حمدي قنديل – اليونسكو .

– **التقنين الدولي للوصف الببليوغرافي (المواد الخرائطية)** – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

– **التيسير في المداواة والتدبير** – أبو مروان عبد الملك بن زهر ، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة التراث ، الرباط ١٩٩١ .

– **الثقافة العربية الإسبانية عبر التاريخ ، دراسات وأبحاث** – عدد من الباحثين والمحاضرين ، صنفت المحاضرات ونسقتها باسمة الجزائري – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **ثلاث سنوات ومائتان وواحد وتسعون يوماً** – سيرو خزاتيان ، ترجمة نزار خليلي ، مراجعة شوكت يوسف – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **جذور الحجارة (قصص)** – فائز الزبيدي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **الجمال الأسود** – آنا سويل ، تعريب أديب الإنكليزي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **جيمس والدرّاقة الضخمة** – رولد داهل ، ترجمة هاني الصالح –

منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **حركة الإصلاح بتونس في الثلث الأول من القرن العشرين** – ندوة دولية أيام ٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ اكتوبر ١٩٩١ بدار الثقافة ابن خلدون ، تونس .

– **الحركة العمالية** – آلان تورين ، ميشيل فيفوركا ، فرانسوا دوبيه ، ترجمة عيسى عصفور – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **الحظ السعيد والعاثر لمول فلاندرز الشهيرة** – دانييل ديغو ، ترجمة خالد حداد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **الحق في الاتصال : تقرير عن الوضع الحالي** – تقارير ودراسات في مجال الاتصال الجماهيري – اليونسكو .

– **حكـايات جديدة لجدتي نعمت** – نعمت فوق العادة الحفار – منشورات وزراة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **حلب ، أسواق المدينة ١٩٢٧ – ١٩٨٠** – الدكتور محمود حريناني – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **حل مسألة الضرائب في كوريا** – الدكتورة المرشحة كيم يونغ هي – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

– **حول مهمات الشباب في بناء الاشتراكية** – كيم ايل سونغ – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

– **دراسات في الأدب والنقد** – أبو القاسم محمد كرو – منشورات دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ١٩٨٩ .

– **دراسات في التاريخ والتراث** – أبو القاسم محمد كرو – منشورات دار

المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ١٩٩١ .

– **رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية** – أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا الوزير ، تحقيق محمد سواعي – دمشق ١٩٩١ .

– **سعيد ودراجته** – ريشارد بوت ، تعريب أديب الإنكليزي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **السياسي الأديب يوسف غنيمة ، حياته ، آثاره ، عصره** – حارث يوسف غنيمة – بغداد ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

– **شجرة الأماني (قصص للأطفال)** – وليم فولكنر ، ترجمة صلاح مزهر – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **صفحات من تاريخ البعث ، دورات مجلس الحزب ١٩٤٧ – ١٩٥٧** – جورج صدقني – دار طلاس ، دمشق ١٩٩١ .

– **ضرورة الإنسان الاقتصادي من أجل الإقلاع الاقتصادي لدول أوروبا الشرقية** – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (سلسلة الدورات) ، فاس ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

– **طبيعة الكون** – كليف كيلمستر ، ترجمة المهندس محمد بشار حكمت البيطار – منشورات وزراة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١م .

– **ظلال الطيور الهاربة (قصص وروايات عربية)** – جنان جاسم حلاوي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **العرب وابن خلدون** – أبو القاسم محمد كرّو – دار المغرب العربي ، تونس ، بيروت ١٩٨٨ .

– **عمدة الطبيب في معرفة النبات (في قسمين)** – أبو الخير الإشبيلي ،

قدم له وحققه محمد العربي الخطابي – أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ١٩٩٠ .

– **العنصرية الصهيونية والمجتمع الدولي** – الدكتور جورج جبور ، دمشق ١٩٩١ .

– **عودة الرجل الغريب (قصص وروايات عربية)** – حسن صقر – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **فاتح المدرس فن حديث بروح تعبيرية** – طارق الشريف – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **فسر المولى وحصر معانيه والكشف عن حقيقة ما قيل فيه** – تأليف أبي الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرِّزي ، تحقيق الدكتور حمد بن ناصر الدخيل – الرياض ١٤١٢هـ ١٩٩١م .

– **قانون البحار وتطبيقاته في الدول العربية** – الدكتور إدريس الضحاك – الرباط ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

– **قصص من العالم (جزءان)** – عدد من المؤلفين ، ترجمة غادة بلدي ، ومنتهى حسن حديفة – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **القوة العاملة والتخطيط لها وتطبيقاته على واقع القطر العربي السوري** – الدكتور مصطفى العلواني – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **كارل غوستاف يونغ ، الأساسيات في النظرية والممارسة** – إيلي هومبيرت ، ترجمة وجيه أسعد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **كاشف هم الويل في معرفة أمراض الخيل ، أو كامل الصناعتين البيطرة والزرطقة المعروف بالناصري** – تأليف أبي بكر بن بدر الدين البيطار ،

تحقيق الدكتور عبد الرحمن الدقاق – دار النفائس ، بيروت ١٤١١هـ ١٩٩١م .

– **الكتاب السنوي للإحصاءات التربوية في الوطن العربي ١٩٨٨ – ١٩٨٩** – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

– **محمد الهادي المدني شاعر الوطنية والوفاء** – أبو القاسم محمد كرو – تونس ١٩٩١ .

– **مختصر لآلىء العرب (الجزء الأول)** – ألفه سالم خليل رزق ، حققه محمد المصري والدكتور علي أبو زيد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **المراثي** – محمد بن العباس اليزيدي ، تحقيق محمد نبيل طريفي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **مستدرك الفهرس التاريخي للمؤلفات التونسية** – أبو القاسم محمد كرو – بيت الحكمة قرطاج ١٩٨٨ .

– **مسرح الأطفال فلسفة ومنهج** – موسى كولدبرغ ، ترجمة صفاء روماني – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **المعجم العربي الأمازيغي (الجزء الأول أ – ض)** – محمد شفيق – أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة (معاجم) ، الرباط ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

– **المُعَلِّم ومرغريتا** – ميخائيل بولغاكوف ، ترجمة يوسف حلاق – دار رادوغا ، موسكو ١٩٩٠ .

– **مَعْلَمة الملحون (الجزء الثاني – القسم الأول)** – تأليف محمد الفاسي – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (سلسلة التراث) ، الرباط ١٩٩١ .

- **مغنيات بغداد في عصر الرشيد وأولاده** - خير الله سعيد - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- **ملتقى ابن منظور الإفريقي ، دراسات الملتقى الثاني ١٩٧٢ في اللغة والأدب والتاريخ** - نخبة من الأساتذة - دار المغرب العربي ، تونس ١٩٧٤ .

- **المنسنيور كيشوت** - غراهام غرين ، ترجمة شاهر حسن عبيد - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- **الموسوعة الصحفية العربية ، الجزء الثاني : مصر ، السودان ، الصومال** - د. عواطف عبد الرحمن ، د. نجوى كامل ، د. عاطف عدلي العبد ، د. صلاح عبد اللطيف - تونس ١٩٩١ .

- **الموسيقى في سورية أعلام وتاريخ** - صميم الشريف - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- **موضوعات حول التخطيط والتنمية في الوطن العربي** - د. عصام خوري ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- **نشرة الإيداع (يناير ، فبراير ، مارس ١٩٨٨)** - دار الكتب القومية ، قسم الببليوغرافيا القومية - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .

- **نشوء الرواية** - إيان واط ، ترجمة عبد الكريم محفوض - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- **الولد الصغير المشاكس** - فيصل الحجلي - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- **يوميات يوسف غنيمة (رحلة إلى أوربة ١٩٢٩)** - اختارها وعني بها حارث يوسف غنيمة - بغداد ١٩٨٦ .

ب ـ المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	٢٧٩ ـ ٢٩٠	١٩٩١	سورية
تاريخ العلوم العربية	١ ، ٢	١٩٩١	سورية
التراث العربي	٤٢ ، ٤٣	١٩٩١	سورية
الثقافة	تشرين أول ، تشرين ثاني ، كانون أول	١٩٩١	سورية
الثقافة الأسبوعية	٣٥ ـ ٤٦ ، ٤٨	١٩٩١	سورية
صوت فلسطين	٢٨٥ ، ٢٨٦	١٩٩١	سورية
عالم الذرة	١٤	١٩٩١	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	١٢ ، ١٣	١٩٨٩	سورية
المجلة البطريركية	١٠٧	١٩٩١	سورية
المجلة الطبية العربية	١١٢	١٩٩١	سورية
مجلة القانون	١ ـ ١٠	١٩٨٩	سورية
المعرفة	٣٣٦ ـ ٣٣٩	١٩٩١	سورية
الموقف الأدبي	٢٤٣	١٩٩١	سورية
آفاق علمية	٣٣	١٩٩١	أردنية
المجلة العربية للإدارة	١٥/١	١٩٩١	أردنية
مآب	٨	١٩٩١	أردنية
مؤتة للبحوث والدراسات	١ ، ٢	١٩٩١	أردنية

الموسم الثقافي الثامن	ـ	١٩٩٠	أردنية
دراسات	٣	١٩٩١	الإمارات العربية المتحدة
المنتدى	٩٨	١٩٩١	الإمارات العربية المتحدة
الحياة الثقافية	٦١	١٩٩١	تونس
نشرة المقتنيات الجديدة	٦ ، ٧	١٩٩١	السعودية
الدراسات الفلسطينية	٧	١٩٩١	لبنان
الشراع	٤٩٠ ـ ٥٠٣	١٩٩١	لبنان
الارشاد	٧ ، ٨	١٩٩١	المغرب
دراسات سيميائية	٥	١٩٩١	المغرب
دعوة الحق	٢٨٣ ، ٢٨٤	١٩٩١	المغرب
الوحدة	٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥	١٩٩١	المغرب
تراثنا	٦	١٩٩١	إيران
نشرة منظمة المؤتمر الإسلامي	٢٥ ، ٢٦	١٩٩١	تركيا
جمهورية كوريا	١٧	١٩٩١	كوريا
ثقافة الهند	٤	١٩٩٠	الهند

جـ - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء المحاسني

1 - BOOKS:

- Droit International, Bilan et perspectives/par M; Bedjaoui. - Paris, unesco, 1991, Tomes I - 2.
- Cartes, Plans et Fortifications Hispaniques De La Tunisie, (XVIé - XIXés.)/par: Juan Bta. Vilar. - Universidad de Murcia 1991.
- Les Musulmans de Valence et la Reconquéte (XI - XIII siecles)/par: Pierre Guichard. - Damas, 1991, Deuxieme Tome, (publ. par: Institut Francais De Damas).
- The Museum of Oriental Art, Moscow. Leningrad: Art Publishers, 1988.
- Al - Zahrawi's Al - Tasrif, commemorating its millenary Appearance/by: Sami Hamarneh, off - print of Hamdard Quarterly Journal of Science and medicine. Vol. XXXIII/April - june, 1990, No.2.
- Mondo arabo - islamico, profilo di un risveglio incompito/par: antonio Pellitteri, publ. by: cultura nuova libri, italy, 1991.

2 - Periodicals:

- Bulletin D'Etudes Orientales, De grammaire De L'Arabe Aux Grammaires Des Arabes/publ. by: Institut Francais De Damas, 1991, Tome: XLIII, Année, 1991.
- Asie et Afrique aujourd'hui, nos.: 2,5,1991, Moscou.
- Sources unesco, nos. 30,31,1991, Paris, unesco.
- Espana, revue d'information de L'O.I.D, NO.215, nov., 1991.
- Hamdard Islamicus, a quarterly journal at madinat alhikmat, pakistan, no.3, Autumn 1991, vol. xiv.
- Natural Resources and Development, A Biannual collection of recent german contributions concerning the exploration and exploitation of natural Resources/issued by: Institute for scientific co - operation, Tubingen, vol. 34,1991.
- Social sciences quarterly review, issued by: U.S.S.R Academy of sciences no.i, 1991.

– Durham university journal, july, 1991.
– Lettera Dall' Italia, publ. by: Insttito della enciclopedia italiana fo-
-nd da G. Treccani, Anno vI, no. 23, LUglio – settembre 1991.
– Acta Biologica Cracoviensia, publ. by/Polska Akademia Nauk, Warsszawa. series: Botanica, vol.: xxxI, series: zoologia, vol. xxxI, 1991.

فهرس الجزء الأول من المجلد السابع والستين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

ـ مشيخة ابن طهمان	تح د. محمد طاهر ملك
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ج١	تح محمد أحمد الدالي
ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط٢)	صنعة د. عبد الكريم الأشتر
ـ الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢)	لعبد الحي الحسني
ـ شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي	تح د. نسيب النشاوي
ـ رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا	تح د. طيان وميرعلم
ـ نظرات في ديوان بشار بن برد	للدكتور شاكر الفحام
ـ التوفيق للتلفيق للثعالبي	تح إبراهيم صالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣	وضع محمد رياض المالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢	وضع مراد وسواس
ـ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	الدكتور حسني سبح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١	وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق١	وضع ياسين السواس
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج٢ ، ٣	تح محمد أحمد الدالي
ـ نوح العندليب	لشفيق جبري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣	وضع صلاح الخيمي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١	تح نشاط غزاوي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد)	تح عبد الغني الدقر
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)	تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

ـ شعر عمرو بن معدي كرب	جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج١	تح محمد كامل القصار
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج٢	تح حافظ وبدير
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١	تح عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٢٤	تح مطاع الطرابيشي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٩	تح سكينة الشهابي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٢	تح غازي طليمات
ـ المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي	تح مصطفى الحدري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢	وضع ياسين السواس
ـ المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني	تح سبيع الحاكمي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣	تح إبراهيم عبد الله
ـ المستدرك على فهرس (الشعر)	إعداد رياض مراد
ـ تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش	تح إبراهيم صالح
ـ الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً	للدكتور عدنان الخطيب
ـ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا	للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

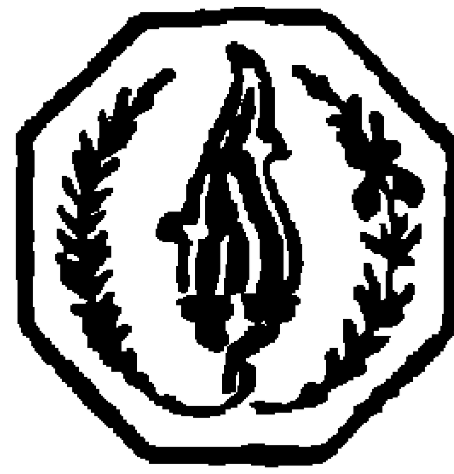
ـ المحب والمحبوب للسري الرفاء مج ١ ـ ٤	تح غلاونجي والذهبي
ـ شعر خداش بن زهير العامري	صنعة د. يحيى الجبوري
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج٣٨ ، ٤٠	تح سكينة الشهابي
ـ إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط٢)	تح عبد الإله نبهان
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦	وضع غزوة بدير
ـ الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية	وضع الخيمي والحافظ
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٤	تح أحمد مختار الشريف
ـ علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب	دراسة وتحقيق د.مراياتي وطيان ومير علم
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥	وضع محمد خير محمد

الجزء الثاني المجلد السابع والستون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



رمضان ١٤١٢هـ
نيسان (أبريل) ١٩٩٢م

كتب الأنساب العربية
(٤)

كتاب « القَصد والأُمَم
في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم »
لابن عبد البَرّ النَّمَري (٣٦٨ - ٤٦٣هـ)

الدكتور إحسان النص

المؤلف(*) :

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البَرّ النَّمَرِي النسب (من النَمِر بن قاسط ، إحدى قبائل ربيعة) ، القرطبي الدار ، إمام عصره في الحديث حفظاً وفقهاً وتأليفاً ، مع الاطلاع الواسع على المعارف الأخرى كالأدب والتاريخ والقراءات والأنساب .

ثمة خلاف في سنة ولادته وسنة وفاته ، والجمهور على أنه ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ وفيها طلب العلم وتفقّه على أيدي طائفة من علمائها ، وممّن أخذ عنهم ولزمهم أبو عمر أحمد بن عبد الملك الفقيه الإشبيلي ، والحافظ أبو الوليد ابن الفَرضي ، وقد أخذ عنه كثيرًا من علمه في الحديث وتراجم الرجال . وروى عن جماعة من العلماء منهم الحافظ أبو القاسم خَلف بن

(●) نشرت الأقسام : الأول والثاني والثالث في مجلة المجمع (مج٦٤ ، ج٤/مج٦٥ ، ج٣/مج٦٦ ، ج٣) .

(*) من مصادر ترجمته : بغية الملتمس للضبيّ ص٤٧٤ ، وقد جعل مولده سنة ٣٦٢هـ ووفاته في سنة ٤٦٠هـ ؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٧ ص٦٦ ؛ الصلة لابن بشكوال ٦٧٧/٢ ؛ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٤٠٧/٢ ؛ الديباج المذهب لابن فرحون ص٣٥٧ ، شذرات الذهب ٣١٤/٣ .

القاسم[١] ، وعبد الوارث بن سفيان ، وأبو عمر المعروف بابن الباجيّ[٢] ، وسعيد بن نصر[٣] .

حين اضطربت الأمور في قرطبة إبّان الفتنة التي أثارها النزاع بين أمراء بني أمية على الحكم ، والنزاع بين العرب والبربر ، والتي أودت أخيرًا بحكم الأسرة الأموية في الأندلس وقيام دويلات الطوائف سنة ٤٢٢هـ غادر ابن عبد البر قرطبة – ولا تعرف على وجه الدقة سنة مغادرته لها – وأخذ يتجول في بلاد الأندلس شرقًا وغربًا ، ويتنقل بين مدن دانية وبلنسية وشاطبة وغيرها ، وتولّى أثناء ذلك القضاء بمدينتي الأشبونة وشنترين في أيام الملك المظفّر بن الأفطس (ت ٤٦٠هـ) ، وتوفي أخيرًا بمدينة شاطبة سنة ٤٦٣هـ .

نال أبو عمر مكانة رفيعة في عصره فقصده طُلاّب العلم ورحل إليه الناس فسمعوا منه وأخذوا عنه ، وممّن أخذوا عنه أبو العبّاس الدلائي ، وأبو محمد بن حزم مؤلف كتاب « الجمهرة في النسب » ، والحافظ محمد بن فتّوح الحُميدي مؤلف كتاب « جذوة المقتبس » ، وأبو عليّ الغسّاني . وقد أثنى عليه الكثير من العلماء ، ومنهم القاضي أبو الوليد الباجّي الذي قال فيه : « لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البرّ في الحديث » وقد جعله أحفظ أهل المغرب[٤] ، وقال فيه ابن حزم :

---

(١) ضبط اسمه في ترجمة ابن عبد البر في بغية الملتمس (ص٤٧٤) : أبو القاسم خالد بن القاسم ، والصواب : خلف بن القاسم كما ورد في مصادر أخرى وفي البغية أيضاً في ترجمته (ص٢٧٢ ـ ٢٧٤) وذكر فيها أنه يعرف بابن الدبّاغ

(٢) ضبط في الوفيات (٣٤٨/٢ط بولاق) : أبو عمرو الباجي ، وقد رجّحت ما وجدته في الصلة (١١/١) وبغية الملتمس (الترجمة رقم ٤٢٣) .

(٣) كذا ضبط اسمه في بغية الملتمس (ص٣٠١ وص٤٧٤) وكنيته أبو عثمان ، وفي وفيات الأعيان : سعيد نصر ، والأول أصح . (وفيات ٦٦/٧) .

(٤) الصلة لابن بشكوال ص٦٧٧ .

« لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله »[٥].

صنّف ابن عبد البر الكثير من الكتب في الحديث والرجال والمغازي والنسب والقراءات ، ومن كتبه المطبوعة : « الدُرر في اختصار المغازي والسير » و« الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وهو في تراجم صحابة الرسول عليه السلام ، و« جامع بيان العلم وفضله » و« الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء » ، وقد تحدّث فيه عن الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي ، و« القَصد والأُمم » و« الإنباه على قبائل الرواة » وكلاهما في الأنساب ، وهما موضع حديثي هنا ، وكتاب « الإنصاف فيما بين العلماء من اختلاف » و« الكافي في الفقه » ، ومن أضخم كتبه كتاب « التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد » في عشرين مجلّدة ، ولم يعثر عليه كاملاً ، وكتاب « الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار » وقد طبع قسم منه . وفي كتاب « وفيات الأعيان » لابن خَلّكان نقول من بعض كتبه .

الكتاب :

الكتاب صغير الحجم ، يقع في زهاء ثلاثين صفحة ، فهو أدنى إلى أن يكون رسالة . وموضوع الكتاب وضّحه المؤلف في مقدمته فقال : « أمّا بعد ، فإني أذكر في هذا الكتاب بعون الله إن شاء الله ، أصول أنساب الأمم من العرب والعجم ، وما تداخل من بعضهم في بعض ، على تباعد البلدان ، ومرّ الدهور والأزمان ، إذ لا يُحصي فروعَهم وجماعتهم إلا الله خالقهم الذي هو بكل خلق عليم ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ... »[٦].

ويتّضح من هذا الكلام أن غاية المؤلف في كتابه بيان أصول أنساب الأمم كلها ، فالكتاب ليس وقفاً على أنساب العرب ، وهو لا يعنى بتفصيل

(٥) المصدر السابق .
(٦) الكتاب ، ص٨ .

الأنســاب وإنما يتّجه فقط إلى بيان أصول الأنسـاب عامة ، ولهذا جاء الكتاب موجزًا إذ لا نجد فيه حديثًا مفصّلاً عن أنساب العرب .

بدأ المؤلف حديثة ببيان تناسـل أمم العالم كلها من ذريّة نوح عليه السـلام وأبنائه الذيـن أنسلوا وهم : سام وحام ويافث ، وهو قول جمهور النسّابين ، ثم يقدّم بعض التفصيل عن أبناء نوح ، فيروي عن ابن عبّاس قوله : « ولد نوح سـامًا وفي ولده بياض وأُدمة ، وحامًا وفي ولده سواد وبياض قليل ،ويافثَ وفي ولده الشقرة والحمرة »[٧] .

ثم يذكر ما ذهب إليه جمهرة النسّابين من أن العرب هم من نسل سام ، ويروي عن سعيد بن المسيّب قوله : « ولد نوح ثلاثة : سامًاويافثَ ـ وحامًا ، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة ، فولدَ ، سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر » . ويشير المؤلف إلى بعض ما اختلف فيه النسابون بشأن تناسل الأمم من أبناء نوح الثلاثة .

وبعد هذا الإجمال ينتقل إلى التفصيل في أصول الأمم ، بادئًا بالعرب وهو يعرض لموضوع كان يشغل بال القوم في ذلك الحين وهو أول من تكلّم بالعربية ، فيذكر مختلف الآراء بهذا الشأن ، هل هو جبريل عليه السلام وقد ألقاها على لسان نوح ، ونوح ألقاها على لسان ابنه سام ، أو أنه آدم ، أو لعـلّهـا قبيـلة جرهم التي كان بعض رجالها في سفينـة نوح ، أو أنه عمليق بن لاوذ ، إلى غير ذلك من الأقوال . ثم يذكر انقسام العرب إلى عـاربة ، وهي القبـائل العربيـة التي بادت وانقرضت كعـاد وثمود وطسـم وجَديس ، ومستعربة ، وهم بنو إسماعيـل الذين أخذوا العربيـة عن قبيلة جرهم . ويفيض بعد ذلك في أخبار العرب العاربة وينقل مختلف الأقوال المتصـلة بأنسـابها وتاريخهـا وأخبـارها ، ثم يروي الأخبـار المتصـلة بولد

(٧) نفسه ، ص٩ .

إسماعيل ، وهم العرب المستعربة ، ويقرّر أن « العربية الفصيحة التي في ربيعة ومضر ابني نزار بن معدّ بن عدنان هي التي ألهمها اللهُ إسماعيل »[٨] ، وإسماعيل ، في رأي بعضهم ، هو أول من وضع الكتابة العربية ، ويتّجه المؤلف أخيراً إلى تقرير أن آدم أول من تكلم بالألسن كلّها وأوّل من وضع الكتاب لأنه عُلّم اللغات وعُلّم الأسماء كلّها ، ويستشهد بالآية الكريمة : ﴿ وعَلّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها ﴾[٩] (البقرة ٣١) .

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى تعداد أبناء سام وكَم عُمّر كلٌ منهم ، فأرفخشذ مثلاً عُمّر أربعمئة وخمساً وستين سنة . ثم يتحدّث عن ولد إبراهيم وولد إسماعيل ويعود ثانية إلى موضوع أول من كتب بالعربية وينقل أقوالاً مختلفة بهذا الصدد .

ولمّا فرغ من سام وأولاده انتقل إلى حام وولده ، ويعلّل سواده وسواد أولاده بما ذكره بعضهم من أنّ أباه نوحًا دعا عليه بتشويه ولده وسواده ، وأن يكون أولاده عبيدًا لأولاد سام . ثم يثبت المؤلف أقوال طائفة من النسّابين المتصلة بأبناء حام ، والخلاف في أولاد حام والأمم المتناسلة منهم ، وهو يجعل من أبناء حام البربر والزنج والحبشة والنوبة والسند وغيرهم ، وجُلّهم من نسل كنعان بن حام ، ووضّح ما وقع من الاختلاف في نسب البربر ، وعنده أن أثبت ما قيل فيهم أنهم من ولد قبط بن حام[١٠] ، ونفى انتماء البربر إلى قبيلة قيس عيلان . أمّا فراعنة مصر فالنسابون يتفقون في أنهم من ولد حام[١١] .

ثم يقف بعد ذلك عند يافث وولده ، ويجعل من ولده اليونانيين ،

(٨) الكتاب ، ص١٦ .
(٩) نفسه ، ص١٨ .
(١٠) نفسه ، ص٢٤ .
(١١) نفسه ، ص٢٧ .

وهم الروم الأولى ، والروم الثانية ، والفرس ، والأكراد ، والبرجان ، والديلم ، والترك ، والصقالبة ، والصُغد ، والصين . ويذكر مختلف الأقوال في أصولهم النَّسَبيَّة ، وكذلك يجعل من ولد يافث يأجوج ومأجوج وهم « أمم لا يقدر أحد على استقصاء ذكرهم لكثرتهم »[١٢] .

هذا ملخص ما جاء في كتاب المؤلف ، ومنه يتضح أنه جمع فيه أقوال النسّابين والأخباريين المتصلة بأصول أنساب الأمم ، وبين هذه الأقوال اختلاف كثير لأنها لا تقوم على أصول علمية ثابتة . وكان المؤلف يدلي أحيانًا برأيه فيرجّح قولاً على قول أو ينفي بعض المرويّات ، على أنه ، بوجه عام ، يتّجه إلى الرواية والنقل أكثر ممّا يتّجه إلى النقد وتمحيص الأخبار .

والنهج الذي سار عليه هو إيراد أقوال أهل النسب والأخبار بأسنادها ، وهي طريقة المحدّثين ، ونحن نعلم أن المؤلّف كان إمامًا في الحديث وروايته .

وقيمة الكتاب هي في كونه يعرض لنا مختلف أقوال الأخباريين والنسّابين في أصول الأنساب .

طبع الكتاب بمطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٥٠هـ وعنيت بنشره مكتبة القدسي ، وقد ألحق به كتاب آخر لابن عبد البر في الأنساب هو كتاب « الإنباه على قبائل الرواة » ، وهو موضع حديثي الآن .

---

(١٢) نفسه ، ص٣٨ .

كتاب

الإنباه على قبائل الرواة
لابن عبد البر

الكتاب :

لم يقصد ابن عبد البر من تأليف هذا الكتاب بيان أنساب العرب عامة وإنما كان قصده بيان أنساب القبائل العربية التي روت عن رسول الله عليه السلام ، وقد جعله مدخلاً لكتابه « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وقد وضّح غايته هذه في مقدمة كتابه فقال : « أمّا بعدُ ، فإني ذكرت في كتابي هذا أمهات القبائل التي روت عن رسول الله ﷺ ، وقرّبت ذلك واختصرته وبيّنته وجعلته دليلاً على أصول الأنساب ومدخلاً إلى كتابي في الصحابة ، ليكون عوناً للناظرين فيه ، ومنبّهًا على ما يُحتاج إليه من معرفة الأنساب »[١٣].

وقد بدأ كتابه بالحديث عن علم النسب ووجوب العناية به ، فعلم النسب « علم لا يليق جهلُه بذوي الهمم والآداب ، لما فيه من صلة الأرحام والوقوف على ما ندب إليه النبي ﷺ بقوله : تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم .. »[١٤] ثم بيّن فوائد علم النسب ورد على القائلين بأنه علم لا ينفع وجهالة لا تضرّ ، ودعم كلامه بالآية الكريمة : ﴿ وجعلناكُم شُعوبًا وقبائلَ لتعارفوا ﴾ وبطائفة من الأحاديث النبوية وأقوال الخلفاء الراشدين .

ثم ذكر ابن عبد البر أن كتابه هذا مأخوذ من أمهات كتب النسب ومنها : كتاب ابن إسحاق ، وكتاب الجمهرة لابن الكلبي ، وكتاب

---

(١٣) الإنباه ، ص٤٢ .

(١٤) الإنباه ص٤٢ .

أبي عبيدة معمر بن المُثَنّى ، وكتاب محمد بن عبدة بن سليمان ، وكتاب محمد بن حبيب ، وكتاب أحمد بن محمد العدوي في نسب قريش ، وكتاب الزبير بن بكّار في نسب قريش ، وكتاب عمه مصعب بن عبد الله الزبيري في نسب قريش أيضًا ، وكتاب علي بن كيسان الكوفي في أنساب العرب قاطبة ، وكتاب علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي ... »[١٥].

ويتّضح مما تقدّم أنه كان في زمن المؤلف ، في القرن الخامس الهجري ، مؤلفات كثيرة في الأنساب ، بعضها في أنساب العرب عامة ، وبعضها الآخر في نسب قريش خاصة ، ولم يصلنا من هذه المؤلفات إلا القليل ، وهي التي ألفها ابن الكلبي والزبير بن بكّار ومصعب الزبيري ، وسائرها في حكم المفقود . على أننا نجد لدى مطالعة الكتاب أنّ جلّ اعتماد المؤلف كان على كتاب محمد بن عبدة .

يعقد المؤلف أولاً فصلاً لعدنان ، فيذكر إجماع النّسّابين على أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وإنما وقع الاختلاف في عدد الآباء بينهما ، ثم أورد أحاديث نبوية وأقوالاً تذهب كلها إلى أن أحدًا لا يعرف ما وراء معدّ بن عدنان من آباء .

وبدأ بعد ذلك يفصّل القول في الأنساب ، فيذكر نسب عدنان حتى ينتهي به إلى إدريس النبي ، ويقول إن هذا النسب هو الذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان[١٦] . وبهذا يناقض ما ذكره قبلُ من أن أحدًا لا يعرف ما وراء معدّ بن عدنان من آباء .

وبهذه المناسبة يثبت قصيدة أبي العباس عبد الله بن محمد الناشئ (المتوفى سنة ٢٩٣هـ) والتي مدح بها الرسول عليه السلام وأثبت فيها

(١٥) الإنباه ، ص٤٦ .

(١٦) الإنباه ، ص٤٩ .

نسبه إلى عدنان .

وانتقل بعد ذلك إلى قحطان فذكر ما وقع من الخلف بين العلماء في نسبه ، فطائفة نسبته إلى إرم بن سام ، وطائفة نسبته إلى عابر بن شالخ ، وطائفة ثالثة نسبته إلى إسماعيل بن إبراهيم . ويذكر أن من قالوا بانتسابه إلى إسماعيل قد أيّدوا رأيهم بقوله عليه السلام لقوم من أسلم والأنصار : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا » ، ولكن ابن عبد البر يميل إلى الآخذ بقول ابن عباس : « العرب العاربة قحطان بن الهَميسع .. » وذلك لأن ابن عبد البر وجد إسناده حسنًا . « وهو أعلى ما روي في هذا الباب وأولى بالصواب »[17] . فكذلك نرى أنه ينهج نهج علماء الحديث في ترجيحه الأقوال التي يجد سندها قويًا ، ويوازن بين الأقوال بمعيار أسنادها .

وينهي المؤلف حديثه عن عدنان وقحطان بقوله : « لا خلاف بين أهل العلم بالنسب أن العرب كلها يجمعها جِذمان ، والجذم الأصل ، فأحدهما عدنان والآخر قحطان ، فإلى هذين الجذمين ينتهي كل عربي في الأرض ، ولا يخلو أحدٌ من العرب أن ينتمي إلى أحدهما »[18] .

وبعد أن فرغ من حديثه عن جذمي عدنان وقحطان أخذ يفصّل القول في أصول القبائل العدنانية واليمنية ، فوقف أولاً عند قضاعة وذكر ما وقع بشأنها من اختلاف بين علماء النسب ، فمنهم من ينسبها إلى معدّ بن عدنان . وهم جمهرة النسّابين ، وقد أورد حديثًا نبويًا يؤيد هذا النسب وأبياتًا لزهير بن أبي سلمى وغيره تؤيد انتماء قضاعة إلى معدّ ، وطائفة أخرى تنسبها إلى اليمن ، فهي عندهم قضاعة بن مالك بن حمير . وهنا أيضًا ترد أحاديث نبوية تدعم قول هؤلاء النسّابين – ونحن نلاحظ أن افتعال الأحاديث النبوية لدعم هذا الرأي أو ذاك كان مألوفًا

(١٧ و١٨) الإنباه ، ص٥٨ .

عصرئذ ، كما نعلم أن القول الثاني هو الذي استقرّ عليه النسّابون آخر الأمر ، فقضاعة عندهم حميرية قحطانية - وهنا أيضاً يسوق المؤلف أشعارًا تؤيد انتماء قضاعة إلى اليمن .

ويقف المؤلف بعد ذلك وقفات قصيرة عند كل من نزار ومضر وخندف ، ليقف وقفة أطول عند قريش ، فيذكر فضلها على سائر القبائل ، ومختلف الأقوال في سبب تسميتها بقريش ، ثم يعدّد البطون والأفخاذ التي تنتمي إليها والرجال المشهورين في كل بطن وفخذ ، ويعنى خاصة بذكر رواة الحديث منهم .

ثم ينتقل من قريش إلى كنانة وهُذيل والقارة وأسد فيوجز الحديث عن هذه القبائل إيجازًا شديدًا ، ثم يقف وقفة أطول عند قبيلة تميم والرواة المشهورين فيها ، وهكذا يتابع حديثه عن قبائل خندف بنت مضر فيتحدث في إيجاز شديد عن قبائل مُزينة والرِباب وضبَّة .

وحين فرغ من خندف انتقل إلى الفرع الثاني من مضر وهو قيس عيلان ، فذكر ما وقع بشأنها من خلاف بين النسّابين ثم عدد قبائلها وبطونها وأفخاذها والرواة المشهورين في كل منها .

وبعد قيس عيلان يعقد المؤلف فصلاً قصيرًا لخزاعة وما دار من خلاف في نسبها بين النسّابين ، إذ ينسبها بعضهم إلى قمعة بن خندف بن مضر ، وينسبها آخرون إلى قبيلة الأُزد القحطانية ، وهو يورد حجج الفريقين التي تؤيد قولهما ، على أنه لا يرجح قول أحد الفريقين على الآخر ، وينتقل أخيرًا إلى تعداد بطون خزاعة ورواة الحديث المشهورين في كل منها .

وبعد أن فرغ من مضر انتقل إلى الحديث عن ربيعة وقبائلها والرواة المشهورين فيها ، على أنه لا يطيل في الحديث عن ربيعة ، وسرعان ما ينتقل

إلى الكلام عن طائفة من القبائل وقع الخلاف بشأنها بين النسّابين أهي عدنانية أم قحطانية وهي : بَجيلة وخَثعم وعاملة ولخم وجُذام ، ويقرّر أكثر أهل النسب على أنها قحطانية .

وأخيرًا يقف المؤلف عند القبائل القحطانية التي لا خلاف في نسبها بادئًا بالأزد ، ذاكرًا في كل قبيلة المشهورين من رواة الحديث فيها .

وقد اتبع ابن عبد البر في كتابه هذا النهج الذي اتبعه في كتابه الأول من حيث الإيجاز وإيراد السند في كل خبر – على طريقة المحدّثين – مع بيان الكتب التي استعان بها مثل كتاب محمد بن عبدة وكتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي وكتاب الجمهرة في النسب لابن الكلبي وغيرها . فإذا عنّ له رأي نسبه إلى نفسه فقال : قال أبو عمر . وقد أورد ابن عبد البر الأشعار التي أيّد بها النسّابون أقوالهم ، ولكن في غير إكثار .

وهذا الكتاب أوسع من سابقه فهو يستغرق ما يزيد على سبعين صفحة وهو مع ذلك شديد الإيجاز بالقياس إلى كتب الأنساب الأخرى . وقيمة الكتاب هي في تعداد أسماء رواة الحديث في كل قبيلة من قبائل العرب .

* * *

كتاب
طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب

للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول
(... – ٦٩٦هـ)

المؤلف(*) :

هو عمر بن يوسف بن رسول الغسّاني ، ثالث ملوك آل رسول

(*) من مصادر ترجمته : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي ؛

باليمن . ويذكر المؤلف في ترجمته لأسرته أن آل رسول يرجعون بنسبهم إلى الملك الغسّاني جبلة بن الأيهم ، فهم إذًا من سلالة آل جفنة ملوك الشام ، وقد فصّل المؤلف نسبهم في الكتاب[١٩] .

واسم « رسول » الذي عرفت به أسرة المؤلف أطلق - فيما يذكرون - على أحد أجداد المؤلف واسمه محمد بن هارون بن الفتح ، وكان مُقَرّبًا من أحد خلفاء بني العباس ، فجعله رسولاً له إلى الشام ومصر ، ومن هنا أصبح يعرف برسول حتى جُهل اسمه الحقيقي ، ونسبت أسرته بعد ذلك إليه . وربما أطلق على الأسرة لقب « التركماني » ، ويعلّل الخزرجي في العقود اللؤلئية هذا اللقب بإقامة أسرة جدّهم الأول جبلة بن الأيهم في بلاد التركمان بعد جلائهم عن بلاد العرب ، فنزلوا أولاً بلاد الروم مع جبلة ثم ارتحلوا إلى بلاد التركمان وتكلموا بلغتهم وانقطعت صلتهم بالعرب فنسبهم بعض من لا يعرفهم إلى التركمان ، وقد عادت الأسرة بعد حقبة من الزمن إلى بلاد العرب .

ولا تتضح أخبار أسرة رسول إلاّ منذ أيام الأيوبيين ، فالمصادر التاريخية تذكر أن صلاح الدين لمّا أرسل أخاه شمس الدولة توران شاه إلى اليمن لقتال حكامها من الفاطميين أرسل معه نور الدين عمر بن علي بن رسول ، فسار معه إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ وكان مع عمر عدد من آل رسول[٢٠] .

وبعد مغادرة توران شاه بلاد اليمن ظلّ عمر بن علي ومن معه من آل رسول مقيمين فيها . وفي سنة ٦١١هـ يغدو « آقسيس » ابن الملك الكامل الأيوبي ملكًا على اليمن ويلقب بالملك المسعود ، وكان ملكًا جبّارًا قتل المئات

= ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٢٣/٢٦ ؛ ومقدمة طرفة الأصحاب للأستاذ صلاح الدين المنجد ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، الجزء الخامس وما بعده .

(١٩) انظر كتاب طرفة الأصحاب ص٨٩ - ٩٢ .

(٢٠) النجوم الزاهرة ٧١/٨ .

من أشـراف أهل اليمن . وقد قرّب عمر بن علي وولاّه الحصون ثم ولاّه مكة . ولما توجه إلى مصر استنابه على اليمن واستناب أخاه بدر الدين على صنعاء ، فقويت في زمنه شوكة آل رسول وعظم أمرهم ، وقد تخوّف آقسيس تعاظم سلطان آل رسول فأمر بسجن نور الدين وإخوته ثم أمر بنفيهم عن اليمن ولكنه استبقى نور الدين في خدمته وجعله أتابك عسكره .

ولمّا توفي الملك المعظّم عيسى بدمشق سنة ٦٢٥هـ توجّه آقسيس إلى دمشق لأخذها واستناب نور الدين عمر مكانه على بلاد اليمن وجعله خليفته في ملك اليمن إن هو توفي . ولما بلغ الملك المسعود مكة سنة ٦٢٦هـ توفي مسمومًا ، فسنحت الفرصة لنور الدين عمر فتولّى ملك اليمن وقاتل الخارجين عليه من أمرائها ، فكان أول من ملك اليمن من آل رسول ولُقب بالملك المنصور .

وفي سنة ٦٤٧هـ قُتل الملك المنصور بيد مماليكه فقام بالأمر بعده ولده الملك المظفّر شمس الدين يوسف بن عمر ، وقد اشتهر هذا الملك بالحزم والدهاء والحنكة السياسية ، وكان أول من كسا الكعبة داخلها وخارجها سنة ٦٥٩هـ ، وقد دام ملكه ستة وأربعين عاماً . وكان معنيًّا بعلوم الطب ، وله كتاب « الأدوية المفردة » وهو مطبوع .

كان الملك المظفّر معجبًا ببكره عمر لشغفه بالعلم وشجاعته فندبه للقيام بمهمات تأديبية ثم نزل له عن الملك سنة ٦٩٤هـ بمحضر من النبلاء والأشراف وجاء في التقليد الملكي ما نصه : « أمّا بعدُ ، فقد ملّكنا عليكم من لا نؤثر فيه – والله – داعي التقريب على باعث التجريب ، ولا عاجل التخصيص على آجل التمحيص ، وهو سليلنا الخَطير ، وشهابنا المنير ، وبصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد ... »[٢١] ولم يلبث الملك المظفر أن توفي في العام نفسه .

---

(٢١) العقود اللؤلؤية ١/٢٨٤ .

وقد تولى الملك الأشرف عمر ملك اليمن في عهد ولاية الملك العادل زين الدين كَتْبُغا على مصر . وكان الأشرف محمود السيرة ، محبوبًا من الرعية ، مهيب الجانب ، ولم تطل مدة ملكه فقد توفي في المحرّم من سنة ست وتسعين وستمئة بعد أن حكم زهاء سنة ونصف ، وآل الملك بعده إلى أخيه المؤيّد داود .

كان الملك الأشرف كأبيه منصرفًا إلى طلب العلم وكانت له مشاركة في الفقه والحديث والنحو والفلك ، ولكنه انصرف خاصة إلى الطب وعلم النسب . وقد صنّف في مختلف الفنون ، فألّف كتابًا جامعًا في الطب سمّاه « المعتمد في مفردات الطب » وما زال مخطوطًا ، كما ألّف كتابًا في الاسطرلاب ، وقد تحدث عنه الشيخ طاهر الجزائري في مجلة المقتبس (مجلد ٣ عام ١٩٠٩م) ، وكتاب « تحفة الآداب في التواريخ والأنساب » ، وكتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » موضع حديثنا ، ولم يطبع من كتب المؤلف حتى الآن غيره (٢٢) .

الكتاب :

الكتاب في أنساب القبائل عامة ، ولكنه عني بأنساب القحطانية خاصة وبنسب آل رسول أسرته وأوجز القول في أنساب القبائل العدنانية على أنه فصّل القول في أنساب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه وخلفاء بني أمية وبني العباس ثم في أنساب الأمراء والأشراف من أهل اليمن .

(٢٢) ذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد في مقدمة كتاب « طرفة الأصحاب » أن للملك الأشرف كتابًا اسمه « جواهر التيجان » ، وقد ورد ذكره في الطرفة مرتين ، في ص٤٥ وص٤٨ ، ووردت في ص٤٨ عبارة : « قد ذكرنا قصتهم في جواهر التيجان » مما يوهم أن الكتاب للملك الأشرف ، ولكن المؤلف كان ينقل هنا عن نشوان بن سعيد الحميري (انظر ص٤٣ من الكتاب) وهذه العبارة يرجح أنها من كلام نشوان الحميري ، والأرجح أن مؤلف جواهر التيجان هو نشوان الحميري وإن لم يذكر من ترجموا له أن له كتابًا بهذا الاسم ، والظاهر أن الكتاب تلخيص لكتاب « التيجان » لابن هشام الحميري .

فالكتاب لا يحقّق التوازن في ذكر أنساب مختلف القبائل ، يفصّل القول في بعضها ويوجز في بعضها الآخر . ويوضح المؤلف خطته في مقدمة كتابه فيقول : « هذا مختصر في علم الأنساب ، يسهل حفظه على أولي الألباب ، محتوٍ على أصول أنساب العرب ، مقرّب حفظها لأُولي الطلب ، مضافًا إليه نسب النبي المختار ، مشفوعًا بصحابته الأبرار ، نبّهنا على أوصلهم به سببًا ، وأقربهم منه نسبًا ، ثم تلوناه بالخلفاء من بني أمية وبني العبّاس ، ثم من بني رسول ملوك اليمن ، ثم من شُهر بخدمتهم من أكابر الأشراف ، في عصرنا والأعراب ، ممّا اطّلعنا عليه وتلقّيناه من الأصحاب ، مرتّبين على قدر مناصبهم ، ومميّزين بحق مراتبهم ... »[٢٣] .

ثم بدأ حديثه عن الأنساب بنقل ما وجده في كتاب ابن واضح[٢٤] حول آدم ومن خلفه من أولاده ، وانتقال الأمر من واحد إلى آخر حتى زمن نوح وحديث الطوفان وهلاك البشر كلهم باستثناء أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وقسمة البلاد بينهم : « فجعل لسام وسط الأرض والحرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عُمان إلى البحرين إلى عالج ويبرين ووَبار والدهناء ، وجعل لحام أرض المغرب والسواحل ، وجعل ليافث شرق الأرض جميعها . فولدُ حام : كُوش وكنعان والنوبة والزنج والحبشة والقبط ... »[٢٥] . ثم يذكر اختلاف المؤرخين في أولاد كل من أبناء سام . ويتابع بعد ذلك تسلسل الأنساب ، معتمداً على صاحب العقد ، فقد انتقل الأمر من سام إلى أرفخشذ إلى شالخ فعابر . وهنا يبيّن اختلاف النسّابين فيمن انتقل الأمر إليه بعد عابر . وهو يجعل العرب كلهم من ولد سام ، وهما قسمان : ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهم عدنان ، وولد قحطان بن

(٢٣) طرفة الأصحاب ص١ .

(٢٤) ابن واضح هو أحمد بن إسحاق ... بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) ويعرف تاريخه بتاريخ اليعقوبي . طبع بدار الفكر ، بيروت ١٩٥٦ .

(٢٥) طرفة الأصحاب ص٣ .

هود ، وهم أهل اليمن .

وبدأ بعد ذلك بأنساب القحطانية وقبائلها ، بخلاف ما اتبعته طائفة أخرى من النسّابين آثرت البدء بالأنساب العدنانية رعاية لنسب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولعل دافعه إلى ذلك كونه قحطاني النسب .

ولم يتبع المؤلف نهج ابن الكلبي في تفريع القبائل من أصولها وتفريع البطون من القبائل ، وإنما وقف عند كل قبيلة من قبائل قحطان وذكر بطونها المشهورة ، وقد بدأ بكهلان فذكر أولاً نسب الأزد وقبائلها الست والعشرين ، والبطون المشهورة في كل قبيلة ، وكل ذلك على وجه الإيجاز . ثم انتقل إلى سائر قبائل كهلان : خثعم وبَجيلة وهَمْدان ومَذْحِج وطيّئ والأشعر ولَخْم وجُذام وكندة ، ووقف وقفة قصيرة عند كل منها .

ولّما فرغ من كهلان انتقل إلى حمير – الفرع الثاني من قحطان – فذكر قبائلها وبطونها ، وأدخل قضاعة في حمير – وهو ما سار عليه جُلّ النسّابين – فذكر القبائل القضاعية وبطونها .

وبعد هذه الإلمامة السريعة بأنساب قحطان انتقل إلى عدنان فجعل القبائل العدنانية كلها ترجع في نسبها إلى أصلين : معدّ وعكّ . ومن المعروف أن ثمة خلافًا بين النسّابين في نسبة عكّ ، والجمهور على أنها يمانية . وذكر قبائل معدّ الأربع : مضر وربيعة وأنمار وإياد ، ثم عدّد القبائل المتفرعة من كل منها وبطونها ، ولم يحاول أن يوضّح تفرّع القبائل من أصولها وتسلسل أنسابها ، وقد بدأ بمضر فربيعة فإياد .

ولّما فرغ من معدّ انتقل إلى عكّ فذكر قبائلها وبطونها .

بعد هذا الإجمال انتقل المؤلف إلى شيء من التفصيل : « فنذكر هاهنا القبائل ونوردها مفرّعة مشروحة على سبيل الاختصار أيضًا »[٢٦] ،

(٢٦) الكتاب ، ص١٨ .

وهنا أيضًا بدأ بقبائل قحطان فوقف أولاً عند بني جفنة الغسّانيّين – وقد ذكرت أن آل رسول ينسبون أنفسهم إليهم – فأثبت نسب جبلة بن الأيهم وما قيل فيه من الشعر ، ونقل عن ابن الجون في شرح الخمرطاشيّة[٢٧] نسب ملوك آل جفنة ومدة حكمهم ثم فصّل القول في نسب غسّان وقبائلها ، ووقف عند آل رسول فنفى أن يكون انتاؤهم إلى حِمير أو إلى اللخميين ، ورأى أن من فعل ذلك إنما جرى على سبيل من ينسب الرجل إلى بني عمه[٢٨] . ثم يعود إلى ذكر آل جفنة فيجعل منهم بني رسول ، يقول : « ومنهم ملوك اليمن بنو الرسول ، وأوّلهم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، ومنهم السلطان الأعظم المظفّر شمس الدنيا والدِين ، يوسف بن عمر ، أوحد ملوك الزمن . ومنهم ولده – أي المؤلف – ممهّد الدنيا والدين ، الملك الأشرف أبو الفتح عمر بن يوسف بن عمر ، أفضل ملوك اليمن ، وأفضل ملوك الدهر ، وأشرف أبناء العصر ، وكفاهم فخرًا أنّ أوّل الزمان لآبائهم وآخره لهم ... »[٢٩] .

نرى في الفقرة السابقة أن المؤلّف كان يعظّم شأن آبائه وأجداده ، وهو يبالغ في إطرائهم كلما ورد ذكرهم في كتابه ، فمن ذلك قوله مثلاً : فهؤلاء الذين قدّمنا ذكرهم من أولاد كهلان هم أقرب قبائل قحطان إلى نسب السلطان الملك المظفّر شمس الدنيا والدين يوسف بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول »[٣٠] .

(٢٧) ابن الجون هو أبو الربيع سليمان بن موسى الأشعري نسبًا ، الزَبيدي ملدًا ، المتوفى سنة ٦٥٢هـ . فقيه حنفي من أهل اليمن . من كتبه : « الرياض الأدبية » وهو شرح للمقصورة التاريخية الخمرطاشية في تاريخ اليمن القديم من نظم أبي الحسن بن خمرطاش الزَبيدي المتوفى سنة ٥٥٤هـ (مخطوط بالمتحف البريطاني) .

(٢٨) الطرفة ، ص٢٦ .

(٢٩) نفسه ، ص٢٨ .

(٣٠) نفسه ، ص٣٩ .

ويبدو أن بعض النسّابين كانوا ينسبون آل رسول إلى الملوك اللخميين أو إلى التبابعة الحميريين أو إلى سواهما ، ومن هنا كان المؤلف يحرص على تأكيد نسبة آل رسول إلى آل جفنة ويجعل نسبتهم إلى قبائل قحطان الأخرى من قبيل نسبة الرجل إلى أعمامه ، لأن جميع هذه القبائل تنتمي إلى سبأ الأكبر ، وهو يحيل في بيان نسب أسرته إلى شرح ابن الجَون للخمرطاشية . وقد تكرر كلام المؤلف بهذا الشأن أكثر من مرة في كتابه وكأنما كانت غاية المؤلف من تأليف مختصره هذا بيان نسب أسرته لما وقع لدى النسّابين والشعراء من الغلط الكثير في نسبهم[٣١] .

ولمّا فرغ المؤلّف من نسب كهلان انتقل إلى حِمير ففصّل القول في نسبها ، فأورد أولاً أنساب التبابعة وذكر طائفة من أخبارهم ، وهي أخبار غير جديرة بالثقة في جملتها ، وهو يحيل في سياقة نسبها أحيانًا إلى كتاب « جواهر التيجان »[٣٢] كما ينقل عن كتاب لنشوان الحميري لا يسمّيه[٣٣] .

ثم أثبت المؤلف أنساب الأقيال ، والقَيل هو الذي يخلف الملك في مجلسه ، وأنساب الأذواء ، وهم ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم لفظ « ذو » ومنهم : ذو يَزن ، وذو نواس ، وذو رعين ، الخ ... ثم يعود المؤلف مرة أخرى إلى تفصيل أنساب حِمير . ويقف أخيرًا عند أنساب قضاعة ،

---

(٣١) الكتاب ، ص٤٢ .

(٣٢) هذا الكتاب لم يصل إلينا ولعله اختصار لكتاب « التيجان في ملوك حمير » : لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) ، وهو من تأليف نشوان الحميري كما يستدل من عبارة وردت في الكتاب ص٤٨ .

(٣٣) نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) ، قاض عالم باللغة والأدب والنحو والتاريخ معتزلي المذهب ، كان متعصبًا للقحطانية ، له كتاب « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم في اللغة » : طبع قسم منه ، كما طبعت منتخبات منه تتعلق بأخبار اليمن ، بعناية عظيم الدين أحمد ، ليدن ١٩١٦م . وله مؤلفات أخرى .

وهي عنده من حِمير .

وبعد انقضاء الأنساب القحطانية يذكر أنساب العدنانية ، بادئاً بنسب مضر « لكون النبي محمد ﷺ منهم »[٣٤] . فيسوق أولاً أنساب اليأس بن مضر ثم أنساب قيس عيلان بن مضر ، فأنساب ربيعة . وهنا نجد المؤلف يخالف جمهرة النسابين إذ يجعل ربيعة تنتمي إلى مضر . ويسوق نسبها على النحو الآتي : « هو ربيعة بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان »[٣٥] ، وهي عند جميع النسّابين : « ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان » ، والمعروف أن نزارًا يتفرَّع إلى قبيلتين كبيرتين هما : ربيعة ومضر ، فنسبة ربيعة إلى مضر خطأ فاحش وقع فيه المؤلّف ، ولعله سهوٌ منه لأنه سبق أن ذكر أنّ قبائل معدّ هي : مضر وربيعة وأنمار وإياد[٣٦] .

وبعد تعداد قبائل ربيعة أورد نسب أنمار ، وهو عنده أنمار بن نزار ، على أن في نسب أنمار خلافًا بين النسّابين . ثم أورد نسب عكّ بن عدنان ، وفي نسبها أيضًا خلاف ، وجمهور النسّابين على أنها قحطانية . وفي حين نجده يفصّل القول في أنساب قحطان نراه شديد الإيجاز في ذكر الأنساب العدنانية . على أنه بعد هذا الإيجاز في الأنساب العدنانية يفصّل القول في نسب الرسول عليه السلام وفي نسب الخلفاء الراشدين والصحابة المشهورين ، وكذلك في نسب خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس حتى سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦هـ ، وهو يذكر سنة تولّي كل منهم الخلافة وسنة وفاته .

وبعد فراغه من سياقة أنساب الخلفاء يعود مرة أخرى إلى أنساب أسرته

(٣٤) الكتاب ص٥٧ .
(٣٥) الكتاب ، ص٦٢ .
(٣٦) الكتاب ، ص١٤ .

بني رسول ، فيفصل القول في كل من ملوكها ويذكر أولاده . على أن هذا القسم ليس من عمل المؤلف وإنما هو من عمل مؤلف آخر لم يذكر اسمه لأنه يذكر اسم الملك الأشرف وأسماء أولاده ثم يذكر من جاء بعده من ملوك آل رسول ، وآخرهم الملك الفائز والأمير شرف الدين محمد بن علي بن رسول ، وبعد ذلك نجد العبارة الآتية : « حاشية المصنف إلى هذا الذي ذُكر فقط . ثم قام بعد ذلك ملوك مشهورون من ذُرّيتهم »[٣٧]، وهذا يؤكّد ما ذهبتُ إليه آنفًا من أن الكتاب ليس كله من تأليف الملك الأشرف عمر بن يوسف ، وإنما جاء بعده من أضاف إليه ، ولهذا نقع في الكتاب على شيء من التكرار في ذكر أنساب القبائل وأنساب بني رسول .

ويلي ذلك سرد لأنساب الأشراف باليمن والحجاز بني حمزة وبني القاسم وأولادهم ، ثم نسب الأمراء من بني وهّاس ، وهم بطن من العلويين كانوا بالحجاز واليمن ، ويذكر المصنّف من كان منهم في زمنه وهو محمد بن جعفر بن أبي هاشم[٣٨] . وليس بين أيدينا ما يعيننا في تعيين زمن هذا الأمير .

ويلي ذلك نسب الأمراء من بني صفيّ الدين ، فأنساب طائفة من الأئمة العلويين وأشراف اليمن ومنهم : العبّاسيون ، والقتادات ، وبنو سليمان ، والشهابيون ، والسبئيون وغيرهم .

وفي آخر الكتاب تعداد للقبائل المذحجية في عهد المصنّف – الملك الأشرف أو سواه – مع بيان عدد أفراد كل قبيلة .

وقيمة الكتاب ليست في عرض الأنساب العدنانية والقحطانية ، ففي

---

(٣٧) الكتاب ص٩٢ .

(٣٨) الكتاب ، ص١٠٠ .

كتب الأنساب الأخرى من التفضيل ما لا نجده في هذا الكتاب ، وإنما قيمته في بيان أنساب ملوك اليمن المتأخرين والأشراف والأمراء العلويين في اليمن والحجاز .

مصادره : استمدّ المؤلف مادة كتابه من مصادر شتى ذكرها في كتابه ، ومن هذه المصادر كتاب « شمس العلوم » لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) ، وتاريخ ابن واضح أحمد بن إسحاق اليعقوبي (المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ) ، وكتاب « الإكليل » للحسن بن أحمد الهمداني المعروف بابن الحائك (ت ٣٣٤هـ) ، وكتاب « الكامل في التاريخ » لعز الدين ابن الأثير علي بن محمد (ت سنة ٦٣٠هـ) ، وكتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه (ت ٣٢٧هـ) ، وكتاب « جواهر التيجان » لنشوان الحميري ، وشرح ابن الجون الأشعري (ت ٦٥٢هـ) على المقصورة الحمرطاشية في تاريخ اليمن القديم ، وكتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، وكتاب « الباب » للأشعري[٣٩] ، وكتاب

---

(٣٩) كذا ورد اسمه في « كشف الظنون » في أكثر من موضع ، ومن ذلك ما ورد في المجلد الثاني ص ١٥٤٠ :

« اللباب إلى معرفة الأنساب ، مختصر لأبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ذكر فيه جملة مصنفات في هذا الفن ، ثم قال : « وقد استخرجت من هذه (أي المصنفات) كتاباً مختصراً سمّيته التعريف بالأنساب ، توسطت فيه بين الإكثار والإقلال ، ثم عملت « اللباب » ... وقد ذكرت فيه أمهات القبائل وبطونها وجعلته مدخلاً إلى علم النسب . » . وقد أثبت الأستاذ المنجد اسمه كما ورد في كشف الظنون وخطّأ ما وجده في المطبوعة (ص ٦٧) .

وهو عبارة : « قال الأشعري في كتابه المعروف بالباب » فأثبت في الحاشية عبارة : « كذا ، والصواب : اللباب ، » اعتماداً على ما وجده في كشف الظنون .

إلا أن الأستاذ المحقق حمد الجاسر خالف الأستاذ المنجد فيما ذهب إليه ورأى أن الصواب في اسم الكتاب هو « الباب » وأيّد كلامه بما جاء في مقدمة كتاب الباب (مطبوع بجدة) وهو : « هذا مختصر في علم النسب وقبائل العرب جعلته ذريعةً إلى الاختصار وسبباً في الاقتصار وسميته كتاب الباب إلى معرفة الأنساب ... » والصواب ما ذهب إليه الأستاذ الجاسر لأنه يوافق ما جاء =

« مقدمة الأنساب » للشريف الحسيني[٤٠]، وكتاب « خلاصة السير » لمحب الدين الطبري أحمد بن عبد الملك (ت ٦٩٤هـ) وكتاب « بُلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء » .

طبع الكتاب في المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية الآن) بتحقيق المستشرق ستر ستين ، دمشق ١٩٤٩م وقدّم له الأستاذ صلاح الدين المنجّد .

وقد استدرك الأستاذ الجاسر على المؤلف طائفة من الأخطاء سواء في ضبط أسماء القبائل أو في نسبة بعض الأشخاص ، (انظر مقالته في مجلة المجمع العلمي المجلد ٢٦ ص٢٢٣) ومن ذلك أنه نسب أبا مسلم الخراساني إلى قبيلة خولان (ص٥٧ من الكتاب) والصحيح أنه عجمي خراساني ، أما المنسوب إلى خولان فهو أبو مسلم الخَولاني الفقيه الزاهد . وكذلك جعله ربيعة من أبناء مضر ، وقد أشرت إلى هذا الخطأ آنفًا ، ومنها أيضًا أنه نسب قس بن ساعدة إلى قبيلة أنمار (ص٦٣ من الكتاب) والصحيح أنه من قبيلة إياد العدنانية ، إلى غير ذلك من الأخطاء .

= في الأصل وما جاء في مقدمة كتاب « الباب » نفسه ، ويؤيد هذا عنوان الكتاب « الباب إلى معرفة الأنساب » يريد أنه جعله مدخلاً إلى معرفة الأنساب ولو كان اسمه « اللباب » لكان عنوانه : اللباب في معرفة الأنساب . ولايصح أن يدعى : اللباب إلى معرفة الأنساب ، وقد أخطأ صاحب كشف الظنون في تسميته باللباب . (انظر مقالة الأستاذ حمد الجاسر في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٢٦ ص ٢٢٣) .

ولم يذكر حاجي خليفة سنة وفاة الأشعري في هذا الموضع ، ولكنه حين تحدث عن كتابه الآخر وهو « التعريف بالأنساب » ذكر أن وفاته كانت في حدود سنة ٥٥٠ للهجرة .

(٤٠) لعله الشريف أبو البركات الجَوّاني الحسيني أسعد بن علي الذي استمدّ منه النويري في نهاية الأرب ، كما سيأتي ، ومقدمته تعرف بمقدمة الشريف الجوّاني وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية .

كتاب
نهاية الأرب في فنون الأدب
لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(*) ٦٨٢ - ٧٣٣هـ

المؤلف

هو شهاب الدين ابو العبّاس أحمد بن عبد الوهاب ، تُرجع أسرته نسبها إلى أبي بكر الصدّيق ، ومن هنا قيل له البَكري ، أما لقبه النُويري الذي اشتهر به فهو نسبة إلى النُويرة ، وهي قرية مصرية تابعة لمديرية بني سُويف بالصعيد ، وكانت أسرته تقيم بها ، ولكنّ مولده كان - فيما يذكر الأُدفوي(٤١) - بمدينة قُوص ، من مدن صعيد مصر ، وكان مَولده سنة اثنتين وثمانين وستمئة للهجرة(٤٢) ، وبها كانت نشأته . وليس لدينا الكثير حول نشأته وحياته في تلك المدينة ، وجُلّ ما عرفناه عنه أنه أخذ الحديث والفقه عن طائفة من الشيوخ منهم الشريف موسى الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ، ويعقوب بن أحمد بن الصابوني ، وأحمد الحجّار ، وزينب بنت يحيى ، وقاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة .

اتّصل النويري بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٨٤-٧٤١هـ) وأصبحت له حظوة عنده ، ويذكر الأُدفوي أن الناصر وكله في بعض أموره وأنه تقلب في الخدم الديوانية وباشر نظر الجيش بطرابلس وتولى نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية .

(*) من مصادر ترجمته : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد للأدفوي ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٩/٢٩٩ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ١٤/١٦٤ ؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي ، الجزء الأول ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر .

(٤١) الطالع السعيد ص٩٦ .

(٤٢) هذا ما جاء في المنهل الصافي لابن تغري بردي ١/٣٦١ ، وفي الأعلام للزركلي أنه ولد سنة ٦٧٧هـ .

وكان إلى جانب عمله في الديوان يقوم بنسخ الكتب بخطه ثم يبيعها ، ويذكرون أنه نسخ صحيح البخاري ثماني مرّات ، وكان يقابل كل نسخة بالأصل ثم يجلّدها ويبيع النسخة بألف درهم ، وكان له طاقة عجيبة على النسخ والتأليف ، ذكروا أنه كان يكتب في اليوم ثلاث كراريس .

أثنى المؤرخون على علم النويري وذكروا أنه كانت له مشاركة في علوم كثيرة ، وكان يجيد الخطّ ويكتب الخط المنسوب ، وله نظم يسير ، ونثر حسن ، وكان إلى ذلك ظريفًا متودّدًا حسن المعاشرة ، ويصفه ابن كثير بأنه « بالجملة كان نادرًا في وقته »[٤٣] .

اشتهر النويري بكتابه « نهاية الأرب » على أن بعض المؤرخين ذكروا أن له كتابًا آخر في التاريخ في ثلاثين مجلدة[٤٣] . وأرى أن الأمر اختلط عليهم فكتابه في التاريخ هو كتاب « نهاية الأرب » عينه ، والقسم التاريخي يحتل منه جانبًا كبيرًا ، ويؤيد ما ذهبت إليه ما ذكره ابن تغري بردي فهو يقول : « وألف تاريخًا سمّاه نهاية الأرب في علم الأدب ، في ثلاثين مجلدًا[٤٤] » . وذكر نحو ذلك في كتابه النجوم الزاهرة[٤٥] ، فليس للنويري كتاب مستقل في التاريخ ، وكان ينسخ كتابه هذا ويبيعه بألفي درهم .

يذكر معاصره الأُدفُوي أن وفاته كانت بسبب وجع حصل له في أطراف أصابع يديه ، ومات وله خمسون سنة أو تزيد قليلاً ، واختلف المؤرخون في تعيين سنة وفاته بين سنتي ٧٣٢هـ و٧٣٣هـ .

الكتاب

الكتاب موسوعة أدبية وعلمية وتاريخية ضخمة تجمع فنونًا شتى من المعرفة ، وعنوان الكتاب المطبوع : « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، وهو

(٤٣) البداية والنهاية ١٦٤/١٤ .
(٤٤) المنهل الصافي ٣٦١/١ .
(٤٥) النجوم الزاهرة ٢٩٩/٩ .

عند ابن تغري بردي في المنهل الصافي : « نهاية الأرب في علم الأدب »[٤٦] ، ولكنه في كتابه الآخر النجوم الزاهرة يجعل اسمه : « منتهى الأرب في علم الأدب » ، كما يذكر أن كتابه هذا يعرف باسم « تاريخ النويري »[٤٧] .

ولست هنا بصدد دراسة الكتاب وإنما يعنيني منه القسم الخاص بالأنساب ، وقد قسّم النويري كتابه إلى فنون ، والفنون إلى أقسام ، والأقسام إلى أبواب ، وبحث النسب يشغل الباب الرابع من القسم الأول من الفن الثاني الذي تناول فيه الإنسان وما يتعلّق به ، ويقع هذا الباب في الجزء الثاني من الكتاب ، وهو في ثلاث وثمانين صفحة .

بحث النويري في الأنساب موجز ليس فيه إضافة إلى ما في كتب الأنساب السابقة ، ولا يدلّ على تعمّق في أنساب العرب ، وإنما أتى به هنا استيفاءً للمباحث المتصلة بالإنسان . ويبدو أن جُلّ اعتماده فيه كان على المقدّمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجَوّاني ، يقول في مستهلّ حديثه عن الأنساب : « وقفت على المقدّمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجَوّاني[٤٨] ، فرفعت له عَلمًا ، ونصبت له إلى المعالي سُلّمًا ، لأنه أتقن أصولها ، وحرّر فصولها ، وأورد فيه من الأنساب ما ينتفع به اللبيب ، ويستغني بوجوده الكاتب الأريب .. »[٤٩] .

(٤٦) المنهل الصافي ٣٦١/١ .

(٤٧) النجوم الزاهرة ٢٩٩/٩ .

(٤٨) الشريف أبو البركات الجَوّاني هو أسعد بن علي الحسيني الجَوّاني نسبة إلى (الجَوّانيّة) وهي من قرى المدينة المنورة ، وكان يقيم بمصر . وقد ترجم له القفطي في الإنباه (٢٣٠/١) وذكر أنه موصلي الأصل ، ولم يعين سنة وفاته ولكنه ذكر أنه أدرك أيام الصالح بن رُزّيك المتوفى سنة ٥٥٦هـ . على أنه لم يكن معروفًا باشتغاله بالأنساب وإنما عرف بذلك ولده محمد بن أسعد بن علي الشريف الجوّاني وكنيته أبو علي ، وله كتاب في النسب اسمه « تاج الأنساب ومنهاج الصواب » . (انظر : الوافي في الوفيات ٢٠٢/٢ ولسان الميزان لابن حجر ٧٤/٥) .

(٤٩) نهاية الأرب ٢٦١/٢ .

ثم يقول بعد قليل : « وعلى الشريف العمدة فيما أوردته ، والعهدة فيما نقلته ، فمن تأليفه نقلت ، وعلى مقالته اعتمدت »[٥٠] . على أن في الكتاب ذكرًا لعلماء آخرين في النسب ومنهم ابن الكلبي والوزير المغربي ، مؤلف كتاب الإيناس .

بدأ النويري حديثه عن أنساب العرب ببيان عناية العرب بأنسابها وافتخارها بمعرفتها . ثم قسّم العرب إلى عشر طبقات : الجِذم ، فالجمهور ، فالشَعب ، فالقبيلة ، فالعمارة ، فالبطن ، فالفخذ ، فالعشيرة ، فالفصيلة ، فالرهط ، وعرّف كلاً منها . وهذا التقسيم ليس من ابتكار النويري فقد سبقه إليه علماء النسب قبله ، وإن كان بين علماء النسب خلاف في ترتيب الجماعات القبلية . والعرب عنده – وعند جمهور علماء النسب – يرجعون جميعًا إلى جذمي قحطان وعدنان . ولكن النويري لم يتحدث عن الأنساب القحطانية والعدنانية مباشرة وإنما بدأ بذكر الأنساب منذ زمن آدم ، وجعل آدم الجدّ الخمسين للرسول عليه السلام ، مع أنه ذكر قبل ذلك أنه « قُطع الخوض فيما فوق قحطان ومعدّ وعدنان ، واقتُصر على ذكر ما دونهما لاجتماعهم على صحته ، ومنه قول سيدنا رسول الله ﷺ لما انتسب إلى معدّ بن عدنان : « كذب النسّابون فيما فوق ذلك »[٥١] ، فقد أباح النويري لنفسه هنا أن يتقصى أنساب العرب منذ عهد آدم ، وقد جعل عمود النسب المحمّدي من آدم في ابنه شيث وأمّه حوّاء[٥٢] . ثم أخذ يسلسل أبناء آدم من شيث ويذكر العقب من كل منهم ، ويرد في سياقة هذه الأنساب ذكر ابن الكلبي وصاحب الشجرة[٥٣] ، حتى يصل إلى سام بن نوح

(٥٠) الكتاب ٢/٢٦٢ .

(٥١) الكتاب ٢/٢٦٢ .

(٥٢) نفسه ٢/٢٧٠ .

(٥٣) لم يصرح النويري باسم مؤلف هذا الكتاب ولعله محمد بن رضوان المتوفى سنة ٦٥٧هـ فقد ذكر صاحب كشف الظنون (١٠٢٧/٢) أن له كتابًا اسمه « الشجرة في الأنساب » .

فيجعله الجدّ الأربعين للرسول عليه السلام ، وهو هنا يعتمد على روايات النّسّابين القدامى ، وأكثرها لا يصحّ .

وبعد أن فرغ من الأنساب القديمة انتقل إلى قحطان وعدنان ، وقسّم العرب إلى أقسامها الثلاثة : عاربة ، ومتعرّبة ، ومستعربة . فالعاربة هي البائدة ، والمتعرّبة هم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم ، والمستعربة هم بنو إسماعيل بن إبراهيم ، وهم العدنانية . وهذا التقسيم هو الذي جرى عليه جلّ النّسّابين .

ثم بدأ بذكر أنساب قحطان على وجه الاختصار ، ومعتمده على الشريف الجوّاني . وقف أولاً عند قبيلة حمير وما تفرّع عنها ، وهو ينقل عن الجوّاني ترجيحه انتساب حضرموت إلى حمير ، وهو قول شيوخه في النسب .

وهو يذهب مذهب بعض النّسّابين في جعل قبيلة صنهاجة البربرية من نسل الهميسع بن حمير ، كما يجعل قضاعة من ولد مالك بن حمير ، خلافًا لمن جعلها معدّية عدنانية .

وحين فرغ من حمير انتقل إلى كهلان فعدّد قبائلها وبطونها وأفخاذها المشهورة ، على وجه الإيجاز . وكان أحيانًا يذكر أسماء بعض الرجال المعروفين في كل بطن ، ولكنه لا يفصّل القول في ذكر الأعلام ، على نقيض ما فعله ابن حزم .

وقد أنهى حديثه عن أنساب اليمن بقول الجوّاني : « وهذه النهاية في اختصار أنساب اليمن ، وقد احتوت على الغاية في حسن إيصال البطون وتبيينها في الترتيب[٥٤] .

وبعد فراغه من أنساب قحطان انتقل إلى عمود النسب النبوي في

---

(٥٤) الكتاب ، ص٣٠٣ .

عدنان بدءًا من فالغ بن عابر بن شالخ حتى وصل إلى إبراهيم الخليل ، وهو عنده الجد الحادي والثلاثون للرسول عليه السلام ، فذكر عقِبه وأبناءه حتى انتهى إلى إسماعيل ؛ وهو يقرّر أن سياقة النسب بين آدم وإسماعيل ، على ما أورده ، صحيحة لا خلاف فيها بين النسّابين ، وذلك نقلاً عن التوراة . والخلاف إنما وقع عندهم فيما بين إسماعيل وعدنان ، ويعلّل هذا الاختلاف بأُمِّيَّة العرب واعتمادهم في معرفة انسابهم على الحفظ والرواية الشفهية . ومن بين الروايات المتعددة يختار الجوّاني رواية كان يعتمدها شيخ الشرف محمد بن أبي جعفر الحسيني العبدلي النسّابة ، وهي منسوبة إلى عبد الله بن عباس ، وهي – عنده – عمدة أكثر النسّابين . وممّن اختارها أبو بكر محمد بن عبده الفقعسي النسّابة الطرسوسي ، وهو يوثّق هذه الرواية على رغم ما أورده من حديث الرسول عليه السلام الآنف الذكر في تكذيب النسّابين حين يعرضون لذكر أنساب من كانوا قبل عدنان .

وحين يصل إلى عدنان يذكر تفرّعها إلى مضر وربيعة وأنمار وإياد ، ثم يذكر قبائل كل منها وبطونها باختصار شديد ، وأنمار عنده التحقت بأنساب اليمن . وقد فصّل بعض التفصيل في الأنساب المضرية بفرعيها : خندف وقيس عيلان ، وحين وصل إلى قريش عدّد بطونها وأفخاذها حتى بلغ الرسول عليه السلام فذكر نسبه كاملاً حتى بلغ به آدم ، وبذلك ينتهي حديثه عن أنساب العرب .

طبع الكتاب بدار الكتب المصرية ، عام ١٩٢٣م وما بعدها ، وقد طبع منه حتى الآن ثمانية عشر جزءًا .

* * *

مصادر البحث :

– الأدفوي جعفر بن تغلب : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد . تح . سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ .

- ابن بشكوال : الصلة . تح . عزة العطار ، القاهرة ١٩٥٥م .
- ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦م .
- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٩م ، القاهرة .
- حاجي خليفة مصطفى الحلبي بن عبد الله : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون طبعة بالأوفست عن طبعة استامبول ، إيران ١٣٨٦هـ .
- ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . حيدر آباد ١٣٤٨هـ .
- حمد الجاسر : مقالة حول كتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٢٦ ص٢٢٣ نيسان ١٩٥١م .
- الخزرجي ، علي بن الحسن : العقود اللؤلئية في تاريخ الدولة الرسولية تح . محمد بن علي الأكوع بيروت ١٩٨٣ .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان . تح . إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٠م .
- ابن رسول ، عمر بن يوسف : طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب . تح . سترستين . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٤٩م .
- ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلى المغرب . تح . شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣م .
- السيوطي جلال الدين : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم جزءان القاهرة ١٩٦٤م .

– ابن عبد البر : القصد والأمم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥٠هـ ، ومعه كتاب الإنباه على قبائل الرواة .

– ابن عميرة الضبي ، أحمد بن يحيى : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، طبعة مصورة عن طبعة مدريد سنة ١٨٨٤م بعناية المستشرقين كوديرا وريبيرا ، مكتبة المثنى ببغداد .

– ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب . القاهرة ١٩٥١م .

– ابن كثير : البداية والنهاية . مطبعة السعادة ، القاهرة .

– نشوان بن سعيد الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . أشرف على طبعه القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني ، القاهرة وبيروت .

– النُويري ، شهاب الدين : نهاية الأرب في فنون الأدب . طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٣م ، وما بعدها .

ألوانٌ من التصحيف والتحريف

في كتب التراث الأدبي المُحقّقة

« محاولة لعرض آفات التصحيف والتحريف على أساسٍ منهجيٍّ تطبيقي »

الدكتور صالح الأشتر

تمهيد

كتب فلوبير في أواخر أيام حياته إلى إحدى أديبات عصره يقول باعتزاز كبير : « إنما نحن ، أعني رجال الأدب ، نحن وحدنا الناس ، وبتعبير أوفى ، إنما نحن وحدنا تراثُ البشرية » وقد عبّر الأديب الفرنسي الشهير بهذا القول عن إيمانه بأنّ التراث الأدبي هو أهمُّ جانب في التراث الإنساني كُلّه ، ولا نحسبه مبالغاً في ذلك ، فالتراث الأدبي في كل حضارة من الحضارات الإنسانية هو مقياس تقدُّمها ورقيِّها ، والتراث الأدبي عند العرب دليلٌ على رفعة الحضارة الإسلامية التي ساهموا في بنائها وازدهارها بأوفى نصيب ، ويطيب لبعض الدارسين لحضارة الإسلام من المستشرقين ، أن يحكموا بأنَّ « المساهمة الوحيدة العظيمة التي ساهم بها العرب في الحضارة الإسلامية هي تراثُهم الأدبيُّ[1] » وفي مثل هذا الحكم مبالغة لا تخلو من غرض يدعو إلى الغضِّ من نصيب العرب الكبير في بناء الجوانب الأخرى من حضارة الإسلام .

ومهما يكن فإن الأمم جميعاً تهتمُّ بالحفاظ على تراثها الأدبيّ ، وتعمل على إحيائه ونشره ، فتسعى دور النشر لديها إلى تقديمه في طبعات أنيقة مُحقّقة ، ومُجلّدات مُذهّبة متسلسلة ، يحرص الناس على اقتنائها في دورهم ومكاتبهم ، وأمّتنا العربية منذ بداية عصر النهضة الحديثة بدأت تستيقظ بعد

---

(١) حضارة الإسلام : لغوستاف غرونيباوم : ص٢٨٨ .

قرون من النوم والخمول والظلام ، وقد هالها أن تجد تراثها الأدبيَّ العظيم لُعبةً في يد الفناء ، فراحت تعمل على إنقاذ ما يُمكن إنقاذه ، وإلى اليوم تُوالي لجان وهيئات علميةٌ في الأقطار العربية إشرافها على عملية إحياء التراث الأدبي ونشره مُحقّقاً مُنقّحاً سليماً من العبث والتصحيف والتحريف والتشويه ، وهي تبذل غاية جهدها في ذلك ، غير أنّ العبء مرهق وثقيل ، ويتطلّب أن تتضافر جهود الجماعة من العلماء المتمكنين على تحمّله ، والجهودُ الفردية في حقل التحقيق والتنقيح تظل قاصرةً ، وهذه الصفحات التي نعرض فيها ألواناً من التصحيف والتحريف ، نقع عليها في كتب التراث الأدبي المحقّقة التي عُني بتنقيحها رجال فضلاء بذلوا غاية مجهودهم في عملهم ، ولم يكن همُّهم فيه أن يفوزوا بكسب ماديٍّ عاجل عن طريق استغلال التراث وتشويهه ، وقد سار أكثرهم في التحقيق على منهج علمي رصين .. هذه الصفحات تشهد بقصور الجهود الفردية وسَهْوها ، وتدعو أن تتآزر الجماعة من الأكفياء في عملية إحياء التراث لتخليصه من آفات التصحيف والتحريف ، وتقديمه إلى القراء في أصحّ صورة وأسلمها .

والفرق بين مُصطلحي التصحيف والتحريف دقيقٌ حتى ليصعب أحياناً التميز الواضح بين مدلوليهما : فكلا المصطلحين تغيير وتبديل في ألفاظ « تتشابه في صورة الخط ، فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف » كما يقول العسكريُّ[1] ، وللتفريق بين المصطلحين نقول :

١ ــ التصحيف ينشأ من رواية الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف ، ففي الكتابة العربية عدد من الحروف لها رسمٌ مشترك ، فإذا أخطأ القارئ بسبب تشابه الحروف في قراءة الكلمة في الصحف ، ولم يكن قد سمعها مشافهةً من أفواه الشيوخ أو قراها عليهم سمّوا خطأه تصحيفاً . وقد بقي الناس في القرن الهجري الأول يكتبون بدون نقط

(١) التصحيف والتحريف للعسكري ١/١ .

ولا شكـل ، فتشتبـه الحروف في الكلمة على القارئ فيُصحِّفها ، وبعد استعمال التنقيط والإعجام لم يتوقف التصحيف أيضاً ، لأنهم « إذا أغفلوا الاستقصاءَ في تنقيط الكلمة وإعجامها وقع التصحيف »[١] . وظل الجهلة من النُسّاخ يعبثون فيما ينسخون ، ويُكثرون من التصحيف فيما ينقلون ، حتى أصبحت مشكلة التصيف كما قدَّمنا من أثقل الأعباء التي تُرهق كاهل المحققين العاملين اليومَ على إحياء تراثنا العظيم .

٢ ـــ وأمّا التحريف فهو « تغيير اللفظ دون المعنى »[٢] وبه يتمُّ تحريف الكلم عن مواضعه وإفساد المراد منه ، ويزوّدنا العسكريُّ[٣] بشاهدٍ على التحريف : فقد أنشد أحدُهم الفرزدق قول ابن أحمر الباهلي[٤] الذي يوصي فيه امرأته بألا تنكح من بعده رجلاً مطروقاً ضعيفاً مُسترخياً ، يطرقه كل أحد لضَعْفه :

فـإمّـا زال سَـرْجٌ عن مَعَـدٍّ وأَجْـدِرْ بـالحوادثِ أنْ تكـونـا
فـلا تَصِـلَيْ بمَطْـرُوقٍ إذا مـا سرى بالقومِ أصبح مُستكينا

فَلَفَتَهُ الفرزدقُ إلى خطئه وقال له : « إذا كان ممّن يسري بالقوم (أي يُسيِّرهم ليلاً ويقودهم) فليس بمطروقٍ ، وإنما هو : إذا ما سرى في الحيِّ ! » ومراد الشاعر : « إن هلكتُ وصرتِ إلى أن تتزوّجي غيري فلا تنكحي رجلاً ضعيفاً إذا ما سار ليلاً في الحيّ أصبح مُسترخياً ، ويقول العسكريُّ : « وهذا من التحريف لا من التصحيف » .

وقد شغلت قضية التصحيف والتحريف قديماً عدداً من الباحثين لخطرها وأهميّتها ، فأفاضوا في بحث جوانبها اللغوية والفكرية والدينية

(١) التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني : ص٢٨ .
(٢) التعريفات للجرجاني : ص٥٥ .
(٣)التصحيف والتحريف للعسكري ١/٩٣ ـ ٩٤ .
(٤) شعر عمرو بن أحمر الباهلي : جمع وتحقيق حسين عطوان : ص١٦١ .

والتاريخية ، وفيما وصل إلينا من أبحاثهم[١] غَناءٌ لمن يريد الإحاطة بالقضية وأسباب حدوثها ، والإلمام بأخبار طائفة من العلماء والأدباء ، ممن لم يسلموا فيما يروون من التصحيف ، فتصدّى لهم من يدلُّهم على أخطائهم ويدعوهم إلى تصويبها .

ولكننا نريد اليوم أن نعرض لأمثلة من التصحيف والتحريف سها محققو الكتب التراثية وطابعوها عن تصحيحها ، أو لم يتمكّنوا من إصلاحها ، فسارت بين القراء بصورها المشوّهة ، وأصبحت تنقل إليهم الوهم والخطأ ، إلى أن يقع عليها بعض النقاد من العلماء أو القرّاء الأكفياء القادرين على اكتشاف التصحيف والاهتداء إلى تصويبه ، فينشروا في الصحف والدوريات الأدبية ملاحظاتهم وتصويباتهم ، ليستعين بها المحققون الناشرون ، ويعملوا على تدارك ما سهوا عن تصحيحه في الطبعات الجديدة .

ولسنا بحاجة في تمهيدنا لتقديم تلك الأمثلة من ألوان التصحيف والتحريف إلى إيضاح غايتنا من وراء جمعها وتصنيفها ، ونحن نكُنُّ أعظم التقدير والاحترام لجهود أولئك العلماء الأفاضل الذين استعرنا الأمثلة من بعض الكتب التراثية التي حققّوها ونقّحوها ونشروها وكان لهم الفضل في إحيائها وانتشالها من يد الفناء والضياع ، وكل ما نرجوه أن تُسهم هذه الصفحات في خدمة التراث وتخليصه من آفات التصحيف والتحريف ، فالمهمة كبيرة وخطيرة ، والعبء ثقيل ينوء بالعصبة أولي القوة ، وما نُقدمه

(١) مثل كتاب التصحيف والتحريف وما يقع فيه للحسن العسكري (ـ ٢٨٢هـ) وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني (ـ ٣٦٠هـ) وقد صدرا عن مجمع اللغة العربية بدمشق ، وفي المزهر للسيوطي فصل وافٍ في (معرفة التصحيف والتحريف) : ٣٥٣/٢ ـ ٣٩٤ وفي الخصائص لابن جني (باب في سقطات العلماء) : ٢٨٢/٣ ـ ٣٠٩ .

جهدٌ متواضع يحاول أن يعرض قضية التصحيف في كتب التراث الأدبي المحققة عرضاً منهجياً تطبيقياً ، يعين على وعي المشكلة وإدراك أبعادها والاهتداء إلى سبيل الخلاص منها ، والله نسأل أن يُسدّد خطانا ، ويجنّبنا مواطن الزلل ، ولئن تمَّ لنا بعضُ ما نرجو من وراء هذا الجهد القاصر كُنّا سعداء به ومحظوظين ، والله من وراء القصد .

— ١ —

حكـايتي مع التصحيف وتقصّي مواقعه في كتب التراث الأدبي حكاية طويلة تدفع بي إلى عرض جانب من تجربتي مع المخطوطات وصلتي القديمة بها وعملي المتواضع في ميدان التحقيق ونشر بعض كتب التراث التي لم تُطبع من قبلُ : فقد شُغفت منذ سنٍ مبكّرة ، وأنا بعدُ طالبٌ في المرحلة الثـانوية بحلب ، بارتيـاد مكتبـة الأوقاف وغيرها فيـها ، لمطـالعـة الكتب المخطوطة في خزائنها وازدادت صـلتي بالمخطوطات مع تقدّم مراحل حياتي ودراسـاتي الجامعية والعليا ، فكنتُ أجدني أقضي السـاعات الطويلة مع نفائس المخطوطات في المكتبة الظاهرية بدمشق ، أو المكتبة الوطنية بباريس ، أو مكتبـة الاسكوريال بضـاحية مدريد ، ثم أتاح لي عملي بعد ذلك في المغرب (١٩٦٤ - ١٩٧٧) أن أقضي أوقاتاً هانئة في مكتباته الغنية بروائع المخطوطات العربية ، وفي مكتبة جامعة القرويّين بفاس خاصـة ، وأفادتني خبرتي المتواضعة بالخط المغربي (من عملي في تحقيق كتاب إعتاب الكتاب لابن الأبّار عن أصـول خطيّة مغربية) فيسّرت لي الانتفاع ببعض تلك النفـائس . أما خزائن المخطوطات في اسطنبول فكـانت زيارتي لها خلال صيف ١٩٤٩ خاطفة[1] ، وكم حاولت أن أعاود زيارتها بعد ذلك ، وأسأل

(١) ولكن الحظ أسعدني بلقـاء الأستـاذ رشـاد عبد المطلب فيها ، وكان يومذاك =

الله أن يُعين على تحقيق هذه الأمنية إذا كان في العُمر متّسع لذلك . وهكذا توثقت الصلة بيني وبين المخطوطات ، ويُخيّل لي أني كنت أحسُّ بأنفاس من كتبوها وأنا أقلّب أوراقها ، وكنتُ أجدني أضطرم ألماً وحزناً عندما أشهد بعض الأوراق في المخطوطة ، وقد فَتَّتَها الزمن ، فعبثت الرطوبة بأطرافها ، ومزّق التآكل جوانب منها ، أو تسلّلتِ الأَرَضَةُ إلى جوانب أخرى فخلّفت فيها أنفاقاً من الثقوب والخروق ، أو عندما تنفرط الأوراق المخطوطة ويتخلخل ترتيبها ، فيختل نسقها ويضيع تسلسلُها ، بسقوط بعض الأوراق أو انخرامها أو انتقالها إلى غير مواضعها ، فإذا كانت الأوراق الساقطة من أوّل المخطوطة ضاع اسمها واسم مؤلّفها بضياعها ، وإذا كانت من آخر المخطوطة ضاع معها اسم الناسخ وتاريخ نسخها .. إلى آخر تلك الآفات التي تفتك بالمخطوطات عبر العصور ، ولكنّ هذه الآفات كلّها لا تكاد تعدل الآفة الكبرى حين يكون ناسخ المخطوطة على حظ من الجهل والغفلة ، فيصحّف ويُحرّف ما ينقل ، وحين تنفرد مخطوطته في البقاء وتغدو النسخة اليتيمة الوحيدة التي تُعتمد اليوم لاستخلاص طبعة محقّقة عنها ، فهاهنا يعاني المحقق ألواناً من المشقة لتقويم ما في الأصل الفريد من تحريف وتصحيف ، وغلطٍ وسقط ، وكان الجاحظ يشكو من مشقة إصلاح التصحيف في كلمة مشهورة يقول فيها : « ولَرُبَّما أراد مؤلّف الكتاب أن يُصلح تصحيفاً أو كلمة ساقطة ، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرّ اللفظ وشريف المعاني أيسرَ عليه من إتمام ذلك النقص ، حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام »[1] فإذا كان الجاحظ نفسه يشكو من صعوبة تصويب التصحيف فكيف يكون حال غيره اليوم من العاملين في ميدان التحقيق إذا

= يُصوّر النفائس المخطوطة لحساب الجامعة العربية ، ونشأت صداقة بيننا أتاحت لي الاستفادة من خبرته الغنية بالمخطوطات إلى آخر عمره ، رحمه الله وأثابه ، وجزاه عني أوفى الجزاء .

(١) الحيوان (هارون) ١/٧٩ .

وقفوا حائرين أمام النصوص التراثية في نسخة خطية وحيدة ولم تسعفهم المظان والمصادر الأخرى في تصويب ما فيها من تصحيف وتحريف وتشويه ، وقد بلوتُ بنفسي شيئاً من ذلك في عملي لتحقيق ديوان خالد بن يزيد الكاتب عن النسخة اليتيمة الفريدة المحفوظة في الظاهرية ، وقد تمكنت من إصلاح عدد كبير من أخطاء الناسخ وعجزتُ عن إصلاح عدد منها على رغم ما بذلتُ من جهد وما أنفقتُ من وقت ، ولا أزال أطمع بالاهتداء إلى تصحيح ما لم يصحح من عويص التصحيف والتحريف ، بالصبر والأناة ، والبحث في المصادر والمراجع والمظان ، قبل أن أعزم على دفع عملي في تحقيق هذا الديوان إلى الطبع[1] . ولا بُدَّ من الاعتراف بأني أحسُّ بمتعة لا حدَّ لها عندما تُطالعني النصوص المخطوطة القديمة بكلمات مُصحفَّة ، فأهتدي حيناً إلى إصلاحها ، أو أقف حيناً حائراً أمامها ، أُقلِّبُ النظر في شتى الاحتمالات الممكنة ، فإذا عجزتُ لم أيأس ، وعمدتُ إلى نقل النص المصحّف نقلاً تصويرياً ، لأُتابع النظر إليه والتفكير فيه أياماً ، قبل أن يحالفني التوفيق في الاهتداء إلى إصلاحه حيناً ، أو أن أُقرّ بالعجز عن تصويبه أحياناً ، وألتمس العون عليه من الآخرين ، ممّن أثق بفضلهم وتمكُّنهم ، وحسن اطّلاعهم ووفرة نصيبهم من الرواية والدراية ، ليجرّبوا حظهم ، فإن لم أجد عندهم ما أرجو ذكرتُ أنّ أحداً من المحقّقين العاملين اليوم على إحياء كتب التراث العربية – وفيهم عدد من العلماء العرب الفحول الذين تفوّقوا في ميدان التحقيق – لا يسلم من القصور والعجز عن تقويم بعض الأخطاء وإصلاح بعض التصحيف العويص والتحريف والتشويه ، وأدركتُ صعوبة المهمة التي كان الجاحظ يشكو منها

(١) كانت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أعلنت عن الديوان وعملي في تحقيقه وجعلته في جملة « الكتب التي ستقدم إلى المجمع لنشرها » منذ عام ١٩٧٤ (المجلة : ٤٩ العدد الأول ص٢٢٤ كانون الثاني ١٩٧٤) .

في عصره ، يوم كان التصحيف آفة عامةً لا يسلم منها الأجلاءُ من شيوخ اللغة وأئمة الحديث ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل : « ومن يَعْرى من الخطأ والتصحيف ! »[١] فإذا لم يكن باستطاعة أحد أن ينجو من الخطأ والتصحيف – مهما يكن حظه من الرواية والدراية والفطنة والذكاء وموالاة الاطلاع والبحث كبيراً – لأنه بشرٌ ، والعصمة لله وحده ، لم نر في قصوره ذاك منقصةً من أفضاله ومزاياه : ويوم كان الدكتور طه حسين يجهل وجود كتاب للمبرّد اسمه (الفاضل) صدر قبل أشهر عن دار الكتب المصرية بتحقيق العلاّمة الميمني الراجكوتي ، وقرئ عليه إعلانٌ في الصحف القاهرية عنه ، غُمَّ عليه أمرُه ، وذهب به الظن إلى أنه كتاب (الكامل) المشهور للمبرّد ، وحكم بوقوع التصحيف ، وقال في محاضرة له في مؤتمر المجامع العلمية العربية بدمشق عام ١٩٥٦ بأسلوبه الساخر آخذاً على الصحف جهلها وتصحيفها : « والكتاب – في الصحف – **لا يُسمى الكامل بل يُسمّى الفاضل** ! وقد يكون للمبرّد كتاب اسمه الفاضل ، ولكني أعترف أنني لم أقرأه ولم أسمع به قبل اليوم ! »[٢] وعندما قيل للدكتور طه حسين بعد المحاضرة إن كتاب الفاضل للمبرّد وصلت منه نسخٌ إلى دمشق اعترف ثانية أنه لا يعرف شيئاً عنه[٣] ! .

وكان القدماء يردّدون القول « لا أعلم نصفُ العلم » والمحققون العاملون اليوم على إحياء كتب التراث ونشرها يُصوِّبون ما يستطيعون تصويبه من الأخطاء وعويص التصحيف ، ويَدَعون ما لم يقدروا على إصلاحه ، بعد معاناة المشقة وبذل أقصى الجهد ، لعلّ في القراء والنقّاد بعد

(١) المزهر : ٣٥٣/٢ .

(٢) مجلة الآداب (البيروتية) : العدد الحادي عشر لعام ١٩٥٦/ت ٢ ص٧٣ .

(٣) هذا الاعتراف بحد ذاته فضيلة ، وسأشير إلى موقف العلماء المصحِّفين من التنبيه على تصحيفهم فيما بعدُ : (الفصل : ١٢) .

صدور الطبعات الأولى ، من يكون أقدرَ على الاهتداء إلى الصواب فيها ، ليتمّ استدراك ما يرون استدراكه في الطبعات التالية ، حتى يتمكّن الكتاب التراثي العربي من التخلص من تلك الآفات التي أصابته بأيدي الناسخين الماسخين قديماً ، والطّابعين الجاهلين حديثاً ؛ والعمل في إحياء التراث جهدٌ دائب ومستمر ، ولن يحقّق ما يُرجى منه إذا لم يتّصف العاملون فيه بالسماحة والتواضع ، ولم يُرحّبوا بما يُقدّمه النقدُ إليهم من توجيه وتقويم .

— ٢ —

والحقُّ أن بين القُرّاء – على اختلاف مستوياتهم الثقافية والفكرية – من يهتدون إلى أوجه الصواب في كثير من أخطاء التصحيف والتحريف التي يسهو المحققون البارعون عنها أحياناً ، أو يعجزون عن إصلاحها ، ذلك أن ذهن المحقق يتّجه حيناً في قراءة الكلمة المصحَّفة وجهة واحدة ضيِّقة لا يكاد يتجاوزها إلى غيرها ، فتظلُّ الصورة الصحيحة بعيدةً عن دائرة رؤيته ومجال تفكيره ، فإذا عُرضت الكلمة على قارئٍ خالي الذهن اهتدى بيُسر إلى وجة الصواب فيها ، من غير إعمال فكره فيها ، وتلك ظاهرة عرفتُها وأفدتُ منها في قراءة النصوص المخطوطة ، وقد لَفَتني إليها ما كنت أراه من عَرْض الأساتذة المستشرقين على طلبتهم لصور صفحات من المخطوطات التي كانوا يعملون في تحقيقها وإعدادها للنشر ، وقد اتّفق لي في أول درس حضرته في الدراسات العليا على المستشرق الكبير الأستاذ بلاشير في السربون ، أني دخلت القاعة فوجدت الأستاذ يتصدّر المجلس وحوله الطلبة الذين يعملون تحت إشرافه ، من العرب والمستعربين ، فجلست حيث انتهى بي المجلس ، وكان الأستاذ يدفع إلى الطلبة أوراقاً مصوَّرة ليقرؤوا ما يُريده من سطورها ، وقرأ غير واحد منهم هذه العبارة : « وكان يهوى جارية **لمعين** » وشرح بعضهم ما قرأ بقوله : « لرجلٍ مُعَيَّنٍ » وقرأتُ أنا

بتوفيق من الله – لسابق صلتي بالمخطوطات والتصحيف فيها – « لِمُقَيِّنٍ » وقلتُ : هو بائع القيان والجواري ، فتهلّل وجه الأستاذ لقراءتي ، واستدناني منه ليسألني عن اسمي وبلدي والجامعة التي أوفدتني ، وكان تصويبي للكلمة المُصحَّفة فاتحة خير لكل ما لقيتُ من عنايته وعونه لي من بعد ، مما سأظلّ أذكره دائماً بالتقدير والشكر والعرفان .

ولا أحسبني بحاجة إلى تقديم الشواهد الكثيرة على صحة الظاهرة التي ذكرتُها ، وأكتفي بمثال واحد نقع عليه في (نظرات الأخ الصديق الدكتور شاكر الفحام في ديوان بشار) الذي شرحه وحقّقه الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور[1] ، وفي تلك النظرات ما شئتَ من جُهدٍ كبير وعلمٍ غزير ، ومقدرةٍ على معرفة المصحّف والاهتداء إلى تصويبه ، وقد بذل فيها صاحبُها وُسْعَه واستفرغ مجهوده ، كما يقول بحقٍ في مقدّمته لتلك النظرات[2] ، ونقف عند النظرة (١٥٩) لنقرأ بعض ما جاء فيها :

« قال بشار في هجاء بني زيد : (الديوان : ٨٧/٣)

إذا الليلُ غطّاهم **غَدَوا** تحتَ ظِلِّهِ وأثوابُهم **مسحورةٌ** لِفَسادِ

كتب « غدوا » بالغين المُعجمة ، و« مسحورة » بالسين المهملة والحاء : ولعلَّ صواب الأولى : « عَدَوْا » بالعين المهملة ، والمعنى : جروا وسَعَوْا في الفساد ، مُتَسَتِّرين بظُلمة الليل . ولم أهتد إلى وجه الصواب في الثانية « مسحورة »[3] .

لقد أدرك الدكتور الفحّام بثاقب نظرته وذوقه اللغوي والأدبي أنّ في البيت تصحيفاً في كلمتي (غَدَوْا) و(مسحورة) واهتدى إلى إصلاح التصحيف في الأولى ، ولم يهتد إلى إصلاحه في الثانية ، مع أن وجه

(١) ديوان بشار بن برد (ط القاهرة ١٩٥٧) .

(٢) نظرات في ديوان بشار (ط : ٢ دمشق ١٩٨٣) ص٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٩ – ١٥٠ .

الصواب في الثانية أقربُ وأظهرُ ، لو لم يكن الذهن غافلاً عن ملاحظته ، وهو (محسورةٌ) ، تقول : حَسَرَ الثوبَ وحَسَرَ عنه إذا كشفه ، وهنا يزداد معنى البيت اتّضاحاً ، وتتألق صنعة بشار في الطباق بين الليل وقد ستر بني زيد وغطّاهم ، وثيابهم التي كشفوها وحسروها عنهم ، وهم ماضون في الرِّيبة ومنهمكون في الفساد ! وليس في (مسحورة) غيرُ تقديم السين على الحاء ، وهو تحريف مألوف يكثر النساخ من الوقوع فيه ، وفي نظرات الدكتور شاكر الفحام في ديوان بشار أكثر من مثال على تصويب هذا اللون من التحريف في كلمات الديوان ، ففي النظرة (٣٥) ينقل بيت بشار : (الديوان : ١/١٨٠) :

تَكَلَّفُ إرشادي وقد شابَ مفرقي وحمَّلني أهلي فليس أُريبُ

الذي يتحدث فيه عن ناصحة له تريد له أن يرعوي عن جهل الصبا ، ويقول : « والصحيح أن كلمة (حمّلني) محرّفة صوابُها (حلّمني) بتقديم اللام على الميم ، من الحلم ، وهو تعبير شائع في كلام العرب وأشعار السابقين المتقدّمين ، قال في اللسان : حلّمه تحليماً : جعله حليماً إلخ ... »[1] وفي النظرة (١٨٥) ينقل قول بشار في رثاء صديقين له : (الديوان : ٣/١٥٥) :

قد كنتُ أرجو مع الرّاجي إيابَهما حتى أقاما على رَغْمي بمَخْلُود

ويقول : « كتب (بمخلود) : بالخاء المعجمة تليها اللام ، والصواب : (بملحود) باللام تليها الحاء المهملة ، ... وقال في الأساس : « وقبروه في لحدٍ وملحود »[2] وفي هذا المثال يلتقي التحريف والتصحيف في الكلمة ، وتزداد مهمة المحقق في الاهتداء إلى وجه الصواب فيها صعوبة وعُسراً ، ليبينَ فضلُه وإحسانه .

(١) المصدر السابق : ٦٨ .
(٢) المصدر السابق : ١٦٣ - ١٦٤ .

- ٣ -

غير أن الحكم بوقوع التصحيف في النص وتحديد موضعه فيه أمرٌ ليس باليسير الهيِّن دائماً ، فهو يتطلّب حيناً قدراً من البصيرة النافذة والدراية الواسعة والذائقة اللغوية والأدبية ، كيلا يخطئُ المحقق فيصحّف غير المصحَّف ، وقد ألفنا من كثير من العاملين في ميدان التحقيق أن يغفلوا أو يتغافلوا عن ملاحظة التصحيف أو التحريف في بعض ما ينشرون ، وبعضهم من ذوي الكفاية والتجربة الكبيرة في تحقيق المخطوطات ونشر كتب التراث ، وليس لهم من عذر في غير العجلة ، ولولاها لكان في وسعهم أن يُنبِّهوا إلى ما غفلوا أو تغافلوا عن ملاحظته ، ولبذلوا ما يستطيعون من جهد في إصلاحه ، فإن عجزوا اكتفوا بالتنبيه على الخطأ ، وتركوا للنقّاد والقراء أن يشاركوا في محاولة تصحيحه ؛ وفيما يلي أمثلة على هذا اللون من التصحيف والتحريف أهمل المحقّقون التنبيه عليه فيما نشروه من كتب التراث الأدبي ، وكلهم من العلماء المتمكّنين الأفاضل المعروفين بإخلاصهم في خدمة التراث والعمل الجاد على إحيائه ونشره :

١ - في (وفيات الأعيان) لابن خلّكان (٤٢٠/١) بتحقيق الدكتور إحسان عباس نقرأ : « بشار بن بُرد وهو من الشعراء مُخضرمي الدولتين العباسية والأموية ، وقد **شَرَّفهما** ومدح وهجا وأخذ الجوائز السنيَّة مع الشعراء » ويُعلِّق الناقد الدكتور علي جواد الطاهر على النص (ملاحظات على وفيات الأعيان : ٢٨) بقوله : « إنّ كلمة شرّفهما غير واضحة ، وفي غير مكانها ، فما ورد يوماً أن شاعراً شرَّف دولةً ، فلا بُدَّ - إذاً - من وقوع تحريف في الكلمة يحسن التنبيه عليه ، إن استحال تحديده وتصحيحه » ولكن المحقق لم ينتبه إليه ولم يُنبّه عليه ، وتصحيح التحريف لم يكن مستحيلاً ، ففي رجوعنا إلى ترجمة بشار في كتاب الأغاني (دار : ١٣٥/٣) نقع بيُسر على الأصل الذي نقل ابن خلكان عنه

وفيه التصحيح « وقد شهِرَ فيهما » والأغاني من أهمّ مصادر ابن خلكان في وفياته !

٢ – وفي كتاب (أبو العتاهية : أشعاره وأخباره) ص٤٢٣ بتحقيق الدكتور شكري فيصل نقرأ هذا البيت للشاعر في الحكم :

يُكـرمُ المـرءُ وإنْ أمْـ ـلَقَ أقصـاهُ بَنُـوهُ

وفيه تصحيف لم ينتبه المحقق إليه ولم يُنبِّه عليه وتصويبه : يُكرم المُثري ... كما في (شرح المقامات للشريشي : ٦٦/١) وبهذا التصويب يبرز المعنى ويتألّق الطباق بين الثراء والإملاق ، ولا حجة بورود البيت مُصَحّفاً أيضاً في الطبعة المحقّقة من كتاب (المزهر) : ١٥٧/١ برواية ابن دريد ، فقد رجعنا إلى مخطوطة (تعليق من أمالي ابن دريد) المكتوبة في دمشق عام ٦٤١هـ والمحفوظة في الخزانة العامة بالرباط : ص٨٦ فوجدنا بيت أبي العتاهية فيها سليماً من التصحيف ! .

٣ – وفي (ديوان الخالديين) ص١٤٥ – ١٤٦ الذي جمعه وحقّقه الدكتور سامي الدهان نجد هذه الأبيات لأبي عثمان الخالدي منقولةً عن (يتيمة الدهر للثعالبي) و(معجم البلدان لياقوت) :

قمرٌ بديرِ المَوْصِلِ الأعلى أنا عبدُهُ وهَواهُ لي مَوْلى
لَثَمَ الصليبَ فقلتُ من حَسَدٍ قُبَلُ الحبيبِ فَمِي بها أوْلى
جُدْ لي بإحداهُنَّ كي **يحيا بها** قلبي فَحَبَّتُهُ على المَقْلى

وصدر البيت الثالث مكسور ، ولم يفطن المحقق إلى كسره ، واكتفى بالإشارة إلى أن رواية ياقوت للبيت :

جُد لي بإحداهن **تحويها** قلبي ....

ولم ينتبه إلى التصحيف في كلمة (تحويها) وصوابه (تَحْوِ بها) والفعل مجزومٌ بجواب الطلب ، والمعنى : تمتلكْ بها قلبي ، ورواية ياقوت

تشير إلى زيادة (كي) في رواية اليتيمة ، وبإسقاطها يتَّزن الصدر أيضاً ويعتدل بوقوع الجزم على الفعل :

جُد لي بإحداهُنَّ يَحْيَ بها قلبي ....

وقد سها محقّقو اليتيمة عن تصحيح وزنه[1] ، كما سها عنه ناقد الديوان الأستاذ محمد عبد الغني حسن في مقالته القيمة التي صحّح فيها عدداً من أخطاء التصحيف والتحريف فيه[2] .

٤ – وفي (ديوان ديك الجن الحمصي) ص١٠٧ الذي جمعه وشرحه الأستاذان عبد المعين الملوحي ومحيي الدين درويش نجد هذين البيتين في وصف نُحول جسم العاشق ، منقولين عن (ديوان المعاني) و(محاضرات الأدباء) :

أَنْحَلَ الوجدُ جسمَهُ والحنينُ وبَرَاهُ الهوى فما يَسْتَبينُ
لم يعِشْ أنّه جليدٌ ولكنْ دقَّ جدّاً فما تراهُ **العُيونُ**

ولم ينتبه جامعا الديوان إلى التصحيف في كلمة (العيونَ) وصوابه (المَنُونُ) كما نقع عليه في نهاية الأرب (٢/٢٦٠) وهذا الكتاب من مصادرهما في جمع شعر ديك الجن ، فقد نقلا عنه ثماني مرات[3] ، وفَاتَهما العثورُ على البيتين فيه ، وجاء في شرحهما لهما : « لقد أنحل الحبُّ والشوقُ جسم هذا العاشق وبَرَاه (وَبَرياه ؟) وإذا كان ما يزال يعيش فما ذلك لأنه قوي قادرٌ على الحياة ، ولكن لأنه يختفي عن عيون الموت ، فلا تراه من نُحوله ! » وبتصحيح التصحيف يبرز الطباق بين الحياة والموت (العيش والمنون) ويستغني الشرح عن التأويل واستعارة العيون للموت .

(١) انظر طبعة الصاوي (مصر : ١٩٣٤) : ٢/١٨٦ ، وطبعة الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر : ١٩٤٧) : ٢/٢٠٦ .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : ٤٥/٦٩٠ ــ ٦٩٦ .

(٣) انظر ديوان ديك الجن : ٢٩ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ .

٥ – وفي (رسائل الجاحظ) ١٦/١ بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون يقول الجاحظ في رسالته (مناقب الترك) على لسانهم : « ونحن الذين ذكرَنا وذكر بلاءَنا إمامُ الأئمة ، وأبو **الخلائق** العشرة محمد بن علي ، حين أراد توجيه الدُّعاة إلى الآفاق .. » ففي كلمة (الخلائق) تصحيف لم ينتبه المحقق إلى وقوعه فيها ، وتصويبه (الخلائف) ، لأن الجاحظ الذي كتب هذه الرسالة في عهد المعتصم ، ثامن الخلفاء العبّاسيين يقول فيها (ص : ٣٦) : « هذا كتاب كنتُ كتبتُه أيام المعتصم بالله ، رضي الله عنه ، فلم يصل إليه لأسباب يطول شرحُها » وقد قدّمها من بعدُ إلى الفتح بن خاقان في عهد المتوكل عاشر الخلفاء العباسيين ، وكان الفتح قد أصبح أهمَّ رجال ذلك العهد وأشهرهم ، وكتب الجاحظ مقدّمات الرسالة من جديد في عهد المتوكل ، ومحمد بن علي يومذاك والد عشرة من الخلفاء : من السفّاح إلى المتوكل ، فوصفه بأنه « أبو الخلائف العشرة » ولم ينتبه المحقق إلى ذلك كله وعلّق في الحاشية بقوله : « محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، والد السفّاح والمنصور ، أول من نطق بالدعوة العباسية ، توفي سنة ١٢٥هـ » فدلّل بذلك على أن التصحيف الواقع لم يكن من قبيل الأخطاء المطبعية التي سها المراجعون عن تصحيحها .

٦ – وفي (كتاب الصناعتين) لأبي هلال العسكري (ص٣٧٤) بتحقيق الأستاذين علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم نقع على مثالين للتحريف لم ينتبه المحققان الفاضلان إلى وقوعه فيهما ، وأولهما في قول بعض المحدثين في وصف القِصَر :

وقصيرٍ لا تعملُ الشـ ـمسُ ظِلًّا لِقامَتِهْ
يعثرُ الناسُ في الطريـ ـقِ به من **دَمَامَتِهْ** !

وفي (دمامته) تحريف تصويبه (قَماءَتِه) والقماءةُ في القامةِ الصِّغَرُ والقِصَرُ ، وبهذا التصويب يستقيم معنى البيت الثاني ويظهر ارتباطه بالبيت

الأول : فالموصوف فيهما قصيرٌ مفرط في قصره ، لا تكاد الشمس ترسم لقامته ظِلاً ، والناس في الطريق لا يرونه من فَرْطِ قصَرِه وضآلة جرْمه فيعثرون به ! أما (الدمامة) فهي قاصرة عن تفسير أسبابِ تعثر الناس به في الطريق ، إلاّ بتأويلٍ بعيد !

والتحريف الثاني في قول آخر في الإفراط في صفةِ عِظَم الأنف :

لقد مَرَّ عبد الله في السُّوقِ راكباً   له **حاجةٌ** من أنفِه ومُطَرِّقُ
فأقْذِرْ بهِ أنفاً وأقْذِرْ بَرَبِّه   على وجهه منهُ كنيفٌ مُعَلَّقُ

ففي (حاجة) في عجز البيت الأول تحريفٌ ، وتصويبُه (حاجِبٌ) وبه يتَّضِح معنى البيت : فعندما يجتاز عبد الله بأنفه الكبير ، الأسواق المزدحمة بالناس ، وهو راكبٌ على دابته ، لا يكون بحاجةٍ إلى حاجب له من حاشيته ، يسير أمامه ، وينبِّهُ الناس ليفسحوا المجال لمروره ، فأنفُه العظيم ينتصبُ أمامه ، حاجباً ومُطَرِّقاً ، والمُطرِّق هو الذي يمشي أمامه ليوسِّع له الطريق ويدفع عنه المارّة والزحام !

٧ - وفي (البصائر والذخائر) للتوحيدي (القسم الثاني من المجلّد الثالث : ٦٣٣) بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني نقرأ قول أحدهم للحسن البصري : « إنّك تريد الحجَّ ، وأنا أُريدُ ، أفأصحبُكَ ؟ فقال الحسن : دعنا نتعايش **بعيش الله** ، إني أكره أن نصطحب فيرى بعضُنا من بعضٍ ما نتماقَتُ عليه ! » وفي قوله تصحيفٌ صوابهُ (بستر الله) ، وقد أورد الثعالبي في (ثمار القلوب) : ص٣٢ في كلامه على (سِتْر الله) جواب الحسن البصري سليماً من التصحيف .

٨ - وفي (ثمار القلوب) هذا (ص : ٢٢٥) بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم يقول الثعالبي في كلامه على (طبع البحتري) : « ومِمَّن ضربَ المثل بطبعه السَّلاميُّ ، حيث قال :

وأُعطيتُ طبعَ البحتريّ وشعرَهُ   فمن لي بمالِ البحتريّ **وغَمْرِهِ** »

وأورد المحقق (غَمْرَهُ) بالغين المعجمة المفتوحة فدلّل بذلك على أنه لم يفطن إلى التصحيف في الكلمة ، وتصويبُه (وعُمْرِه) بالعين المهملة المضمومة ، والبيت سليم من التصحيف في (يتيمة الدهر) للثعالبي (٤٢٩/٢) مؤلف (ثمار القلوب) نفسه ، ففي البيت يتمنى السَّلامي أن يُرزق غنى البحتري وطُولَ عُمره ، بعد أن وُهبَ طبع البحتريُّ في شعره ، وكان البحتري يتكسّب بشعره ، حتى أصبح من كبار الأثرياء في عصره[١] ، وامتدَّ عُمره حتى ناهز الثمانين[٢] ، ولم يمت حتى ماتت نعمة الترف في عينيه !

٩ - وفي (رسوم دار الخلافة) لهلال الصابئ : ص٦٤ بتحقيق الأستاذ ميخائيل عواد ، نجد بيتاً من قصيدة للصاحب إسماعيل بن عبّاد ، يمدح بها عضد الدولة البُويهيَّ ويذكر فيها هزيمة أبي تغلب الحمداني[٣] أمير الموصل وديار ربيعة ، وهو :

ضَمَمْتَ على أبناء تغلبَ تَأْيَها فتَغْلِبُ ماكرَّ الجديدانِ تُغْلَبُ

واكتفى المحقق بالتعليق على كلمة (ضممتَ) بقوله : « لعلّها هجمت » فدلل بذلك على سهوه عن التصحيف الواقع في كلمة (تأيها) وتصويبه (تاءَها) والمعنى : بانتصارك يا عضد الدولة على بني تغلب

---

(١) فاض كسب البحتري من شعره حتى أصبح يملك الضياع الكثيرة (أخبار البحتري : ١١٩ ــ الخبر : ٦٦) ويركب عند مسيره في موكب من عبيده (العمدة : ١٧٧/٢) .

(٢) من عام (٢٠٦ إلى ٢٨٤هـ) : أخبار البحتري : ١٩١ ، ووفيات الأعيان : ٨١/٥ .

(٣) هو فضل الله بن ناصر الدولة المقتول عام ٣٦٩ وتفصيل مصرعه في هذا العام في (الكامل) لابن الأثير .

الحمدانيين ضممتَ حرف التاء في (تَغْلِب) فصارت (تُغْلَبُ) دائماً ، والبيت شاهدٌ على ولع الصاحب بالصنعة ، وقد شُهر بذلك .

وفي هذه الأمثلة التي قدّمناها في الفقرات التسع السابقة لونٌ من التصحيف والتحريف يَغفل المحقّقون عن ملاحظته والتنبيه عليه ، أو يتغافلون عن ذلك عندما تحول العجلةِ دون الاهتداء إلى وجه الصواب فيه ، والخطر الكبير هنا في تعميم الخطأ ونشره وسيرورته عند الكثرة الكاثرة من القُرّاء ، وهم يحسبونه سليماً فلا يحتاطون في قبوله ، ولو أنهم وجدوا تنبيهاً عليه من المحقّق لاحتاطوا ، وشارك بعضُهم في بذل الجهد لتصحيحه وإصلاحه .

٤

إن تنبيه المحققين على وقوع التصحيف أو التحريف في النصوص التي ينشرونها ، عندما تعجز جهودهم عن الاهتداء إلى الصواب ، من أهم الواجبات في أصول التحقيق على أسس علمية منهجية ، ويكون التنبيه بطريقة ما : كإفراد تعليق له في الحاشية ، أو الاكتفاء بكتابة كلمة (كذا) أو بوضع علامة التعجب (!) إلى جانب المُصحَّف أو المحرَّف ، وبهذا التنبيه يعلن المحقق قصوره ، بعد بذل قصارى جهده ، وقد أدّى الأمانة على قدر طاقته ، وترك للقراء أن يشاركوا في البحث ويحتاطوا من قبول الخطأ وسيرورته بينهم ، وفيما يلي أمثلة على هذا اللون من التصحيف والتحريف ، نختارها من كتب تراثية محققة بإشراف المجمع بدمشق ، وصدرت في جملة مطبوعاته :

١ - في (كتاب أخلاق الوزيرين) للتوحيدي (ص : ٢٩٢) بتحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، يتحدث عن القُضاة بقوله :

« ألا تراهم كيف يُوسِّعون أكمامَهم ، ويُعرِّضون جيوبَهم .. ألا ترى إلى دَنِّياتِهم **وقرامعتهم** وقلانِسهم وعمائِمهم » ويكتفي المحقق بالتعليق على كلمة (قرامعتهم) بقوله في الحاشية : « كذا الأصل » لِيُنبِّه قارئه إلى التصحيف فيها وقصوره عن تصويبه !

والحق أن كتاب (رسوم دار الخلافة) للصابئ يُقدِّم التصويب ففيه وصفٌ للدَّنِّيَّاتِ والقَراقِفات التي يلبسها القضاةُ في العهد العبّاسي « وقد تُركت في زماننا ، وعُدِل إلى العمائم السود المصقولة » كما يقول الصابئ في كتابه (ص : ٩١) فالتصحيف تصويبه (وقَراقِفَتِهم) ، والكلمة جمع الجمع لقَرْقَفَة الآرامية ، وهي قلنسوة ضخمة من ملبوس الفقهاء والقضاة في عهد العباسيين[1] ، ويبدو أنها لم تكن مقصورة عليهم ، فقد شوهد الشاعر البحتري عندما جاء لزيارة صديقه المبرّد ، و« على رأسه قرقفةٌ ، وعلى كتفه طيلسان أخضر[2] » كما ينقل ذلك الزبيدي في طبقاته (ص : ١١٤) بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم ، وجاءت الكلمة عنده مصحَّفة إلى (**فرافقة**) وعلّق المحقق عليها في الحاشية : « كذا في الأصل ، ولم أتبيَّن وجه الصواب فيها ! » وعندما نقلنا خبر الزبيدي في حواشي كتاب (أخبار البحتري) اعترضنا التصحيف في الطبعة الأولى الصادرة عن المجمع عام ١٩٥٨ فاجتهدنا في تصحيحه ، ولم نُصب ، ثم صوّبناه في الطبعتين التاليتين للأخبار[3] ، بعد الاطلاع على (رسوم دار الخلافة) الصادر في بغداد عام ١٩٦٤ ، كما

---

(١) رسوم دار الخلافة : ص٩١ الحاشية : ٣ ، ويُحيلنا المحقق على (دليل الراغبين في لغة الآراميين : ص٧٠٩) .

(٢) أخبار البحتري للصولي : الخبر الأول وحواشينا عليه .

(٣) طبعة ثانية في دار الفكر بدمشق (١٩٦٤) وطبعة ثالثة في دار الأوزاعي ببيروت (١٩٨٧) .

أخطأ وجه الصواب الدكتور عزة حسن في اجتهاده لإصلاح هذا التصحيف في تحقيقه لكتاب (التلخيص) لأبي هلال العسكري إذ جاء فيه : « **والعرافقة** ، وهي التي يلبسها الخُطباءُ والقضاةُ مُعَرَّبة ». (١/٢٠٥) فصوّبها المحقق : « والقراطفُ » وعلّق على الكلمة بقوله في الحاشية : « في الأصل المخطوط : العرافقة ، ولم أجدها في كتب اللغة ، ونراها تصحيفاً للقراطف جمع قرطف ، وهي القطيفة المخملية ! » وهكذا يشارك عدد من المحقّقين في محاولة الاهتداء إلى تصويب تصحيف ما ، ولولا تضافر جهودهم لما أصابوا وجها الصواب فيه .

٢ – وفي (كتاب الاختيارين) للأخفش الأصغر : (ص : ٣٠٦) بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة نقرأ للنظّار الفَقْعَسي[1] من قصيدة يصف فيها فرسه :

له شَظًى لا عيبَ فيه مِن شَظًى هُيِّى لِلجَرْيِ ومَتْنٌ رَيَّانْ
إلى عُجاياتٍ له مَلْكُوكَةٍ في دَخَسٍ دُرْمِ الكُعوبِ **اتان**

ويُعلق المحقّق على الكلمة الأخيرة بقوله في الحاشية : (كذا « اسان » في ع و ل – يعني مخطوطتي صنعاءَ ولندن – ومثله في اللسان (لكك) . م : « أفنان » – يعني ما نُشر في الهند بعنوان : « نُخبة من كتاب الاختيارين » ولعلَّ الصواب : « إبنان » وهو جمع بنّ : الطرق من الشحم ، ويُكنى به عن القوّة ؛ وربما كانت « أبيان » جمع بَيِّن ، وهو الواضح ، أو « إثنان » أي بعضها يُشبه بعضاً في مرأى العين .)

وفي هذا التعليق المُطوَّل الدليلُ على أن المحقق بذل غاية جهده في اجتهاده للكشف عن الكلمة الغامضة ، بأحرفها التي فقدت نُقطها في الأصلين المخطوطين ، وترك للنقّاد والقراء أن يشاركوا في محاولة الاهتداء

(١) شاعر إسلامي من بني فقعس ، من أسد : الأعلام : ٨/٣٦٠ .

إلى وجه الصواب فيها ، وهو (أُتْنان) جمع تِنّ : وهو المِثْلُ والشَّبيهُ ، وقصيدة النظّار الفَقْعسي - أو القسم الأكبر منها - نجدها مع شرح مفرداتها ومعانيها في (كتاب الفصوص) لصاعد البغدادي ، وقد وصل إلينا منه نسختان خطّيتان[1] ، وفيهما شرح صاعد للبيتين ، ويصف الشاعر في ثانيهما عجايات فرسه أي قوائمه فيقول إنها قويةٌ وصلبة (ملكوكة) ومتشابهة (أُتْنان) بلحمها المكتنز (الدخيس) والكعوب المغطّاة باللحم (وهي الدُّرْم) وبوقوعنا على البيت وشرحه في كتاب الفصوص تمَّ لنا إيضاح الكلمة الغامضة وتصويب التصحيف فيها .

٣ - وفي (ديوان ابن أبي حصينة) : ٣٠٣/١ بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس نجد هذا البيت :

أيُّها القلبُ لم يَدَعْ لكَ في وَصْـ ـلِ العَذارى نِصْفُ الهَبيدَةِ عُذْرا(!)

وعلامة التعجب في آخر البيت وضعها الحقق واكتفى بها عن إعلان حيرته أمام غموض معناه وتحديد موضع الغموض فيه ، وترك للنقّاد والقراء أن يحاولوا بدورهم كشف غموضه .. وكذلك حار ناقد الديوان (الأستاذ رشدي الحكيم) في مقالة له في مجلة المجمع (٤٨١/٣٣) في تصحيح البيت وفهم معناه وعلّق عليه بقوله : « لعلّه النَّصف بفتح النون من تنصّف الشيبُ إذا كان والسواد نصفين ، والهبيدة حبُّ الحنظل كناية عن الشيب » وعلّقت لجنة المجلة عليه : « لم نجد هذه الكناية في كتاب ، ويظلُّ المعنى غامضاً ! » وقد ظل المعنى غامضاً حتى أُتيح لناقدٍ آخر وهو العالم المغربي الجليل الأستاذ عبد الله كنون أن يوضّحه بحكمه بوقوع التصحيف في كلمة (الهَبِيدة) وتصويبه (الهُنَيْدَة) ، وهي اسمٌ للمائة

(١) نسخة القرويين والنسخة الكتانية ، والثانية في جزأين كتبت عام ١٢٥٨هـ .

من الإبل وغيرها ، وقوله « نصفُ الهُنيدَة في بيت ابن أبي حصينة معناه خمسون سنة ، وهي التي لم تدع له عذراً في وصل العذارى » (مجلة المجمع : ٦٩٦/٣٣) وقد أصاب الأستاذ كنون في تصويبه ، وفي الأغاني (دار : ١٩٣/١٤ – ١٩٤) خبرٌ عن أحمد بن المكي قال : « غنّيتُ المتوكل صوتاً ... فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فقلتُ : يا سيدي أسألُ الله أن يُبلِّغَكَ الهُنَيْدَة ، فسأل عنها الفتح [بن خاقان] فقال : يعني مائة سنة ، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى » .

٤ – وفي القسم المطبوع من كتاب (قطب السرور) لابن الرقيق القيرواني : (ص٤١٣) بتحقيق الأستاذ أحمد الجندي نقرأ : « وقال الصنوبريُّ :

شَرِبْنا في **بَغَادينِ** على تلكَ الميادينِ
على ضحكِ الهزاراتِ على نَوْح **الشّنانينِ** »

ونجد المحقق وقد تفطّن إلى وقوع التصحيف في كلمتي (بغادين) و(الشنانين) فأفرد لهما حاشيتين ، فقال في الأولى : « لم نعثر على كلمة بغادين ، وقد يكون الشاعر قصد بغداد » وقال في الثانية : « كذا في الأصل » ولم نعثر على أصل هذه الكلمة ، وقد تكون السّعانين (بالسين والشين) وهو عيد عند النصارى قبل الفصح بأسبوع » ولم يُصب المحقق توفيقاً في اجتهاده لتصحيح الكلمتين المُصَحَّفتين ، وتصويبهما (بَعَاذِين) و(الشُّفَانين) : فأما (بَعَاذينُ) فهي قرية من قرى حلب ، كما يذكر ياقوت في (معجم البلدان : ٤٥٢/١) وينقل لنا بيت الصنوبري سليما من التصحيف ؛ وأما (الشفانين) فهي جمع لِلشّفنين ، وهو ضربٌ من الحمام ، وفي (الديارات) للشابشتي (ص١٤٣) بيت للصنوبري في وصف دير زكّى :

صاح فيه الهزارُ ناحَ به القُمْـ ـريُّ غنّى في جَوِّه الشُّفنينُ

وقصيدتُه في (بعاذين) كانت من مشهور شعره في حياته ، وذكروا أن المتنبي لقيه ذات يوم فسأله : « أنتَ صاحبُ بعاذين ؟ » (العمدة : ٨٣ – ٨٤) والقصيدةُ كلُّها كما تقول مجلة المجمع (١١/٣٣) في (جمهرة الإسلام) للشيزري .

٥ – وفي (كتاب العرب أو الردّ على الشعوبية) لابن قتيبة الذي نشره الشيخ جمال الدين القاسمي ، وضمّه الأستاذ محمد كرد علي إلى غيره من (رسائل البلغاء) من اختياره وتصنيفه ، يقول ابن قتيبة (ص : ٣٧٠) في الردّ على الشعوبية :

« وأمّا أكلُهم باليارحين والسكّين فَمُفسدٌ للطعام ، ناقصٌ لِلَذّتهِ ، والناس يعلمون ... أنّ أطيبَ المأكول ما باشرتْه كفُّ آكله ... الخ » ويعلّق ناشر الكتاب أو جامع الرسائل على كلمة (اليارحين) بقوله في الحاشية : (كذا) وقد ظلّت الكلمة المصحّفة غامضة عندي حتى عثرت على تصويبها في (كتاب البخلاء) للجاحظ بتحقيق الدكتور طه الحاجري (ص : ٥٩) وهو (البارجين) وقد جاء على لسان الحارثي : « والله إني لأفضل الدهاقين حين عابوا الحَسْو ... وحين أكلوا بالبارجين ، وقطعوا بالسكّين » ويقول محقق الكتاب : « يظهر أن هذه الكلمة مأخوذة من المصدر الفارسي « برچيدن » ومعناه الالتقاط ، ويُلاحظ أن مادة الفعل « برچين » ويُؤخذ من سياق ذكرها أنها أداةٌ من أدوات الأكل ، ولعلّها كانت شيئاً قريباً من الشوكة المستعملة الآن » (البخلاء : ٣٠٨) .

في هذه الأمثلة التي قدّمناها في الفقرات الخمس السابقة لونٌ من التصحيف لم يَنْسَهُ المحققون عن ملاحظته ولم يُغفلوا التنبيه عليه ، بل وقفوا عنده واجتهدوا في صبر وأناة أحياناً ليصلوا إلى وجه الصواب فيه ، فلما أعياهم الأمر بسطوا رأيهم وتركوا لغيرهم من النقّاد والقراء أن يشاركوا

في خدمة التراث وتصحيحه ، فالمهمة جليلة والعبء ثقيل ، فإذا تضافرت الجهود الجماعيّة وتآزرت أفاد التراث منها أطيب الفوائد .

— ٥ —

غير أنّ بعض المحققين لا يكفيهم أن يسطوا رأيهم حتى يفرضوه ، ونجدهم يعمدون إلى طرح ما يحكمون بوقوع التصحيف أو التحريف فيه من المتون ، ويستبدلون به ما يرونه صواباً ، ويعلّقون في الحواشي على ما فعلوا ، وهم لا يدرون أنّهم قد أخطؤوا الحكم وصحّفوا وحرّفوا ما لا تصحيف فيه ولا تحريف من النصوص السليمة الصحيحة ، وأنهم أذاعوا الخطأ وحجبوا الصواب ، وصحَّ فيهم القول المأثور : « جُناتُها أُساتُها » ..

ومهما يكن من أمر فليس من الإنصاف أن نقسو على من اجتهد فأخطأ ، وحَسْبُ أولئك المحققين أنهم أعملوا فكرهم واستفرغوا مجهودهم وأخلصوا في عملهم ، وأشاروا في الحواشي إلى ما فعلوا بأمانةٍ تامة ، وفيما يلي أمثلة على هذا اللون من التحصيف والتحريف ، وسنحاول من خلالها أن نتبيّن أسباب توهّم الإشْكال في غير المُشْكل ، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير !

١ – في (طبقات الشعراء) لابن المعتز : (ص : ٤٥) بتحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج نجد هذا الحكم على شعر مروان بن أبي حفصة : « ومروانُ من المُجيدين **المُحْكِمين** للشعر » ويقول المحقق في الحاشية تعليقاً على كلمة (المُحْكمين) : « وفي الأصل المُحَكّكين ، وهو تحريف ! » فهو إذاً يحكم بوجود التحريف في الكلمة ، وقد أشكل عليه أمرها ، فعمد إلى تصحيحها ، والكلمة في الأصل سليمة لا تحريف فيها ولا تصحيف ، ومصادر النقد العربي القديمة حين تتحدث عن التثقيف

والتنقيح في الشعر تجيء بـ (التحكيك) مرادفاً للكلمتين ؛ فابن قتيبة يقول في مقدمته لكتاب (الشعر والشعراء : ٢٣/١) : « وكان الحطيئة يقولُ : خيرُ الشعر الحَوْليُّ المُنَقَّحُ المُحَكَّكُ » وابن رشيق في (العمدة : ١١٢/١) يتحدّث عن عبيد الشعر فيذكر زهيراً والنابغة وعكوفَهما على تنقيح شعرهما ، ويقول : « ومن أصحابهما في التنقيح وفي التثقيف والتحكيكِ طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ » ، فالكلمة سليمة ولا إشكال فيها ، وهي من مُصطلح النقد القديم المألوف ، ولكن المحقق لم يألفها فأشكلت عليه ، وعدَّها محرفةً واجتهد في تصويبها ، وعندما مرّت الكلمةُ مُصحَّفةً في موضع آخر من الكتاب (ص١٩٥) لم يلاحظ التصحيف فيها ، وقد جاء فيه : « كان أبو نواس آدَبَ الناس ، وأعرفَهم بكُلِّ شعر ، وكان مطبوعاً ، لا يستقصي ولا يُحَلِّلُ شعره ، ولا يقومُ عليه ، ويقوله على السُّكر كثيراً » ففي كلمة (يُحلِّلُ) تصحيف تصويبُه (يُحكِّكُ) إذ لا معنى لقوله (يُحلِّل شعره) ، وبإصلاح التصحيف يستقيم المعنى : فأبو نواس من الشعراء المطبوعين الذين لا ينقّحون شعرهم ولا يُحكِّكونه ، ولا يقومون على تثقيفه ومراجعته !

٢ – وفي (طبقات الشعراء) أيضاً (ص٤١٣) نجد هذا البيت للأُخيطل الأهوازي يصف فيه محبوبه بالترف وعناية حواضنه به ، ومسح جسمه بالطِّيب والعطور في كل يوم :

تَعَاوَرُهُ الحواضنُ كُلَّ يومٍ ... بِمَسْحِ العَارِضَيْنِ إلى التراقي

ويُعلِّق المحقق الأستاذ فرّاج على الكلمة الأولى في البيت بحاشية يقول فيها : « في الأصل : (تُعاوِدُهُ) وفي المختصر (تُعوِّدُه) وتعاوَرَ الشيءَ تعاطاه وتداوله » ويستدرك في آخر مقدمته للكتاب (ص : ١٦) : « تَعاوَرُهُ لعلّها محرَّفة أيضاً عن (تُعَوِّذُه) » وفي تعليق المحقق واستداركه دليلٌ على إخلاص المحقق في بذل أقصى وُسْعه لتقديم النص التراثي للقارئ

في أسلم صورة يراها ، غير أن النص هنا ليس بحاجة إلى هذا الجُهد كُلّه ، فالكلمة كما جاءت في الأصل المخطوطة (تُعاوِدُهُ) سليمة لا تصحيف ولا تحريف فيها ، وفي صحيح اللغة (عاوده يُعاوِدُه بالمسألة إذا سأله مرّةً بعد أُخرى) والشاعر يقول في صفة محبوبه : إنَّ حواضنَه يُعاوِدْنَه كُلَّ يومٍ بمَسْح جسمه ، من عارِضَيْه إلى التراقي بالطِّيب ، لأنه مُترَف ومُنعَّم ؛ ورواية (المختصر) (تُعوِّذُهُ) على أنها خطأٌ تُثبت صحة (تُعاوده) ، أما الاستدراك فليس فيه طائل ، لأنّ التعويذ (تُعوِّذُه) لا يكون بالتطيُّب ، ورواية الأصل مع صحتها وسلامتها فيها يُسرٌ وطبع يسيل عذوبةً ، وتصويبها بكلمة (تَعاوَرُه) وأصلها (تتعاوَرُهُ) فيها عُسرٌ وتكلُّفٌ ، وفي تصوير المحبوب بشيء تتداوله الحواضن واحِدة بعد أُخرى استهانة واستخفاف بشخصيته ، والشاعر الأُخيطل مشهودٌ له بالطبع والإحسان وعدم التكلُّف ، وهو كما يقول ابن المعتز عنه (ص : ٤١٢) : « من المجيدين المحسنين » ويروي خبراً عن لقائه بأبي تمام الذي قال له بعد أن أنشده شيئاً من شعره : « اذهب إذا شئتَ فليس للناس بعدي غيرُك ! » فأبو تمام ، أمير شعراء عصره ، يرشح الأُخيطل لإمارة الشعراء من بعده ، وتلك شهادة من ناقد عظيم تُؤيد كُلَّ ما قدمناه .

٣ ـ وفي (كتاب الأغاني) للأصفهاني (دار : ٢٣/١٤) بتحقيق الأستاذ أحمد زكي صفوت بيتان من قصيدة طويلة لمحمد بن يسير الرياشي يصف فيهما شاة منيع ، جارِه البقّال ، وكانت اقتحمت عليه حديقة داره وأكلت نَباتَها وبقلَها :

تُرْهِجُ الطُّرْقَ على مُجتازِها ... بِيَدٍ في المَشْيِ والخَطْوِ القَطِفْ
في يديها طَرَقٌ ، مِشْيَتُها ... حَلْقَةُ القوس وفي الرِّجْلِ حَنَفْ

وفي عجز البيت الأول تصحيف تصويبه في (الوافي بالوفيات للصفدي : ٢٥٢/٢) : (بِتَدَاني) وبه يتضح المعنى : فشاةُ منيع كانت

تُثير الغبار في الطرقات بوجه المارّةِ ، بتداني مَشْيها وتقارُب خَطْوِها ، ولكن المحقق لم ينتبـه إلى مـا في البيت الأول من تصحيف وغمـوض ، وأطال الوقوف عند البيت الثاني ليعلّق عليه بحاشية فيها : « في الأصول : في يدها طَرَفٌ من مشيتها خلقة القوس ، وهو تحريفٌ وخطأ ، وقد صحّحتُه كما ترى ، والطَّرَقُ : ضعفٌ في رُكبتي البعير ويده ، أو اعوجاجٌ في ساقه ، يُقـال : بعيرٌ أطرق ، وناقةٌ طَرْقاءُ : أي في يديها لينٌ واسترخاءٌ وتكسُّرٌ وضعفٌ ، مشيتُها حَلْقَةُ القوس : أي مشيتها معوجّة كحلقة القوس غير مستقيمة ، والحَنَفُ : الاعوجاج في الرِّجل إلى داخل » .

من هذا التعـليق المطوّل يظهـر الجهد الكبير الذي بذله المحقق لتصحيح ما حكم بوقوع التحريف والخطأ فيه ، غير أن بعض جهده انتهى به إلى تحريف غير المُحرَّف وتصحيفـه : فخِلْقَةُ القوس في الأصـول صحيحةٌ ، وروايةُ البيت في (الوافي بالوفيات : ٢/٢٥٣) :

في يـديهـا **طَـرَفٌ** من مَشْـيِهـا   خِلْقـةَ القوسِ وفي الرِّجل حَنَفْ

تُؤيِّد ذلك ، ويستقـيم معنى البيت بعد تصـويب التصحيف في (طَرَف) بـ (طَرَق) : فالشاةُ الموصوفةُ في يديها تقوُّسٌ ، وقد خُلقتا على صـورة القوس ، وفي رِجليها اعوجاجٌ أيضـاً ، وأثر ذلك بادٍ في مشيتها المتعرّجة وسيرها المُتَلَوّي وغير المستقيم ضعفاً واسترخاءً ، وكان المثل يُضرب بشـاة منيع هذه في ضعفها وهُزالها ، كما يقول الثعالبي (ثمار القلوب : ٣٧٥) .

٤ ــ وفي الجزء الرابع عشر من (كتاب الأغاني) أيضاً يعمد المحقق إلى تصحيح كلمة يعدُّها محرَّفةً في موضعين من الكتاب : ففي الصفحة (١٣١) نقـرأ : « وكان **طَبًّا** مليح النوادر ، مَزَّاحاً خبيث الهجاء » وفي الصفحة (١٩٣) نقرأ أيضاً : « وكان **طَبًّا** نادِراً كثير الغزل ماجناً » وعلّق المحقق في الصفحتين بحاشية واحدة مكرَّرة : « الطبُّ الحاذق الماهر ، وفي

الأصـول طَيِّبـاً ، وهو تحريف ! » . والحقُّ أن الكلمة في الأصول جميعها صحيحـةٌ وسـليمة ، لا تحريف ولا تصحيف فيها : ومعناها هنا الظريف المزّاح المعروف بخفّـة روحه ولُطف دعابتـه وكثرة فكاهاته ونوادره المثيرة للضحك ، وكان الجاحظ يصف بهـا من يستظرفهم ، فيقول : (الحيوان : ٣/٣٢٥) : « كان المكيُّ طيِّباً ، طيِّبَ الحُجج ، ظريفَ الحِيَل » ويصف أمرين يستظرفهما بقوله : (الحيوان : ٣/٦) : « إنّهما يُثيران من غريب الطِّيب ما يُضحكُ كُلَّ ثكلان » والجاحظ نفسه يُفسر المراد من الكلمة بأنهم : « إذا قالوا : فلانٌ طيِّب الخُلُق ، فإنما يريدون الظرف والمِلَح – أي الملاحة » (الحيوان : ٤/٥٨) وفي (كتاب الورقة : ٣٨) نجد وصفاً لواحدٍ من أولئك الظُّرفـاء المُضحكـين : « وكان أبو الحارث جُمَّـيز مُضـحكـاً طيِّباً » ؛ ووصف الثعالبيُّ (اليتيمة : ٢/٣٧٧) أبا الورد بقوله : « بلغني أنه كان من عجائب الدنيا في المُطايبة والمحاكاة ... ويُضحك الثّكلان ! » وفي (اللســـان) : « طـايبـه : مازحه » ، وفي (زهر الآداب : ١/٢١٤) : « وأهل المدينة أكثر الناس ظرفاً وأكثرهم طيباً وأحلاهم مُزاحاً » .

٥ – وفي (قطب السرور) المتقدّم ذكره (ص٢٩٦) نقرأ : « وقال إبراهيم بن المدبّر لمحمد بن يزيد المبرِّد : أحـب أن تنظر لي جليساً **يجتمع مع إيناسي ومنادمتي ، فناديتُ ولدي** فبعث إليه عليَّ بن سليمان النحويَّ[1] » ويُعـلِّق المحقق الأستـاذ أحمد الجندي على كلمـة (فنـاديتُ) بقوله في الحاشية : « أضفتُ الفاء إلى (ناديتُ) لاقتضاء سياق العبارة ذلك ! » ولم يكن الأصـلُ الصحيح بحاجة إلى تلك الإضـافة التي تمعن في تصحيف غير المصحَّف ،وفيه : (يجمع مع إيناسي ومُنادمتي تأديب ولدي) فابن المدبّر يطلب من المبرّد أن يختار له جليساً نديماً عالماً يُنادمه ويؤانسه ويتولّى تأديبَ

(١) هو الأخفش الصغير (ـ٣١٥هـ) وانظر (إنباه الرواة) : ٢/٢٧٦ – ٢٧٨ .

ولده وتعليمَه ، فأرسل إليه واحداً من خيار طلبته ومُريديه ، وهو الأخفش ... والخبر مشهور ونقع عليه في أخبار الأخفش في (طبقات النحويين واللغويين : ١٢٦) للزبيدي ، وفي ترجمته في (إنباه الرواة : ٢٧٧/٢) للقفطي ، ولو أن المحقق رجع إليهما في تحقيق النص لَتَيَسَّرَتْ مهمته ، ولم يُخطئه التوفيق .

في هذه الفقرات الخمس السابقة لونٌ جديد من التصحيف والتحريف : يُضيفه المحققون بأيديهم إلى النصوص التي يتولّون تصحيحها وتنقيحها ، فإذا أشكل عليهم فهمُ ما يقرؤون توهّموا الخطأ فيه ، واندفعوا في اجتهادهم لتصحيحه ، في غير أناة ولا رويّة ، فصحّفوا بذلك غير المصحّف ، وحرّفوا غير المحرَّف ، وشوّهوا الأصول الصحيحة السليمة ، ولو أنهم لم يتعجّلوا واستوفوا مراجعة المصادر والمظان ، واستعانوا بآراء غيرهم من المحقّقين المتمكّنين المعروفين بكفايتهم وقدرتهم ، لتمكّنوا من تذليل أكثر ما صعب عليهم وأشكل ، وقد قدّمنا أن العمل في خدمة التراث ينبغي أن يكون جماعياً ، تتضافر الجهود وتتآزر فيه ، ولن نملَّ تكرار القول بذلك ، غيرةً على التراث وتصحيحه وإحيائه .

— ٦ —

ويعمد بعض المحققين أحياناً ، عندما تتعدّد أمامهم الروايات للكلمة الواحدة في النص ، إلى اختيار الرواية المُصحَّفة أو المحرَّفة ، المرجوحة ، وإثباتها في المتن ، ووضع الرواية السليمة والراجحة في الحاشية ، وهم يصدرون إمّا عن خطأ في توهّم السلامة فيما يختارون ، أو عن حُجة بالتزام رواية النسخة الخطية التي اتخذوا منها المخطوطة الأم في عملهم ، والحق أن المنهج السليم في قواعد تحقيق النصوص يقتضي أن نثبت في المتن أصح الروايات التي نجدها في النسخ الخطية للكلمة ، ونشير في الحاشية إلى

الروايات الأخرى المرجوحة ، أو التي لا تخلو من الخطأ ، فواجبنا أن ننشر النص في أصح صورة لقراءاته التي رُوي بها أو كُتب في النسخ المختلفة ، « ولا يختلف اثنان في أن رائدنا من النشر أو التحقيق أن ننشر الكتاب في الصورة التي أخرجه بها المؤلف بقدر المستطاع[1] » وفيما يلي أمثلة على إيثار الرواية المرجوحة وإثباتها في المتن ، ونبذ الرواية الراجحة والصحيحة وطرحها في الحاشية :

١ - في (رســالة الصـداقة والصـديق) للتوحيدي (ص١٣٩) بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني ، معتمداً فيها على مخطوطة مكتبة أسعد أفندي في استانبول ، نقرأ هذا البيت للفضل بن العباس :

لقد عجبتُ وما بالدّهر من عجبٍ يدٌ تَشُحُّ وأخرى منكَ تأسُوني

وقد وضع المحقق في هامشــه عنواناً يلخّص فكرته : (بين الشُحّ والمواسـاة) وعلّق في الحاشية بقوله : « هذا البيت منسوبٌ في (حماسـة البحتري) إلى صالح بن عبد القدوس من أبيات يقول فيها :

قُـل لِلّذي لستُ أدري من تلوُّنِه أنـاصِـحٌ أم عـلى غِشٍّ يُداجيـني
إنّي لأُكثِرُ ممـا سُــمْتَـني عجبـاً يدٌ تَشُـجُّ وأخرى منكَ تـأسُــوني

إلخ ... » وهكذا نجد المحقق يحتفظ برواية الأصــل المخطوط (تشُحُّ) في المتن ، ويُشــير في الحاشيـة إلى الرواية الأُخرى (تشجُّ) التي وردت في (حماسة البحتري) ، وكذلك فعل ثانية عندما كرّر التوحيدي الاستشهاد بالبيت في موضع آخر من رســالته (ص : ٣١٩) ورواية الحماسـة هي الصحيحــة ، ويتطــلّبهـا الطباق بين كلمتي (تشجُّ وتأسـو) أي تجرح وتُداوي ، وبه يتألق المعنى المُراد ، ولو أراد الشاعر العَجَب من التلوُّن بين (الشُحّ والمُواساة) لقال : (يدٌ تَشُحُّ وأُخرى منكَ تُغنيني !) .

---

(١) البحث الأدبي للدكتور شوقي ضيف : ١٧٨ وانظر بالفرنسية كتاب (قواعد لتحقيق النصـوص العربيـة وترجمتهـا) للمستشرقين الأستاذين بلاشـير وسوفاجيه : ٢٠ (القاعدة : ٨٠) .

٢ - وفي (الهفوات النادرة) لغرس النعمة الصابئ (ص : ١١٤) بتحقيقنا نقرأ : « الحمدُ لله الذي قتل أبرويز على يدك ... فإنه كان يأخذ الأجنّةَ ويقتُل بالظنّ ، ويُخيف البريءَ ، ويعمل بالهوى » وقلنا في التعليق على كلمة (الأجنّة) في الحاشية : « (ب) : بالإحنة ، و(التاج) بالحِبة » ويعني ذلك أننا آثرنا رواية النسخة الخطية (الأُم) التي جعلناها أساساً للمطبوعة وهي نسخة (أ) التي نقلنا عنها متن الكتاب ، وهي رواية النسخة الأخرى (ع) أيضاً ، وأشرنا في الحاشية إلى الروايات الأخرى المرجوحة :(رواية النسخة الخطية الثالثة(ب)ورواية كتاب التاج)ثم تبيّن لنا بأخرةٍ أننا أخطأنا في ترجيح المرجوح ونبذ الراجح الصحيح عندما قرأنا مقالة صديقنا وزميلنا القديم الدكتور إبراهيم السامرائي ، وعنوانها (جولة في الهفوات النادرة) في كتابه (مع المصادر في اللغة والأدب : ٢٦٧/٣) قال فيها : « لا معنى لقوله : يأخذ بالأجنّةِ والصواب : يأخذ بالإحنة ، أي الحقد ، ويدل على هذا قولُه : ويقتل بالظن » وهذا التصويب يَلْفتنا إلى الخطأ في نبذ الرواية الراجحة للنسخة الخطية (ب) ويدفعنا إلى تصحيحه في طبعة ثالثة قادمة ، فقد صدرت الطبعة الثانية قبل اطلاعنا على مقالة الصديق الناقد الفاضل ، واستفدنا فيها من نقد الناقدين ، وقلنا في مقدّمتها : « هذه هي الطبعة الثانية المُصححة من كتاب (الهفوات) تنتظر أن تحظى بالمزيد من التصويبات ليُتاح لها أن تتلافاها في طبعة قادمة ، والعمل في خدمة التراث جهد دائبٌ مُستمر ... الخ[١] » .

٣ - وفي كتاب (العثمانية) للجاحظ (ص : ٣) بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، يقول الجاحظ : « وليس بين الأشعار وبين الأخبار فرقٌ إذا امتنع في مجيئها وأصل مخرجها التباعُدُ والاتفاقُ والتواطُؤ » ، ويُعلّق المحقّق على كلمة (التباعد) بقوله في الحاشية : « في الأصل

(١) الهفوات النادرة (طبعة دار الأوزاعي) المقدمة : (ص 54 - 55) .

و(ب) التشاعر ، وصوابُه من (ح) » ويعني بذلك أن رواية الأصل المخطوط في مكتبة كوبريلي بتركيا ، ورواية المقتطفات التي اختارها عبيد الله بن حسّان من (العثمانية) هي : (التشاعر) ، وقد نبذها المحقق واختار رواية ابن أبي الحديد في منقولاته عن العثمانية في شرحه لنهج البلاغة ، وهي (التباعد) فأثبتها في المتن ، ويؤكّد الناقد الدكتور ناصر الدين الأسد في نقده لكتاب العثمانية[1] أن الرواية المنبوذة (التشاعر) هي الصواب ، وهي بمعنى التعارف والتعالم والتواطؤ ، ويؤيد رأيه بقول الجاحظ في الكتاب نفسه (ص : ٢٦٣) : « وليس يُنتفَعُ باتّفاق أهوائهم ما لم يتشاعروا .. » .

٤ – وفي كتاب (العثمانية) أيضاً (ص : ١٠) يقول الجاحظ : « ولو لم تعرف الروافضُ .. باطلَ هذه الدعوى .. إلاّ بتركِ عليٍّ ذكرَ ذلك لنفسه ، والاحتجاج به على خصمه وأهلِ دهره ، منذ نازع الرجالَ ، وخاصم الأكفاء ... الخ » ويُعلّق المحقق على قول الجاحظ : (وخاصم) في الحاشية : « هذا ما في (ب) وفي الأصل : (وخايَرَ) » وهو بذلك يُفضّل رواية المقتطفات على رواية الأصل المخطوط للعثمانية (وخايَرَ) التي نبذها ، ويؤكد الناقد الدكتور الأسد أنها هي الرواية الصحيحة[2] ، ومعنى (خايره) : فاضله بالخير وكاثَرَهُ ، وقد تخلّى المحقق عنها وآثر الرواية المرجوحة عليها .

فهذه أمثال أربعة لهذا اللون من ترجيح المحققين للروايات الخاطئة ، المصحّفة أو المحرّفة ، على الروايات الصحيحة والسليمة ، التي نجدها منبوذة في الحواشي ، وخطر هذا اللون يظهر أثره المُدمّر في تشويه التراث عندما يعمد بعض الناشرين المستغلّين إلى طبع متون النصوص وحدها ، دون التعليقات في الحواشي عليها ، وكثيراً ما يفعلون ذلك ، فلا يجد القُرّاء

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية : المجلد : ٢ ، الجزء الأول : ٢١٢ – ٢١٥ .
(٢) انظر المصدر السابق .

أمامهم في تلك المتون غير الروايات الخاطئة والمرجوحة ، وقد غابت عن أعينهم الروايات السليمة والراجحة ، بحذف الحواشي وتعليقاتها ، وأنّى لأولئك الجشعين من الناشرين أن يدركوا أنهم لم يقتصروا بذلك على طمس معالم سرقتهم لجهود المحقّقين وحقوقهم ، بل هم قد جنوا على التراث وشاركوا في تشويهه وإفساده !

- ٧ -

وما أكثر ما نقع في كتب التراث الأدبي المحققة بغير قليل من الجهد والتدقيق على تصحيف أو تحريف لم يُثر لدى المحققين ارتياباً في صحته ، فقبلوه بِيُسر ورضىً ، وراحوا يعلقون عليه بحواشٍ تُفسِّره ، وكأنهم يؤكدون بذلك صوابه ، وخطر هذا اللون من التصحيف والتحريف كبير لأنه يُذيع الخطأ ويُوهم القراء بصوابه ، فلا يرتاب في صحته إلا القارئ البصير ، وأين هو ، إلى أن يتصدّى للغلط ناقد متمكّن ، فيكشف زيفه ويُعين على تصويبه ، وفيما يلي أمثلة على هذا اللون السائر من التصحيف والتحريف :

١ - في (الديارات) للشابشتي : (ص٥٦ - ٥٧) نقرأ هذين البيتين لأبي العيناء في علي بن الجهم :

أراد عليٌّ أن يقول قصيدةً بِمَدْحِ أميرِ المؤمنين **فأدَّنا**
فقلتُ له : لا تَعْجَلَنْ بإقامةٍ فلستُ على طُهرٍ فقال : ولا أنا

وقبل محقق الكتاب الأستاذ كوركيس عواد التصحيف في كلمة (فأدَّنا) وعلّق عليها بحاشية تشرح معنى الفعل فيها فقال : « أدَّهُ الأمرُ : أثقله وعظم عليه! » ؛ والصوابُ (فأذَّنا) بالذّال المعجمة ، وبه يتم ربط البيت الثاني بالأول : فلما أذَّن عليٌّ بن الجهم قال له أبو العيناء : لا تَعْجل بإقامة الصلاة ، فلستُ على طُهر .. الخ .. والبيتان في (طبقات الشعراء) لابن المعتز : (ص٤١٦) من غير تصحيف ، ولا يتطلّب تصويب مثله

مراجعة المصادر والمظان لسهولة ووضوح المُراد وارتباط البيت الثاني بالأول .

٢ – وفي الجزء الرابع عشر من (كتاب الأغاني) بتحقيق الأستاذ أحمد زكي صفوت نقع على أمثلة كثيرة لهذا اللون من التصحيف ، ونكتفي باثنين منها :

ففي (الصفحة : ١٩) نقرأ بيتاً لمحمد بن يسير الرياشي ، ينقد فيه نفسه نقداً ذاتياً ، لِما أظهر من تعالٍ وتكبّرٍ على أصحابه :

أيا عجباً من ذا **التَسَرِّي** فإنه ‏ ‏ له نَخْوةٌ من نفسه وتكابُرُ

ولم يرتب المحقق في التصحيف الواقع في كلمة (التَسَرِّي) فأسهب في شرح معناها معلّقاً في الحاشية : « السرو : المروءة في شرف ، سرو ككرم ودعا ورضي فهو سَري ، وتسرّى تَسَرِّياً : تكلّف السرو » وتصويبُها (اليَسِيري) نسبة إلى (يسير) أبي الشاعر ، والشاعر يعجب من نفسه : أيا عجباً من ذا اليسيري فإنه ... الخ . وفي (التاج – مادة يسر) أورد الزبيدي بيتين للشاعر لقّب نفسه فيهما باليسيري . (عن الأعلام : ١٦/٨) .

وفي (الصفحة : ٤١) يروي صاحب الأغاني خبراً عن ... علي بن القاسم فيقول : « كنتُ مع المعتصم لمّا غزا الروم ، فجاء بعضُ سراياهُ **بِخَبَرِ عَمِّهِ** ، فركب من فَوْره ، وسار أجدَّ سيرٍ .. الخ .. » ونقرأ تعليق المُحقق على كلمة (عَمِّهِ) في الحاشية : « هو إبراهيمُ بنُ المهدي ، وخبره هو خروجُه على المأمون فندرك أنه لم يشكّ في التصحيف الواقع في كلمة (عَمِّه) فراح يُعرِّف بعمّ المعتصم إبراهيم بن المهدي ، ويُفسّر (خبره) بما كان من خروجه على المأمون ! وتصويبُ التصحيف : (بخبرٍ غَمَّهُ) أي أحزنَهُ وأَقْلَقَهُ ، وليس فيه غيرُ استبدال الغين المعجمة بالعين المُهملة ، والخبر الذي يرويه الراوي يتصل بالمعتصم في أثناء خلافته (٢١٨ – ٢٢٧هـ) في إحدى غزواته للروم ، أما خروج عمّه إبراهيم بن المهدي على

المأمون فهو بين عامي (٢٠١ - ٢٠٣هـ) ولم يكن للمعتصم في هذه المدة شأن في الحرب ولا في الخلافة ، وقد بويع بها بعد وفاة أخيه المأمون عام ٢١٨هـ وكان الرشيد أخرجه من الخلافة وولّى الأمين والمأمون والمؤتمن ، إلى أن جعله المأمون ولياً لعهده . (الأعلام : ٣٥١/٧) .

٣ - وفي القسم المطبوع من (قطب السرور) بتحقيق الأستاذ أحمد الجندي نقع أيضاً على أمثلة كثيرة لهذا اللون من التصحيف ، ونكتفي باثنين منها :

ففي (الصفحة : ٣٠٥) نقرأ ما نصُّه : « وقد رأينا جماعةً من جِلَّةِ الرؤساء **يتبدَّلون** أتباعهم ، ويمتهنونهم من الخدمة فيما يرفعون عن مثله بعضَ مماليكهم » وقد علّق المحقق على كلمة (يتبدَّلون) بشرحها في الحاشية : « تبدَّلَهُ وبه ، واستبدلَهُ وبِهِ : أخذه مكانه ، مثل بَدَّله » وبهذا الشرح أكّد المحقق غفلته عن التصحيف الواقع فيها ، وتصويبُه (يتبَذِلُون) أتباعَهم ويمتهنونهم ، والابتذالُ والامتهانُ بمعنى .

وفي (الصفحة : ٣١٦) نقرأ ما يلي : « وكان **ابن جوار** كاتب العباس بن أحمد بن طولون ، يُنادم أبا حفص .. الخ .. » وقد علّق المحقق على (ابن جوار) بقوله في الحاشية : « ويُروى ابن جِرار ، أو ابن حدار - بالحاء المهملة - واسمه جعفر الكاتب الشاعر من بطانة العباس بن أحمد بن طولون » ، ومثل هذا التعليق يجعل القارئَ يطمئن إلى صحة الاسم فلا يرتابُ فيما وقع فيه من تصحيف صوابُه (ابن جدار) وهو جعفر بن جدار الشاعر المصري الكاتب العالم ، صاحبُ القصيدة الميميّة الرقيقة التي يوردها صاحب (العقد الفريد : ٣٤٨/٥) بتمامها ، ويُشيد ببديع الصنعة ولُطف التشبيه فيها ، وصاحبُ الكتاب « المعروف بطبقات الشعراء » الذي نجد إشارةً إليه في (كتاب الذخائر والتحف : ص١٠٥)

للقاضي الرشيد بن الزبير[1] ، وقد نُشر (العقد) عام ١٩٤٦ ، و(الذخائر) عام ١٩٥٩ ، قبل عشر سنوات من صدور القسم المطبوع من (قطب السرور) ولم يُتح للمحقق الإفادة منهما في تصحيح اسم الشاعر ؛ وفي عام ١٩٧٣ نشرت مجلة المجمع بدمشق (٤٨/٦٨٨ – ٦٩٩) مقالتين لكل من الأستاذ عبد الله كنون والأستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي شاركتا في تصحيح اسم الشاعر والتعريف به والإشادة بفضله بعد قرون من الإهمال والنكران .

٤ – وفي (معجم الأدباء) لياقوت ، طبعة دار المأمون ، بإشراف عدد من الأساتذة المحقّقين في قسم التصحيح بالدار ، نقع على أخطاء كثيرة من التصحيف في الكلمات والتحريف فيها ، وقد تتبّع بعضها العلامة الأستاذ الميمني الراجكوتي بالتصحيح والتقويم في سلسلة من المقالات في مجلة المجمع بدمشق بعنوان (طُرَر على معجم الأدباء : المجلّدات : ٤٠ و٤١ و٤٢) ولكننا نكتفي بإيراد مثالين على هذا اللون من التصحيف الذي نعرضه هنا ، وهما مما أهمل الأستاذ الميمني تصويبه :

ففي الجزء الأول من (معجم الأدباء) : ص : ٣٧ ينقل الناشرون ترجمة لياقوت عن (وفيات الأعيان) وصف فيها ما عاناه في حياته بعد وصوله إلى الموصل ، من خُوارزم ، طريدَ التتر عام ٦١٧هـ : « والمملوك الآن بالموصل مُقيمٌ ، يُعالَجُ لِما خَرَّ بِهِ من هذا الأمر المُقعد المُقيم » وفي الحاشية شرح لقوله (خَرَّ بِهِ) : « خَرَّ بِهِ : نزل به » مما يُؤكّد أن المحققين لم ينتبهوا إلى التصحيف ولم يرتابوا فيه ، وتصويبه (حَزَبَهُ) أي أصابه ، ولو رجعنا إلى (الوفيات : ٥/١٨٧) لوجدنا الرواية الصحيحة أيضاً !

وفي الجزء السادس من (المعجم) ص : ١٧٥ ينقل ياقوت عن

(١) أو المنسوب إليه : انظر تعليق الدكتور مصطفى جواد في حاشية من كتاب (نساء الخلفاء) لابن السّاعي : ١٣٤ .

كتاب (الإمتاع والمؤانسة) للتوحيدي وصفه للوزير الصاحب بن عباد : « وهو حَسَنُ القيام بالعروض والقوافي ، ويقول الشعرَ ، وليس بِزَالٍّ » ولم يرتب أحد من المصححين في دار المأمون في التصحيف الواقع في كلمة (بِزَالٍّ) وراحوا يفسرونها في الحاشية بقولهم : « أي ليس مُنحرفاً عن الصواب » وكأنهم يؤكدون للقارئ صحتها ، وقد شوّهوا بذلك مُراد التوحيدي الذي كان يُعدِّدُ مثالب الوزير ، فكيف يشهد له بعدم الانحراف عن الصواب ! وتصويبُ التصحيف : « ويقول الشعرَ وليس بِذاكَ ! » فهو يصف الوزير بأنه نظّامٌ يحسن العروض والقوافي وليس بالشاعر ! ولو عدنا إلى مراجعة (الامتاع والمؤانسة : ١/٥٥) لوجدنا الكلمة سليمةً لا إشكال فيها .

ففي هذه الفقرات الأربع المتقدمة من الأمثلة على هذا اللون من التصحيف كفايةٌ ، وقد أشرنا إلى خطره في نشر الخطأ وإذاعته في القراء دون عائق ، لاطمئنان كثرتهم إلى تعليقات المحققين عليه وشرحهم له وقبولهم إياه ، دون أن يساورهم شكٌّ أو ارتيابٌ فيه .

— ٨ —

وكثرةُ التصحيف والتحريف في أشعار الدواوين القديمة ظاهرة لا يمكن تجاهلها ، على رغم العناية التي بُذلت في تحقيقها أحياناً ، والإفادة من تعدّد نسخ الأصول في تصحيحها ، وتلك آفةٌ يعاني طلبة الدراسات الأدبية العليا مشقّةً كبيرة للتغلّب عليها ، ولن أنسى أنا ما عانيت في دراستي للبحتري قبل أربعين سنة[1] ، ولم يكن لديوانه حينذاك غير طبعات ثلاث سقيمة ، أهمها طبعة الجوائب لعام ١٣٠١هـ/١٨٨٢م ، وهي من تصحيح

(١) شاعر عربي من القرن الهجري الثالث : البحتري (رسالة بالفرنسية) باريس : ١٩٥٣ .

الشيخ رسول النجاري ، أحد المساعدين للعلاّمة أحمد فارس الشدياق في تنقيح المطبوعات الصادرة عن مطبعته بالقسطنطينية ، وهو القائل في تقريظ تصحيحه للديوان[١] :

ولقد بذلتُ الجهدَ في تصحيحه لِغُموضِهِ بتفكُّرٍ وتَدَبُّرِ
للهِ درُّ البحتريّ إذ ازدرتْ حُسنى معانيهِ بِدُرِّ الأبْحُرِ

ولكن طبعة الجوائب ظلّت مع ذلك تغصُّ بالمُصحَّفِ والمُحرَّفِ والغامض ، وحكَمَ العلامةُ الميمني عليها بأنها « رديئةٌ لم تُنَقَّح ، ولم تُعارَضْ بالأُصول على يدَيْ خبيرٍ بصير ، وابتُلِيَتْ بدعوى فارغة ... الخ ..[٢] » ولهذا كان عليَّ أن أعود إلى الأصول الخطيّة للديوان – وهي كثيرةٌ ، وإلى المصادر الأخرى ، لتصحيح أخطاء التصحيف والتحريف في طبعة الجوائب للديوان ، وما أكثرها ، مثل هذا التحريف في كلمة (قُطبها) في البيت[٣] :

قد رحَلْنا عن العرا قِ وعن **قُطْبِها** النَّكِدْ

وتصويبه (قيظها) عن مخطوطة باريس للديوان ؛ ومثل هذا التصحيف في كلمة (دَعَةً) في البيت[٤] :

أبْدى التواضُعَ لّما نالَها **دَعَةً** عنها ونالتْهُ فاختالتْ بهِ تِيها

وتصويبه (رِعَةً) أي وَرَعاً ، عن الموازنةِ للآمدي ؛ كل ذلك قبل

---

(١) انظر مقالة لعلي حيدر النجاري ابن الشيخ رسول في مجلة المجمع بدمشق : ٥٧/٤٦٥ – ٤٧١ .

(٢) الطرائف الأدبية (مقدمة للمختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام) للجرجاني : ١٩٩ .

(٣) ديوان البحتري (ط : الجوائب) : ١/٩ ، (ط : الصيرفي : ٢/٧٠٧) .

(٤) المصدر السابق : (ط : الجوائب) : ١/١٨ ، (ط : الصيرفي : ٤/٢٤١٤) .

أن أتهيأ لدراسة الشاعر على أساس منهجي قويم ؛ غير أن معاناتي في تصحيح الكثير من أخطاء ديوان البحتري يومذاك لا تُقاس بما عاناه الأخ الصديق الدكتور شاكر الفحام في تصحيح كثير من أخطاء ديوان بشار قبل أن ينصرف إلى دراسة شعره وكتابة رسالته عنه ، عام ١٩٥٩ ، لأن ما عُثر عليه من ديوان بشّار في تونس صدر بمصر في ثلاثة أجزاء ، بتحقيق شيخ جامع الزيتونة الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور ، بين عامي (١٩٥٠ – ١٩٥٧) عن نسخة خطيَّة فريدة « تمورُ بالتصحيف والتحريف »[١] لضعف ناسخها الذي « عبث أيّما عبث بالديوان وأفسده وأحاله حتى كاد يصير غلطاً صِرْفاً »[٢] وتصويب مثل هذا الغلط في النسخة الخطية اليتيمة الوحيدة يتطلّب جهوداً مُضنية وبحثاً دائباً عن المصادر والمظان ، وتجربة طويلة وبصيرة في ميدان التحقيق ، وسنفرد لهذا اللون من التصحيف والتحريف فصلاً خاصاً يُبرز مدى المشقة والمعاناة في الاهتداء إلى تصويبه ، ويُنصف جهود المحقّقين في تصحيحه .

والحق أن تصويب أخطاء التصحيف والتحريف في الشعر يمكن أن يكون أحياناً أسهلَ وأيسر منه في النثر ، لما في الوزن والقافية من مُرشدٍ ومُعينٍ على ذلك ، وعندما يشعر المحقق باضطراب الوزن أو القافية في البيت يبحث عن الخطأ فيه ويعمل على إصلاحه وتلافيه ، في حدود السلامة في الوزن والقافية ، بأيسر السبل وأقصرها ، وفيما يلي أمثلةٌ على ذلك :

١ – في (ديوان الخالديين) : ٥٧ من جمع الدكتور سامي الدهان وتحقيقه ، وقد تقدّم ذكره ، نقرأ هذين البيتين :

رُبَّ ليلٍ فضحتُه بضياء الرّ احِ حتى تركتُه كالنّهارِ

(١) نظرات في ديوان بشار : ١٩٥ .

(٢) مجلة المجمع بدمشق : المجلد ٦٠/٦٠٠ .

ذي سمـاءٍ كَخَـزامٍ ونُجـومٍ مُشـرقـاتٍ كنَـرْجِسٍ وبَهـارِ

فيستوقفنا صدر البيت الثاني لاختلاف وزنه، فالبيتان من الخفيف، والصدر من الرمل، لوقوع التصحيف في كلمة (كَخَزَامٍ) وتصويبه (كخُرَّمٍ) وبه يستقيم الوزن، والخُرَّم نبات مثل القرنفل[١]، والمحقق ينقل البيت عن (اليتيمة) للثعالبي، وهو سليم من التصحيف في طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد (٢/١٩٤)، كما يشير إلى رواية (كخُرَّم) في (مسالك الأبصار) في الحاشية دون أن ينتبه إلى صحّتها وحاجة الوزن المضطرب إليها.

٢ – وفي كتاب (التحف والهدايا) للخالديين : (ص٢٤١) بتحقيق الدكتور سامي الدهان أيضاً، نقرأ هذا البيت :

شبَّهتُها قد ألحَتْ فضاضةً ونحافةً ولطافةً وسَقاما

فيستوقفنا اختلال الوزن في صدره، ويَلْفِتُنا إلى التصحيف الواقع فيه، ويُرشدنا الوزنُ السليمُ إلى التصويب الملائم له ولِرسم الكلمات فيه، وهو :

شبّهتُها قَدَّ المُحِبِّ بَضَاضَةً ونَحافةً ....

وهو الصواب الذي اهتدى إليه الدكتور إبراهيم السامرّائي قبلنا[٢] وبه يزول التصحيف، ويتّزن البيت، ويتألّق معناه وتتّسق الصفات التي يُشبّه بها الشاعرُ قَدَّ مُحِبِّهِ دلالةً وإيقاعاً.

٣ – وفي (ديوان ابن أبي حصينة) : (١/٢٧٠) وقد تقدّم ذكره، نقرأ هذا البيت :

---

(١) انظر نقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن للديوان : مجلة المجمع بدمشق : المجلد ٤٥/٦٩٠ – ٦٩٦.

(٢) مع المصادر في اللغة والأدب : ١/٨٠.

أأمامُ بِعَيْشِكِ هل ذَرَفَتْ عيناكِ وهل أرِقَتْ أرَقي

ويستوقفنا في عجزه قوله (أرِقَتْ) وكان عليه أن يقول : (وهل أرِقَتا) بضمير المثنى ، فالعينان ، وقد تقدّمتا الفعل هما المُؤرَّقتان ، ولكن الوزن لا يُعين على ذلك ، ويتّزن الشطر بإسقاط (هل) وتشديد عين الفعل (أرَّق) ومعناه : أسْهَرَ ، فنقول : (عيناكِ وأُرِّقتا أرَقي ؟) وبذلك يزول التحريف ويستقيم عجز البيت لُغةً ودلالةً أيضاً .

٤ - وفي كتاب (الورقة) لابن الجراح (ص : ٧٣) بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ عبد الستّار أحمد فرّاج نقرأ هذه الأبيات للرِّياحي يقولها في واحدٍ من أحفاد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان يمدحه :

أيابْنَ الذي حَنَّ الحصى في يمينهِ وأكرمِ من وافى مِنىً والمُحَصَّبِ
وخيرِ إمامٍ كان بعد ثلاثةٍ مَضَوْا سَلفاً أرواحُهم لم تَشَعَّبِ
هو الثالثُ الهادي بِهَدْيِ محمدٍ على رَغْمِ أنفِ السَّاخِطِ المُتَعَتِّبِ

فيستوقفنا عجز البيت الأول بتخطّيه قواعد اللغة ، ولولا ذاك لقال : (وافى منىً والمُحَصَّبا) ولَخرج بذلك على حركة الروي للأبيات (الباء المكسورة) ! وننظر في تعليق المُحقِّقَيْن على كلمة (مِنىً) في الحاشية بقولهما : « في الأصل : (جما) ! والمعروف أن (مِنىً) هو الذي يُذكر مع المُحَصَّب . قال عمر بن أبي ربيعة :

نظرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنىً ولي نظرٌ لولا التحرُّجُ عارِمُ

أمّا (جما) التي وردت في الأصل ، فليس لها ذكرٌ في معجم البلدان ! » ومن هذا التعليق يتبيّن وهمُ المُحقِّقَيْن ، فقد ظنّا (جما) اسماً لموضعٍ ، وحكما بأنه مُحرَّف عندما لم يجدا له في معجم البلدان ذكراً ، ولم ينتبها إلى أن حركة الروي في القافية لا تُؤيد ظنَّهما وحكمهما ، ولو

أنهما أمعنا الفكر في رواية الأصل : (جما والمُحَصَّبِ) وامتحنا الأوجه الممكنة لتصويبها ، في حدود قواعد اللغة والوزن الشعري وحركة الرويّ في القافية ، لوجدا (جِمارَ المُحَصَّب) وجهاً للصواب يُلبّي كل ذلك ، مع مُراعاة الرسم في رواية الأصل أيضاً ، و(الجِمارُ) اسم موضع بمنى ، و(المُحَصَّب) هو موضع رمي الجمار فيه ، ولكلٍ من الموضعين ذكرٌ في (معجم البلدان) (١٥٩/٢ و٦٢/٥) ، مما يُؤكّد أن تصويب التصحيف في (جما والمُحَصَّب) لا يتطلّب غيرَ استبدال الراء بالواو ، ليستقيم البيت معنى ومبنى ، وتبرز الصلة بين (الحصى) في صدر البيت ، و(حصى الجمار) ومواضعِ رَمْي الحُجاج لها في منىً والمُحصَّب ، واشتقاقُ اسم المُحصَّب من رَمْي الحصباء ، والحَصْبُ هو الرمي بالحصى ، والمُحَصَّبُ هو اسم المفعول منه ، وجميعُ هذه الشروح نقع عليها في (معجم البلدان) .

٥ – وفي (رسالة الصداقة والصديق) : (ص : ٢٨٣) للتوحيدي ، وقد تقدّم ذكرها نقرأ هذين البيتين :

يا ذا الذي أَلِفَ القطيعةَ دهرَهُ إن القطيعةَ **موضعُ الرَّيْبِ**
إنْ كان ودُّكَ كامناً في نِيَّةٍ فاطلُبْ صَديقاً عالماً بالغَيْبِ

فيستوقفنا اختلافُ الوزن في ضَرْبَي البيتين : فهو في الأول أحذُّ مُضمر (رَيْبِ = فعْلن) وفي الثاني مقطوع مُضمر (بالغيبِ = فعْلاتن) وبذلك يكون البيت الأول من ثالث الكامل ، والثاني من ثاني الكامل ، وينبغي توحيد الضربين لتقويم الاختلال بتصويب التحريف الطارئ على أحدهما ، فإذا كان البيتان من ثاني الكامل قُلنا :

إن القطيعةَ موضعٌ لِلرَّيْبِ
فاطلُبْ صديقاً عالماً بالغيبِ

وإذا كانا من ثالث الكامل قُلنا :

إن القـطـيـعــةَ موضـعُ الرِّيَبِ
فـاطـلُب صـديقـاً عـالمَ الغَيْبِ

والذوق الشعري قد يُرجّح التصويب الأول ويتبنّاه .

٦ – وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص : ٤٠٢) بتحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي هذه المقطوعة الرباعية :

يـا عـالمَ الحُسـن الذي أصحبتَ فيـه عَـلَـمـا
لا أشتكـي السُّـقْـم وإنْ كَسَـوْتَ جسـمي سَـقَـمـا
أكتم حُبـيـكَ فيـأ بى الدمع أن يَتَـكـتَّـمـا
لم تَـرْثِ عيـنـاكَ لِمَـنْ بكتـكَ عيـنـاهُ دمـا

واختلال الوزن في عجز البيت الثالث واضح ، وفي الحاشية تعليق على كلمة (يتكتّما) فيه : « الأصل : (يكتما) ولا يستقيم الوزن » ولكن تصحيح المحقق للتصحيف في الأصل يخرج بعجز البيت عن بحر المقطوعة (مجزوء الرجز) إلى بحر آخر (مجزوء الكامل) والتصويب الصحيح الذي يلتزم ببحر المقطوعة واتّساق قوافيها ولا يبعد عن رسم الكلمة المُصحَّفة هو (يَنْكَتِما) مطاوع (كتم) تقول : كتمه فانكتم ، وهذه الصيغة مألوفة في دوان الشـاعر كقوله : (ص٤١٦) : (أو ذِلَّةُ المُشتـاقِ تَنْكتمُ) وقوله : (ص٤١٧) : (لم تَدَعْهُ العينُ أن ينكتما) .

في هذه الفقرات الست التي قدّمناها كفايةٌ لتمثيلِ هذا اللون من التصحيف والتحريف في الشعر ، وبيانِ السهولة في الاهتداء إلى أوجه الصواب ، من أقرب السُّبل وأيسرها ، بإرشادٍ من الوزن والقافية فيه إذا لم يضلّ المُحقّق بِسَهْوِهِ الطريق !.

– ٩ –

أما الصعوبة والمشقة والمعاناة فهي في تحقيق النصوص التراثية عن

نسخة يتيمة وحيدة بخط ناسخ ماسخ ، شأن بعض الدواوين الشعرية القديمة التي لم يُعثر إلا على نسخة خطية واحدة فريدة ، كديوان بشار الذي أشرنا إلى كثرة التصحيف والتحريف في طبعته المحقّقة التي تولّى الأخ الصديق الدكتور شاكر الفحام تصحيح عدد كبير من عويص أخطائها ، وبذل جهداً صابراً موفقاً في تصويبها ، ولكنه يُقرّ مع ذلك بأنّ الديوان « ما زالَ يفتقر إلى تضافر العلماء ليضطلعوا بتصحيحه ، فيُقوّموا عِوجَه ، ويمسحوا الهَناتِ عن وجهه » . (نظرات في ديوان بشار : ١٦) وكديوان خالد الكاتب الذي نُشر في بغداد عام ١٩٨١ بتحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي ، وسنستعير من طبعته هذه للديوان ما نقدمه من أمثلة على هذا اللون من التحريف والتصحيف في كتب التراث المحققة والمنشورة عن أصول يتيمة وحيدة ، لِتُقدَّر جهد المحقّق وعذابه فيها .

والحق أن لديوان خالد الكاتب نسخة خطية أخرى ، غير تلك المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق ، والمكتوبة في عام ١١١٠هـ ، وهي نسخة حديثة منقولة عنها في عام ١٣٢٧هـ ومحفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية ، ولم يكن ناسخها ليفضل الناسخ الأول في غفلته وجهله ، ولا نقع فيها على ما يُفيد في تصحيح أخطاء الأولى ، ولهذا « فالنسخة الظاهرية – كما يقول الدكتور السامرائي – تُعد الوحيدة أو الفريدة لهذا الديوان » (ديوان خالد الكاتب : ٦٤) .

وليس من نافلة القول أن نشير إلى أن تحقيق النصوص التراثية عن أصول وحيدة يتطلّب ثقافة واسعة وتجربة غنيّة سابقة ، وخبرة كبيرة بالمخطوطات وخطوطها ورموزها ، وسعياً صابراً دائباً وراء المصادر والمراجع والمظان للعثور على ما يمكن أن تُعارض به تلك النصوص ، لإصلاح السقط والتصحيف والتحريف ، وإنارة الغموض وإزالة الإشكال ، لتقديم النصوص المحققة إلى الطبع في أسلم صورة وأقربها إلى صورتها الأصلية ، قبل تشويه

الناسخين لها ومسخهم لملامحها . فهل تحقق شيء من ذلك كله لديوان خالد الكاتب في طبعته البغدادية الأولى ؟

ولعلَّ من الإنصاف أن نُقرّ قبل تقديم الأمثلة من الديوان المطبوع بأن النسخة الأصلية (الظاهرية) تغصُّ بفيضٍ من التصحيف العويص والتحريف المُشوَّه والكلمات الممسوخة ، وتزداد مهمة المحقق لتصويب تلك الأخطاء في جانب كبير من شعر الديوان صعوبةً ، وهو القسم الذي تنفرد النسخة المخطوطة به ، فلا نعثر عليه في غيرها من المصادر الأخرى ، وفيما يلي أمثلة على كل ذلك :

١ – في (ديوان خالد الكاتب) : (ص : ١٨٣) نقرأ المقطوعة الرباعية التالية :

كُلُّ مَنْ مُـــلِّكَ عبــــدا … أظهـــر النِيــّـة قَصْــدا
مــا لِمــن حُظَّ بــوجــهٍ … حَسَــنٍ أن يتــعــدّى
زاهـــدٌ فيَّ وقـــد نَقَّـــ … ـــصْتُـه وُدّاً وَوَجْـــدا
إنمــا تفــعـــلُ مــا تَفْــ … ــعـلُ بي من ذاكَ عَمْــدا

ويُعلّق المحقق في الحاشية على كلمة (حُظَّ) في صدر البيت الثاني بقوله : « (حُظَّ) كذا ، ولعلّها (خُصَّ) ، فهل أراد بـ (حُظَّ) أنه ذو حظٍّ ونصيب ؟ » .

ويُعلّق أيضاً على كلمتي (وقد نَقَّصْتُه) في البيت الثالث بقوله : « (وقد نَقَّصْتُه) كذا في الأصل ، ولعلّها (وما نَقّصتُه) ليستقيم المعنى » .

هذه المقطوعة ينفرد بها الديوان فلا نعثر عليها أو على بيتٍ منها في مصدر آخر من كتب التراث الأدبي ، وقد وقع فيها من التصحيف ما أفسد بعض معانيها ، وإن لم ينتبه المحقق إليه : ففي عجز البيت الأول تصحيف ماسخ لمعناه ، وتصويبه (أَظْهَرَ التِّيهَ قَصَدًا) وبه يبرز المعنى المراد ؛ أما

الفعل (حُظَّ) في صدر البيت الثاني فاللغويون مختلفون فيه ، وفي اللسان : « قال الجوهري : لم أسمع لِمحظوظٍ بفعل ، يعني أنهم لم يقولوا : (حُظَّ) ، وقال الأزهري : لِلحظّ فعلٌ عن العرب وإن لم يعرفه الليث ولم يسمعه ! » ولعلّ قافية البيت (يتعدّى) مصحّفة وتصويبها (يتحدّى) ؛ والبيت الثالث لا يستقيم معناه ، وما يقترحه المحقق في تعليقه (وما نَقَّصْتُه) مقبول ، وأولى منه في رأينا (وقد أَمْحَضْتُه) وفي اللسان عن الجوهري : « مَحَضْتُه الوُدَّ وأمحضتُه » أي أخلصته وصدقتُه !

٢ – وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص٣٨٩) نقرأ مقطوعة رباعية أُخرى مطلعها :

عذابي بِعَذْب الذِّكْرِ عَذْبِ المُقَبَّلِ ومَنْ سَهْمُهُ الريّانُ من دَمِ مَقْتَلي

والبيت الأخير فيها :

وغالَبني من دَمْعِ عَيْنَيَّ واكفٌ جرى منه مجرى عَبْرَةِ المُتَنَحّلِ

ويُعلّق المحقق على كلمة (المُتنحّل) بقوله : « (المُتنَحّل) كذا فهل أصلها (المُتَنَخّل) ؟ المُتَنَحّل : المُدَّعي ، المُتَنَخَّل : الشيء المُتخَيَّر » ومن هذا التعليق نُدرك أن المحقق اهتدى بإرشاد من الوزن والقافية إلى الصيغة المُصَحَّفة ، وهي (المُتَفعّل) وكان على ثقافته الأدبية أن تُوصله إلى (المُتَنَخّل) الشاعر الهُذلي الجاهلي المشهور بِمَراثيه لابنه المقتول أُثَيْلَة ، وبدُموعِه الغزيرةِ التي سكبها حزناً عليه ، كقوله : (ما بالُ عينكَ تبكي دمعُها خَضِلُ) وقوله :

(فانهلَّ بالدمع شؤوني كأنْ نَ الدمع يستبدرُ من مُنْخُلِ)

إلخ ..[1] وخالد الكاتب يضرب المثل بعبرة المُتَنَخّل الهُذَلي لذلك ، ولكن

---

(١) انظر أشعار المُتنخّل الهُذلي في (ديوان الهذليين) القسم الثاني ، وانظر (الأغاني) : ١٠٣/٢٤ (ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

المحقق قفز إلى (المُتَنَخَّل) والشيءِ المُتخيَّر ، فضلَّ الطريق !

٣ – وفي (ديوان خالد الكاتب) : (٣٣٦ – ٣٣٧) نقع على المقطوعة الرشيقة التالية :

يــا عــينُ كم أدعــو عَــلَيْـــ ـــــكِ ولا يُــريحُ اللهُ مِنْــكِ
مـــــا كان أفقـــــرني إلى قــلبـي وأغـنى القـلبَ عنكِ
كم خُنتِـــني وخَـــذَلْتِ قَــلْـ ـبــاً لم يَخُـنْـكِ ولم أَخُنْـكِ
يــــا ليـــلةً بـــل ليـــلتي لم أأتَمــنْـكِ ومـــا أتـــا منــكِ

ومن تعليقات المحقق على الأبيات نعلم أن البيت الأول وحده في (الأغاني : ٢٣/٢٠٩) وأن الديوان ينفرد برواية الأبيات الباقية ، ويقول المحقق في التعليق على البيت الرابع :

« (وما أتا منك) كذا » فندرك أن التصحيف الشامل في صدر البيت لم يستوقفه بغموضه وفساد معناه ، فلم يُشر إلى ذلك في الحاشية ، واكتفى بالإشارة إلى القافية وحيرته في الاهتداء إلى وجه الصواب فيها ، وتصحيحُ البيت كلّه :

يـــا لَيْتَـــهُ بـــل لَيْتَـــني لم أأتَمِــنْــكِ وَيَــأْتَمِــنْــكِ

وبه يزول الغموض ، ويتّضح المراد ، ويتصـل معنى البيت الأخير بمعاني الأبيات في المقطوعة ، ويُلخّص فكرتها العامة .

٤ – وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص : ٣٣٨) نجد المقطوعة التالية :

سالِمَ الجسمِ لا عَدِمْتَ رُقادَكْ وتَمَكَّنْتَ مـا حييتَ رُقــادَكْ
ارْحَمِ المُبْتَلَى الكئيبَ الذي يَشْـ ـكـو إلى اللهِ وَجْدَهُ وبِعـادَكْ
كن رؤوفـاً بـهِ وأنعِـمْ عـليـهِ وخَفِ اللهَ واذْكُرَنَّ مَعـــادَكْ
ثُمَّ عُدْهُ ولو يكـونُ – ولا كُنْـ ـتَ – سقيماً ، **كان يكون بعادَكْ**

وهي مّما ينفرد الديوان بروايته ، ونجد المحقق يكتفي بنقل ما في الأصل المخطوط بأمانة ، مع التعليق على البيت الأول بهذه الحاشية : « (رُقادك) » كذا في العروض والضرب ، وعلى البيت الرابع بحاشية ثانية : « كذا العجز » ، ومن هاتين الحاشيتين نُدرك أن المحقق يُعلن حيرته وقُصوره عن تصويب التصحيف الماسخ للمعنى في البيتين ، ويُنبّه قارئه إليه ؛ فإذا أعلمنا الفكر وراعينا رسم الحروف وظلال المعاني التي نلمحُها من وراء الكلمات الممسوخة في البيتين صححناها كما يلي :

سالمَ الجسمِ لا عدمتَ رَشَادَكْ ... وتَمَلَّيْتَ ما حَيِيتَ رُقادَكْ

....

....

ثُمَّ عُدْهُ ولو تكونُ – ولا كُنْـ ... ـتَ – سَقِيماً كما يكونُ لَعَادَكْ

وبهذا التصحيح يبرز المعنى المراد في البيتين ويزول غموضه .

٥ – وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص ٣٤٢ – ٣٤٥) تُطالعنا واحدةٌ من قصائد المديح القليلة في شعره[1] ، لنقف عند الأبيات السبعة الأولى منها ، وكلُّها في النسيب :

عينٌ بها من دمعِها كُحُلٌ ... **يكفحها** عن نومها شُغُلُ
أَنِسَتْ مآقيها بِعَبْرتِها ... فكأنَّ عبرتَها لها شَكْلُ
تبكي على قلبٍ أضرَّ بهِ ... طولُ الهوى ، **وبيانُهُ** الوَصْلُ
مُستشعرٍ حُرَقاً مَخَيِّمةً ... بين الضُّلوعِ كأنّها النَّبْلُ
حَيْرانَ من شوقٍ إلى رَشَأٍ ... يحظى به الإخلافُ والمَطْلُ
مَلَكَ القلوبَ بِطَرْفِ ساحِرَةٍ ... حوراءَ صَنْعَةُ لَحْظِها الخَبْلُ
يرنو بها قمرٌ تَضَمَّنَهُ ... غُصنٌ يَنُوءُ **بِبَعْدِهِ القَتْلُ**

(١) انظر مقالتنا (شاعر عبّاسي ذاتي : خالد بن يزيد الكاتب) في مجلة (المعرفة) الدمشقية : العدد : ٣٦ (شباط ١٩٦٥) ص : ١٢٠ – ١٢٧ .

ونقرأ تعليقات المحقق على الأبيات بأرقامها في الحواشي :

١ – (يكفحها) في الأصل : (يكفخها) .

٢ – (شكل) : شبه ومثل ومناسب .

٣ – (وبيانُه الوصلُ) كذا .

٤ – (حُرَقاً) في الأصـل (خرقا) تصحيف ، و(النُّبـل) في الأصل : (التبل) .

٥ – (الإخلافُ) في الأصل : (الأخلاق) تحريف .

٧ – (بيعده القتلُ) كذا .

ومن هذه التعليقات يتبيَّن لنا أن جهد المُحقِّق اقتصر على تصويب التصحيف في البيتين الرابع والخامس ، واجتهد دون جدوى في تصحيح التحريف في البيت الأول فجاء بكلمة (يكفحها) التي لا يقبلها الوزن ولا المعنى ، واكتفى بإعلان حيرته بوضع كلمـة (كذا) في التعليق على الأخطـاء الأخرى ، وترك للنقّـاد والقـراء أن يحاولوا الاهتداء إلى أوجه الصواب فيها ، وفيما يلي ثمرة محاولتنا المتواضعة ، ورجاؤنا أن يحالفنا التوفيق فيها :

١ – عينٌ بها من دمعها كُحُلُ وبِجَفْنِها عن نَوْمها شُغُلُ
٣ – تبكي على قلبٍ أضَرَّ بهِ طولُ الهوى ونَبَا بِهِ الوصلُ
٧ – يرنو بها قمرٌ تَضَمَّنَهُ غُصنٌ ينوء بِبَعدِهِ القَبْلُ

والتصحيف في عجز البيت الأخير من أعوص التصحيف في الديوان ، والشاعر يكني بالبَعْدِ والقَبْلِ عن الرِّدف والخصر ، وهو يكرّر هذه الكناية في موضع آخر من الديوان (ص : ٣٦٨) فيقولُ في وصف المحبوب :

مثالُ نُورٍ يمشي به غُصُنٌ يعجزُ عن حَمْلِ بَعْدِهِ القَبْلُ

ولم يفطن المحقق إلى الكناية فيه لأنه نقل بأمانة تامةٍ رواية الأصل المصحّفة : (**بعدِه الفِيلُ**) وعلّق عليها في الحاشية : « كذا ! » مُعلناً قصوره أيضاً عن الاهتداء إلى التصويب ! وكذلك يُصبح التعليق بـ (كذا) وسيلة سهلة وسريعة لتخطّي مواطن المشكلات في ديوان خالد – وما أكثرها – ويفقد التحقيق جانباً كبيراً من قيمته ، ويحكم على الديوان بالحاجة إلى تحقيقٍ جادٍّ من جديد !

٦ – وللتدليل على صحة هذا الحكم على الديوان المطبوع نُقدّم بإيجاز كبير أمثلة أخرى للتصحيف والتحريف فيه ، مما لم يهتد المحقق إلى تصويب الأخطاء فيها ، واكتفى حيناً بالتعليق بـ (كذا) في الحاشية ، واجتهد حيناً في البحث عن تصحيح مقبول فلم يُسعفه التوفيق في اجتهاده ، وتغافل أحياناً عن التنبيه على كثير من الأخطاء فلم يقف عندها ولم يُعلق عليها في الحواشي :

أ – في الصفحة : (١٥٥) من الديوان هذا البيت :

يـا قُـرْبَـهُ **حـلفَ** الذنـوبُ   وتنـافست فيـه القـلوبُ

وعلّق عليه في الحاشية : « (حَلَف) كذا ، فهل أصلُها (خَفَّ) » ؛ وتصويبه :

يـا مَنْ بِـهِ حَـلَتِ الذنـوبُ   ....

ب – وفي الصفحة (١٦١) من الديوان هذا البيت أيضاً :

يا مُقلةً سوف أبكيها ويا كبداً   بها **أُنيط** الهوى والشوقُ فاحترقتْ

وعلّق عليه : « الأصل (لعاط) تحريف ، ولعل الصواب ما أثبتناه » ولكن التصويب الذي يُقرّبنا من رسم الكلمة هو : (بها أُحاط الهوى والشوق فاحترقت !) .

جـ – وفي الصفحة (١٧٧) هذا البيت :

كيف لي أن **أراك** قبـــل ممـاتي   منـكَ يـا مَن أُحِبُّــه مـا أُريدُ

ولم يعلّق عليه بشيء ، وكأنه غافل عن التحريف في صدره ، وقد أفسد معنى البيت كله ، وتصويبه :

كيف لي أن أنــال قبـــل ممـاتي   ....

د - وفي الصفحة (١٨١) هذا البيت :

بـــواتـــه كيف الوصـــــا   لُ فقـــال لي : هـل من مَـزِيـدِ

وعلّق عليه « (بواته) كذا .. ولعلّها بدأتُه ... » والتصويب الذي غُمَّ عليه أمرُه واضحٌ وقريب :

بَـــوَّأْتُـــهُ كنَفَ الوصـــــا   لِ ....

هـ - وفي الصفحة (٢٠٥) هذا البيت :

ينـــامُ من لا سَـهِـرَتْ عينُــهُ   **فَعَبْـدُهـا يخشـى** يكـن راقـدا

وعلّق عليه : « (يكن) كذا ، ولا وجه لجزمه ! » فدلّل المحقق على غفلته عن التحريف في عجز البيت ، وهو من عويص أخطاء الديوان الماسخة لمعانيه ، وتصويبه : (فحيثُما يُمْسِ يكُنْ راقِدا) .

و - وفي الصفحة (٢٦٣) هذا البيت :

يا ليـلةَ الوصـلِ إنّي شـاكرٌ أبَداً   **فبـالزِّيـارة** يُجْزى كُلُّ من شَكَرا

ولم يُعلّق على البيت بشيء ، ولم يستوقفه التصحيف في كلمة (فبالزِّيارة) الذي أفسد معناه ، وقطع الصلة بين صدره وعجزه ؛ وتصويبه (فبالزِّيادَةِ) يُجزى الشاكرون ، وفيه تضمينٌ لمعنى الآية الكريمة : ﴿ لئن شكرتُم لأزيدنَّكُمْ ﴾ (سورة إبراهيم : ٧) وبهذا التصويب يتألّق معنى البيت ويُشرق بيانُه ، وتبرز الصلة بين شطريه .

ز - وفي الصفحة (٣٠٦) هذا البيت ، مع سابقه لصلته بمعناه :

يـا مَن وفى قـلبي له وتَضَـمَّنَتْ نفسـي له مِقَـةَ الحبيبِ ومَا وَفى
ما كان صبرُكَ حين أسمَعَكَ الهوى شكوى المُحبِّ الليـلَ أن تَتَعطَّفا

ولم يُعلّق على البيت الثاني بكلمة ، وغفل عن ملاحظة التصحيف في صدره (صبرك) وملاحظة التحريف في عجزه (الليل) ولم ينتبه إلى اضطراب المعنى وغموضه فيهما ، والتصويبُ :

ما كان ضَرَّكَ .... شكوى المُحِبِّ إليكَ ....

وفي الصفحة (٣٩٢) يقول خالد الكاتب في مدح الحسن بن وهب الكاتب :

مُذَهَّبٌ في لُبـابِ المُلْكِ أُسْرتُهُ أهـلُ الكتـابةِ والألبـابِ والحُلُمِ

ويكتفي المحقق بشـرح كلمـة (مُذَهَّب) في التعـليق فيقـول : « مُذَهَّبٌ : مَطْلِيٌّ بـالذهب » ! ومثـل هذا الشـرح الذي لا حاجة إليـه ولا فائدة منه للكلمة المُحرَّفة يخدع القارئ ويصرفه عن الشك في تحريفها ، ويدل على القصور والعجلة والاستخفاف بمُهمّة التحقيق وَوَعْي القُرّاء في آنٍ معاً ، وتصويب الكلمة (مُهَذَّبٌ) وهذا اللون من التحريف بتقديم حرف على آخر مألوف من النُسّاخ ، وتصحيحه سهلٌ ويسير !.

ط - وفي الصفحة (٤١٠) هذا البيت من مقطوعة رباعية :

والذي أهـوى يَمـيـني وكفـى بـالذي أهواهُ عنـدي سَـقَمـا

وتعليقُ المحقق عليه بقوله : « (السَّقَما) الواردة في بيت آخر من هذه المقطوعة : إيطاء ! » يؤكد سهوه عن ملاحظة التحريف في الكلمة ، وهو من اللون المألوف كما قلنا في المثل السابق ، وتصويبه : (قسما) وكلمة (يميني) في صـدر البيت تقتضي هذه القـافيـة له ، وأصحـاب البديع يتحدثون عن مثل هذه القافية في باب (الإرصاد أو التسهيم أو الترشيح إلخ ..) (العمدة : ٢/٣٠ - ٣٣) وبزوال التحريف استقام معنى البيت :

فخالد يُقسم بمن يهوى وكفى به قسماً .

ي – وفي الصفحة (٤١٢) هذان البيتان من مقطوعة رباعية :

حَلَّ من القلبِ في الصميم مَحلَّ مُسْتَوْطِنٍ مُقيم
من حَلَّ حُسناً بدون حتى دقَّ عن الحسن والنسيم

وعلّق المحقق على البيت الثاني بقوله : « (حلَّ) كذا ، ولعلّها (جلَّ) . (بدون حتى) : كذا » ولكنَّ هذه المقطوعة لم ينفرد بها الديوان ، وهي في (طبقات الشعراء) لابن المعتز (ص : ٤٠٥) ولم يعثر المحقق عليها ، ولو فعل لأفاد منها في تصويب البيت :

من جَلَّ حُسناً ودَقَّ حتى دقَّ عن الحِسِّ والنسيم

ورواية الطبقات (عن اللحظ والنسيم) ولعل تصويبنا لرواية الديوان هنا أولى ، والمقطوعة يعزوها ابن المعتز إلى محمد بن القاسم الدمشقي ، وجاءت أخبار خالد بن يزيد الكاتب بعدها مباشرةً عنده ، مّما يدعو إلى الشكّ في صحة نسبتها إلى الدمشقي ، واحتمال انتقالها إلى أخباره ، من أخبار خالد التي تتلوها في الصفحة المشار إليها من (طبقات الشعراء) .

هذه الوفرةُ من أمثلة التصحيف والتحريف في أشعار ديوان مطبوع عن نسخة فريدة تُظهرنا على الصعوبة البالغة في تحقيق نصوصها ، فإذا لم يكن المحقق مُؤَهَّلاً تأهيلاً كاملاً لتذليل العقبات والتغلّب عليها بالأناة والصبر والتبصُّر وسعة الاطلاع والخبرة غدت عملية التحقيق على يديه شيئاً عقيماً لا فائدة منه ، ولا بُدَّ للغيورين على التراث من التصدّي لعمله والكشف عن مساوئه وعيوبه ، والدعوة إلى إعادة التحقيق للكتاب من جديد لتخليصه من التشويه ، وتقويم أخطائه ، وتقديمه إلى القُرّاء ، بعد بذل أقصى الجهود الجادّة ، في أصح صورة له ممكنة وأسلمها .

– ١٠ –

ومهما يكن فإن الجهود الجادة في التحقيق تعجز أحياناً عن تصويب العويص من التصحيف وتصحيح الغريب من التحريف ، في النصوص التراثية التي لم يصل إلينا منها غير نسخة وحيدة عبث بها الناسخ الماسخ وأفسدها ، فهذا لونٌ من التصحيف والتحريف يتطلب تضافر العلماء المتمكّنين المؤهّلين ليضطلعوا بتصحيحه ويُشاركوا في تحمّل ذلك العبء الثقيل على كاهل الأفراد من المُحققين ، ويدُ الله مع الجماعة ، وفيما يلي أمثلة على ذلك :

١ – في (ديوان بشار بن برد) : ٣٣٥/٢ الذي حقّقه وشرحه الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور ، شيخ جامع الزيتونة بتونس ، والذي راجعه عالمان من مصر وعلّقا عليه ووقفا على طبعه ، هذان البيتان من قصيدة طويلة يمدح بها بشار سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، ويتحدث عن معارك أبيه قُتيبةَ الفاتح العظيم وغزوه بفرسانه أطراف الصين :

قادَ **الجنودَ** من البُصَيْرَةِ للعِدا حتى وقعن **بصِين ثغر** قُودا
خيلاً **مُخَفَّفَةً** وخيلاً حُسَّراً لا يَغْتَلِجْنَ مع الشكائمِ عُودا

وشرح المحقق في تعليقه على البيت الأول كلمة (البصيرة) : تصغير البصرة و(صين ثغر) : موضع لم يرد ذكره في ياقوت ولا في كتب التاريخ ، والظاهر أنه من ثغور الصين ، وهي فرغانة التي فتحها قتيبة أو كاشغر .. والأظهر أن يكون مركّباً مزجياً ، فتكون نون (صين) مفتوحة وتنوين (ثغر) للضرورة ! كما شرح المحقق كلمة (قودا) : جمع أقود وهو الفرس المنقاد المذلّل وأضاف المعلّقان المصريان أن نون (صين) مكسورة في المخطوطة وفي نسخة الشارح بالفتح ، واكتفيا بذلك .

وقرأ الناقد الدكتور شاكر الفحّام البيت فاستوقفه التحريف في

صـــدره وعجزه ، وبذل جهداً حميداً في الوصـول إلى وجه الصـواب في كليهما ، فقال في (نظراته في الديوان : ص١٢٣) : « كلمة (الجنود) في صدر البيت مُحرّفة عن (الخيول) يدل على ذلك قولُه (وقعن ... قُودا) في العجز ، فنون النسـوة التي أسند إليها الفعل وقع ، لا تصحّ أن تكون ضمير الجنود ، والقود من صفات الخيل لا الجنود ، وبهذا التصحيح يستقيم مطلع البيت الثـاني (خيلاً ... وخيلاً ...) لأنّها بدلٌ من الخيول التي وردت في البيت الأول ، وكلمة (ثغر) في عجزه يُخيَّل إليَّ أنها محرّفة عن كلمة (بغر) أو (بغبر) » ويقول الناقد في موضع آخر من (نظراته في الديوان : ص١١٨) : « وكلمة (بغبر) أو (بغبور) كانت تعني الأرض المـترامـيــة الأطراف في المشــرق ، فيما بعـد وراء النهر ، حتى تبـلغ تخوم الصين » .

أما البيت الثـاني فقد جاء في شـرح المحقق له : « (مُخفّفة) أي مجعول لها خفاف جمع خُف ، وهو جلد يُلَفُّ فيه حافر الفرس إذا خيف عليه التورُّم من كثرة المشي ... و(الحُسَّر) : جمع حاسر ، وهو الذي سار حتى عَيِيَ ... وقابل المُخففةَ بالحُسَّر لما يتضمّنه معنى الحسر من الاحتياج إلى جعل الخفاف لها ؛ ويعتلجن : يعالجن ، يقول : إنهنّ لإعيائهن لا يحتاج الراكب أن يضيّق عليهـا الشكائم بأعوادٍ في الأفواه تزاد في اللجم للخيل الشـديدة ! » ولم يجد المعـلّقـان المصريان بعد هذا الشرح ما يقولان ... ولكن الناقد وجد ما يقوله ، وقد استوقفه التصحيف في كلمة (مخفّفة) وأعانه جهدُه الصـــابر وثقافته على الاهتداء إلى تصويبه ، فصحة الكلمة (مُجفّفــة) ، ففي اللســـان « فرسٌ مجفّف ، عليـه تجفـاف ، وتجفيف الفرس : أن تُلبسه التجفاف الذي يوضع على الخيل من حديد أو غيره في الحرب » وفي أساس البلاغة : « جفّف أهل الحرب : صنعوا التجافيف » وفي تاريخ الطـبري : « وإنّ معـه لمجفّفة أمامه » وينتهي الناقد إلى القول :

« وبذلك يتألّق معنى بشار الذي يصف به قوة القائد العظيم فاتح بلاد الترك ، وحُسنَ تأهبه،للقاء أعدائه ، وتتمُّ له الصنعة الجميلة التي كان يُزيِّن بها أشعاره » .

وهكذا نرى أن التحريف والتصحيف في بيتي بشار هذين احتاج تصحيحُهما إلى تضافر جهود عدد من العلماء المتمكنين من الأقطار العربية (من تونس ومصر وسورية) ولولا ذاك لما أمكن تقويم أخطاء البيتين والاهتداء إلى حقيقة ما أراد الشاعر أن يقول فيهما .

٢ - ومثال ثانٍ على عويص التصحيف في ديوان بشار أيضاً : (١٤٤/١) ومساهمة ناقد سوري آخر هو الدكتور محمد حموية في كشف غموضه ، بعد الجهد الذي بذله شارح الديوان ومحققه التونسي ، ومراجعة المعلقين المصريين الفاضلين للديوان وشرحه عند طبعه ، والحق أن (نظرات الدكتور الفحام في ديوان بشار) حرّكت الدارسين على موالاة العناية بديوان بشار لتخليصه من الآفات والأخطاء وألوان التصحيف والتحريف التي يغص بها ، لما قدمناه من الكلام على عبث الناسخ بالديوان حتى كاد يصير غلطاً صرفاً ، وكتب الدكتور حموية (ملاحظات على ديوان بشار) في مجلة المجمع بدمشق (المجلد : ٦٠/الجزء الثالث والرابع لعام ١٩٨٥) وقد سار فيها على نهج أستاذه الدكتور الفحام في (نظراته) وفيما يلي إحدى ملاحظاته (ورقمها : ١٧ - مجلة المجمع : ٥٩٠/٦٠ - ٥٩١) على خاتمة أُرجوزة لبشار يمدح بها عُقبة بن سلم وقد جاء فيها :

إنّي من الخَيْسِ على اكتئابِ
فاحسم تَبَيّا أو تُنِيلُ ما بي
ولا يكُنْ حَظّي انتظارَ البابِ

كما جاء في تعليق الشارح قوله : « (تبيّا) : أصلها تتبيّا ، أي تتبيّن ، أو يقال : بيّاكَ اللهُ ، أي قَرّبكَ إليه وأنعمك » ولم يجد المعلّقان

المصريان ما يضيفان إلى شرح الشارح المحقق ، وقد استوقف التصحيف في قول بشار : (فاحسم تبيّا أو تُنيل ما بي) الناقد عنده وحكم بأن في هذا القول : « أعوص تصحيف وأغمضه في الديوان كله ، لأنه ليس في اللفظ ما يُرشد إلى معناه .. والصوابُ فيه : (فاحسم بِتَيَّا أو بِتِيكَ ما بي) وتَيّا وتيكَ : اسما إشارة ، ولا بد من شرح المعنى حتى يتّضح المراد ، وتلخيص المعنى المراد هنا أن بشاراً يستنجزُ عُقبة (الممدوح) وعداً بالعطاء ، ولكنه أطال حبسه (مُكثه) على بابه دون انجاز ، فتضايق بشار من هذا المطل ، فطلب من ممدوحه أن يحسم الأمر إمّا بنعم وإمّا بلا ، فـ (تيّا وتيكَ) اشارتان إلى (نعم ولا) ، وقد استعمل بشار هذا المعنى بهذين اللفظين في شعره فقال : (١١٩/٣) :

صِدْقُ البخيلِ يَسُرُّني ... ويَسُوءُني كَذِبُ الجَوَادِ
إنّي لأُنجِزُ ما وَعَدْ ... تُ على الطريفِ وفي التِّلادِ
وإذا سُئلتُ أتيتُها ... ضَرْبَ الأميرِ طُلا الأعادي
إمّا بِتَيّا أو بِتيـ ... ـكَ وراحةٌ تَرْكُ الكِدادِ

إلخ ... » وأشار الناقد إلى أن البحتري أفرد لهذا المعنى باباً في حماسته (الباب الخامس والثمانون) وهو معنى مطروق ، فالممدوح مطالب بأن يحسم الأمر (إمّا بنعم وإمّا بلا) ولا يدع الشاعر ينتظر طويلاً على بابه ، يستنجزه وعده بالعطاء ، فترك الإلحاح راحة ، واليأس إحدى الراحتين كما يقولون .

٣ – وفي (نكت الهميان في نُكت العُميان) للصفدي (ص٢٩٢ – ٢٩٣) الذي حققه ووقف على طبعه الأستاذ أحمد زكي نقرأ خبراً عن الشاعر المصري الأعمى موفّق الدين العَيْلاني (٥٤٤ – ٦٢٣هـ) وهجاءِ ابن المنجّم له ، فقد « كان الموفق يقرأ في مسجد كهف الدين طُغان ، فكتب ابنُ المنجم إليه :

يــا كهفَ دينِ الله يــأوي له فتيـــةُ كهفٍ قطُّ لم يكفـروا
لا تظـلم الاستبطـل في كفّهـم فهـو بِسَبِّ النـاسِ مُسْتَهْتَـرُ
ولا تَقُـل دَعْـهُ يكـن كلبَهـم فكـلبُ أهلِ الكهف لا يَعْقِرُ

فطرده طُغانٌ من المسجد » .

نقرأ الخبر فيستوقفنا اختلال الوزن في صدر البيت الثاني ، ونعجب من سهو المحقق عنه وإغفال التعليق بحاشية عليه ، ففي هذا الشطر وحده أكثر من تصحيف وتحريف : وربما كان فيه أعوص تصحيف أو أغمض تحريف في الكتاب كله : فكلمة (الاستبطل) محرّفة عن (الإسْطِيل) ولهذه الكلمة في معاناة التصحيف والتحريف تاريخٌ طويل ، ومعناها (الأعمى) وقد ذكرها الجاحظ في (البخلاء : ٣٩ و٤٥) وهو يُعدِّد أصناف المُكَدِّين (الشحّاذين) وتولّى بنفسه شرحها فقال : « الاسطيلُ : هو المُتَعامي : إن شاء أراكَ أنه مُنخسفُ العينين ، وإن شاء أراك أنَّ بهما ماءً ، وإن شــاء أراكَ أنه لا يُبصر »[1] ، وذكرها الثعالبي في اليتيمة (٣/٣٥٩) في تفسيره لبيتٍ من القصيدة الساسانية جاء فيه (سَطَّل) فقال : « سَطَّلَ : إذا تعامى وهو بصيرٌ ، يُقال للأعمى : الإسطيلُ » وفي بيتٍ آخر من تلك القصيدة يقول : « (اليتيمة : ٣/٣٦٦)

ومِنّـــا كُلُّ إســـطيـــلٍ نَقِـــيِّ الذهنِ والفـــكـــرِ

الأسطيل : الأعمى » وجاء في (شفاء الغليل) للخفاجي : (ص٦١) : « الاصطيل بلغة أهل الشام : الأعمى » وهو ينقل شرح الكلمة عن (نكت الهميان) : (ص١٠٣) الذي صُحِّفت فيه الكلمة فصارت (الاسطبل) في خبر مشهور عن المعري في بغداد ، حين قصد العالم النحويَّ عليَّ بن عيسى الرَّبَعي ليقرأ عليه ، فلما أُدخل عليه قال له : ليصعد

(١) وانظر أيضاً (المحاسن والمساوئ) للبيهقي : ٥٨٣ (نقلاً عن الجاحظ) .

الاسطبل ! (والاسطبلُ في لغة أهل الشام الأعمى) فخرج المعري مُغضباً ولم يعد إليه ! وأصبحت كلمة (الاسطبل) أو (الاصطبل) من التصحيفات السائرة نقع عليها في كل كتاب ينقل حادثة المعري مع الرَبَعيّ[1] خلال العصور ، والعلماء الاجلاء الذين تولوا جمع تراجم أبي العلاء بإشراف الدكتور طه حسين في كتاب سمَّوه (تعريف القدماء بأبي العلاء) وقد صدر في عام ١٩٤٤ بمناسبة المهرجان الألفي لأبي العلاء ، لم ينتبهوا إلى التصحيف في الكلمة فنقلوها مُصحّفةً خمس مرات (ص : ١٦ ، ٧٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٧ ، ٥١٦) إلى أن تمّ تصحيحها في (المعجم الوسيط) ففيه :

« الاصطيل : الأعمى ، خاطب بها الشريف المرتضى أبا العلاء في بغداد » (باب الهمزة من المعجم الوسيط : ١٩/١) وأُشير فيه إلى أنها لفظ دخيل ، دخل العربية دوّن تغيير من اللفظ الأجنبي ؛ وعرض الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر لذلك في كتابه (أباطيل وأسمار)[2] ، غير أن الكلمة في بيت ابن المنجم ازدادت تحريفاً وتشويهاً ، فغدت (الاستبطل) وتهشّم بها الوزن ، وبتصحيحها يتّزن البيت ، ولكن المعنى يظل غامضاً (لا تظلم الاسطيلَ في كفّهم) وكلمة (تظلم) قلقة وليست في موضعها ، فكيف يُطالب الشاعر بالعدل مع الأعمى وهو يهجوه ، ويُخيّل لي أن في الكلمة تحريفاً ، وأن كلمة (كفّهم) خطأ مطبعي صوابُه (كهفهم) يُعين على تصحيح التحريف :

---

(١) انظر ترجمة المعري في (نزهة الألباء) لابن الأنباري ، و(الانصاف والتحرّي) لابن العديم ، و(معجم الأدباء) لياقوت و(نكت الهميان) و(الوافي بالوفيات) للصفدي ، وهي كلها في كتاب (تعريف القدماء بأبي العلاء) .

(٢) هذا إن لم تخني الذاكرة ، وقد بعد عهدي بالكتاب ، ولا أجده تحت يدي اليوم !

لا تَنْظِـمِ الاسطيـلَ في كهفهـم ....

وبهذا التصحيح يزول غموض البيت ويَتَّسِق معنى الأبيات الثلاثة : فالشاعر يسأل أن يُطرد الشاعر الأعمى من مسجد كهف الدين طُغان ، ويُحرّض صاحب المسجد لكيلا يدعه يقرأ فيه مع الطلبة الآخرين ، فهؤلاء الطلبة مثل فتية الكهف ، الذين آمنوا بربّهم ولم يكفروا به أبداً ، والأعمى ليس جديراً بالانضمام إليهم ، والانتظام في سلكهم لأنه سبّابٌ للناس ، وهو ليس جديراً بأن يكون بمنزلة الكلب الذي رافق أهل الكهف ، لأن كلبهم ذاك كان وديعاً مُسالماً لا ينهش الناس ولا يجرحهم ولا يُؤذيهم ، وقد استمع طُغان إلى نصيحة الشاعر فطرد الأعمى من مسجده !.

٤ ـ والأمثلة على هذا اللون من التصحيف العويص والتحريف الغامض في كتب التراث الأدبي المحققة لا تنتهي ، فإذا اقتصرنا على تقديم أمثلة أخرى من (ديوان بشار) و(نكت الهميان) أدركنا حاجة التراث إلى تخليصه من تلك الآفات بجهد جماعي يُشارك فيه كل ذي قدرة وخبرة من العاملين في ميدان التحقيق ، فهذا ديوان بشار بعد الجهود المضنية التي بذلها الشيخ الجليل ابن عاشور وأعانه من أعانه على مراجعة التحقيق من العلماء بمصر ، وبعد المساهمة الجادة لتصحيح الديوان المطبوع الذي يغصُّ « بألوان من التصحيف والتحريف » (مجلة المجمع بدمشق : المجلد ٦٠/٦٠٠) من قبل عدد من العلماء الغيورين على التراث في سورية ، « ما زال يفتقر إلى تضافر العلماء ليضطلعوا بتصحيحه » كما يقول بحق الدكتور شاكر الفحام في نظراته (ص : ١٦) فالديوان ما زال بحاجة إلى من يتصدى للكشف عن عويص تصحيفاته وتحريفاته الكثيرة، من أمثال قول بشار : (٥٨/٢)

حلفتُ بمن حجَّ المُلبُّون بيتَه وبالخيفِ والرّامين للجمراتِ

لتقبيلُ خَدَّيْها ومصٌّ لسانها **ألذُّ من الباكين في عرفاتِ**

وكان ابن عاشور – رحمه الله – أشار إلى اختلال المعنى في البيتين وغموضه في التعليق عليهما فقال : « ليس البكاءُ في عرفات من اللذات ! » فهناك دون ريب تصحيف ماسخٌ للمعنى الذي أراده بشار ، ينتظر همّة النقّاد والدارسين لتصويبه ؛ ومثل هذا المثال في ديوان بشار كثير !

٥ – ومن (نكت الهميان) : (ص١٩٦) هذا المثال من قول ابن حجّاج في أنف الخليفة الطائع ، وكان كبير الأنف :

خليفةٌ في وجهه رَوْشَنٌ خَرْبَشْتُهُ قد ظلّل العسكرا

عهدي به يمشي على رِجْلِهِ وأنفُه قد صعِد المنبرا

وانتبه المحقق الأستاذ أحمد زكي إلى التصحيف في كلمة (خَرْبَشْتُه) واكتفى بالتنبيه عليه بهذا التعليق في الحاشية : (كذا في الأصول) لكي يُجرّبَ غيرُه حظَّه في تصحيحه ، وقد ورد البيتان في : (فوات الوفيات : ٢/٦)ولكن محققه الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد لم ينتبه إلى التصحيف العويص ولم يُنبِّه عليه[1] !

والحق أن التصدي لهذا اللون الصعب من التصحيف والتحريف العويص والغامض يتطلّب من القادرين عليه حظاً كبيراً من الكفاية والدراية ، والفطنة والذكاء ، والتضحية والصبر ، والتضامن والتعاون ، لبلوغ الغاية ، وقد قلنا – ونعاود القول – إن العمل الجاد في هذا الميدان عبء ثقيل ينوء بالعصبة أولي القوة ، ولكن ما لا يُدركُ كُلُّه لا يُترك جُلُّه .

– ١١ –

ونصل الآن إلى لون أخير من التصحيف والتحريف : فهناك

(١) انظر نقد الأستاذ الدكتور مصطفى جواد لهذه الطبعة من (فوات الوفيات) في مجلة المجمع بدمشق (المجلد : ٢٧٢/٤٣ – ٢٩٥) .

نصوص تراثية مشهورة يتناقلها الرواة جيلاً بعد جيل ، ولا يرون خطأً فيها ، ويحفظها المتأدبون لأنها من مأثور تُراثنا الأدبي ، وننظر فنجد من يدَّعي حدوث التصحيف أو التحريف فيها ، ويُقدّم التصويب الذي يرى فيه تصحيحاً للخطأ السائر المتداول .

ونورد فيما يلي ثلاثة أمثلة على ذلك ، من مشهور شعر بشار وأبي نواس والبحتري :

١ – في (مختارات أحمد تيمور) : (ص : ٦٩) التي انتقاها من طرائف روائع الأدب العربي فائدةٌ منقولة عن كتاب (تثقيف اللسان) للقاضي عمر بن مكي الصقلّي النحوي :

« باب التصحيف : ... ومن ذلك قولُ بشار :

يا قومُ أُذني لبعضِ الحيّ عاشقةٌ والأذن تعشق مثل العين أحيانا

يقولون : (قبلَ العين) والروايةُ (مثل العين) ويدلُّ على ذلك الذي بعده :

قالوا: بِمَنْ لاترى تهذي فقلتُ لهم الأُذن كالعين تُوفي القلبَ ما كانا

فقولَه : (الأُذن كالعين) يشهد لـ (مثل) لأنّ معنى الكاف ومعنى مثل واحد . »

٢ – وفي كتاب (مع المصادر في اللغة والأدب) للدكتور إبراهيم السامرائي : (٢٧٩/٣ – ٢٨٠) نجد تعليقاً على بيت أبي نواس المشهور في مدح الأمين محمد بن هرون الرشيد :

وإذا المطيُّ بنا بَلَغْن محمّداً فظُهورُهنَّ على الرِّجال حرامُ

جاء فيه : « أقول : هذه هي قراءة البيت .. في الديوان وسائر الكتب التي أثبتت القصيدة. غير أن الدكتور مصطفى جواد قال : والصواب : (فظهورهنّ على الرِّحال حرامُ) أي الرِّحال جمع رَحْل ، وليس

الرِّجال جمع رجل ، والمعنى : يجب أن تعرى المطيُّ من الرِّحال ! »

٣ - وفي مقالة للدكتور محمد صبري في (مجلة قافلة الزيت المجلد : ١١ العدد الخامس : ص : ١١) عنوانها (منهاجي كمؤرّخ في النظر إلى العمل الأدبي) يقول :

« بعض أبيات من أشهر قصائد البحتري التي يتدارسها كبارُ الأدباء والنقاد منذ قرون تتضمَّن أخطاءً كبيرةً لم يلتفت إليها أحدٌ كقوله في وصف البركة :

تغني بساتينها القصوى بِرُؤيتها عن السّحائبِ مُنحلاً عَزَاليها

(برؤيتها) هنا لا محلّ لها ، وصِحَّتُها (بِرِيَّتها) : يُريد أن ماءَ دجلة أو البركة - البحيرة - يُغني البساتينَ القُصوى في أرجاء البحيرة عن ماء السّحاب . »

فهذه التصويبات لا يأخذ المحققون بها لأنها صادرةٌ عن اجتهاد شخصي خاصٍ في قراءة النصوص التراثية ، يُخالف ما أجمع عليه المتقدّمون من الرواة وأهل الأدب ونُقّاد الشعر ، وما حوته النسخ الخطية المختلفة من دواوين هؤلاء الشعراء ، وما نقلته عنها كتب التراث الأدبي عبر العصور إلى اليوم ، وستظلُّ تلك الاجتهادات الشخصية الخاصة ممثلةً لوجهة نظر أصحابها في قراءة تلك الأبيات وأمثالها .

- ١٢ -

وقبل أن نصل إلى خاتمة عرضنا لتلك الألوان من التصحيف والتحريف لا بُدَّ من التذكير بأننا اخترنا الأمثلة عليها من الكتب الأدبية التراثية التي تهيأ لها في نشرها من التحقيق والتدقيق ما يجعل طبعاتها علمية نقديه ، وقد نهض بتنقيحها والإشراف على طبعها علماءُ أجلاّء عُرف أكثرهم بالكفاية والخبرة البصيرة الطويلة والإخلاص في خدمة التراث

وإحيائه ، وتمّ إصدارها بإشراف المؤسسات العلمية في أرجاء العالم العربي : مثل دار الكتب المصرية ومجمع اللغة العربية بدمشق وجامعة دمشق وجامعة بغداد وبعض دور النشر الجادة في مصر وسورية وغيرهما من الأقطار العربية ، ولم نعمد في اختيارنا إلى المطبوعات التجارية الرديئة التي تُفسد التراث وتجني عليه جناية كبيرة ، وإنا لنأمل أن يعمَّ الوعي عند القراء فينبذوا تلك المطبوعات للحدّ من جشع ناشريها واستغلالهم وعبثهم بالتراث وتشويههم إياه !

وهل نحن بحاجة – بعدما قدمناه – إلى التصريح بأننا في هذه الصفحات التي حاولنا فيها عرض آفات التصحيف والتحريف على أساس منهجي تطبيقي لم نرد أن ننال من أحد أو أن نغمز من جانب أحد من المحققين الأفاضل ، ونحن الذين عرفنا مبلغ التضحية التي يتطلّبها العمل الجادُّ في خدمة التراث وإحيائه ، فيما نشرنا من كتبه ، وما أعددناه للنشر ، ونسأل الله أن يعصمنا من الغرور والعُجب فلا ننكر على أحد من العاملين في ميدان التحقيق سهوه أو وهمه ، وجلَّ من لا يسهو ولا يتوهّم ! وكيف نفعل ونحن أولى بتقدير عظيم جهدهم ونُبل مسعاهم وسُموّ مقاصدهم ، وهم يبذلون وُسعهم ليستخلصوا نفائس تراثنا العظيم من يد الفناء ، ويُرمّموا الجوانب المتداعية منها .

نقول هذا لأن كتب الأدب تروي لنا الأخبار عن تجهُّم عدد من كبار العلماء لمن يُنبّههم إلى تصحيف سهواً عن تصويبه ، وعن استثقالهم مِنْ بَعْدُ لهم ، مثل ما يحكيه القاضي الأندلسي المنذر بن سعيد البلُّوطي عن استثقال أبي جعفر ابن النحّاس إياه بعد أن نبّهه إلى تصحيفه لقول المجنون (بانت وبان قرينُها) وكان يُمليه على طلبته (**باتت وبات قرينُها**) فتجهّم له ، ويقول المنذر : « وما زال يستثقلني بعد ذلك » (معجم الأدباء : ٢٢٦/٤ – ٢٢٧) . كما تنقل لنا كتب الأدب أخباراً عن علماء آخرين

يـرفضـون بعنـادٍ قبـول التصحيح لتصحيفهـم ، ويُصرون على روايـة المُصحَّف ، ويَـلِجُّون ويضجُّون ويرفعون أصـواتهم استكبـاراً ، وكان ابن الأعرابي واحداً منهم ، وكان يحتجُّ بأنه سمع تلك الرواية ــ المصحّفة ــ من أكثر من ألف أعرابي ، حتى قال بعضهم : « ما رأيتُ من أهل العلم أحداً قطُّ أشدَّ عصبيةً من ابن الأعرابي : كان يَدَعُ ما يعرفُ ويركبُ الخطأ ، ويُقيم في العصبية عليه ! »(١) .

إلاّ أن كتب الأدب تروي لنا أيضاً أخباراً كثيرةً أخرى عن علماء أجـلّةٍ آخـرين لم يتحـرَّجوا عنـدما نُبِّهـوا إلى تصحيفهـم وعمـدوا إلى تصحيحـه ، ولم يستكـبروا عن الاعتراف بخطئهم ، إذعاناً للحقّ والتزاماً بالصدق والأمانة ، كالذي حكوه عن ابن الأنباري ، وكان آيةً في الحفظ والإتقـان ، عندما أملى حديثاً فصحّف في إسناده اسماً ، وكان الدارقطني يومذاك شـابّاً يحضر المجلس ، فاقترب من شيخه عند فراغه من إملائه ، وعرّفه صواب القول في الاسم المصحَّف وانصرف ، فلما كان المجلس التالي قال ابن الأنباري للمُستملي : « عَرِّف جماعة الحاضرين أنّا صَحَّفنا الاسم الفلانيَّ لّما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية ، ونبَّهنا ذلك الشاب على الصواب ، وهو كذا ، وعَرِّف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال . » (معجم الأدباء : ١٨/٣٠٨ – ٣٠٩) .

إنّ أمثال ابن الأنباري في إذعانهم للحق وانصياعهم له وقبولهم إياه كُثرٌ في تاريخنا والحمدُ لله(٢) وإنّ في سعة صدورهم وسماحة نفوسهم ما يُغري بمصارحتهم بكلمة الحق دونما تحرُّجٍ أو تَرَدُّدٍ لِنبذ الخطأ وتعميم الصواب في النصوص التي يرونها ...

(١) (التصحيف والتحريف) للعسكري : ١/١٨٦ .

(٢) في كتاب (التنبيه على حدوث التصحيف) أمثلة كثيرة على ذلك : (انظر الصفحات : ٦١ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٦ الخ ...) .

ونحن في عرضنـا لتـلك الألوان المتعدّدة من التصحيف والتحريف وتقديمنا الأمثلة عليها من الكتب الأدبية التراثية المحققة ، نأمل أن نجد عند مُحققيها الأفاضل تلك الروح السمحة الرضيَّة التي واجه بها ابن الأنباري تلميذه الدارقطني عندما نبّهه على خطئه ، وما الغاية التي نرجوها من كتابة هذه الصفحات إلاّ المسـاهمة في تخليص التراث من آفاته ، وتعميم الغيرة عليه عند العاملين على إحيائه ونشره ، لتتضافر جهودهم في التغلّب على المشكلات والصعاب وتذليلها ، والله الموفّق .

خاتمة

في ختـام هذه الجولة النقـدية الطويلة في المكتبـة الأدبيـة ، وبعد مراجعتنا ذلك العدد الكبير من كتب التراث المحققة ، لكي نستعير منها الأمثلة على كل لون من ألوان التصحيف والتحريف التي رصدناها ، يحق لنا أن نتسـاءل : أليست هناك كتب أدبية تراثية مطبوعة ، تخلو – أو تكاد تخلو – من آفات التصحيف والتحريف ؟ والجواب : بلى ، وإنها لتُعدُّ من النفائس ، وقد عُني بتحقيقها عددٌ من الشيوخ الكبار ، ممّن كانوا يدركون حقّ الإدراك قيمـة التراث ، وتبعة العاملين على خدمته وإحيائه ونشره ، ويُقدّرون تمام التقدير شرف المهمة ونُبل الهدف في عملهم ، فبذلوا أسخى الجهود لتقديم نصوص التراث في أصح صورة وأقربها إلى الكمال ، ليُعلّموا الأجيال من بعدهم كيف يُوالون المسيرة على نهجهم ، وقليلون هم اليوم القـادرون على تحمّـل العبء كما تحمّـله أولئك المحققون الأوائل الأفذاذ ، وما عاناه أولئك الروّاد المخلصون من المشقّات ، وسنظل نذكر بالإجلال والإكبار أولئك الأعلام : من أمثال العلاّمة الميمني الراجكوتي والشيخ أحمد محمـد شـاكر والأستـاذ الرئيس محمد كرد علي والعـلامة عبد الله كنون والدكتور مصطفى جواد والأسـاتذة الأجلاء الآخرين : مصطفى السقا وحمد الجاسـر والعلامة محمود محمد شـاكر وغيرهم وغيرهم ، ومنهم من توفّاه الله إليه فندعو لأرواحهم الطاهرة بالرحمة وعظيم الأجر ، ومنهم من لا يزالون يُوالون العطاء السخيّ فندعو لهم بطول العمر والمزيد من النتاج الوفير ، وإذا وقعنا في أعمال هؤلاء الأعلام على أخطاء قليلة أو تصحيف نادر نجده من قبيل التطبيعات وسهو المراجعين والطابعين ، وكان بودّي أن أقدّم بعض الأمثلة على ذلك ، لولا أن الخاتمة لا تحتمل الافاضة والتفصيل ، وحسبي هذا المثال أذكره في الحاشية[1] ، وذكره يُغني عن غيره .

(١) في كتـاب (تلخيص مجمع الآداب في معجـم الألقـاب) للفوطي (الجزء =

ويزداد تقديرنا لأعمال جيل الروّاد الأعلام هؤلاء عندما نُبصر الخلل والتهاون والاستخفاف في بعض أعمال من تلاهم من العاملين في ميدان التحقيق والنشر ، ويحزُّ في نفوسنا أن تتوالى الطبعات الجديدة من كتبهم دون مراجعة لها أو تنقيح لأخطائها أو إفادة من نقد النقاد لتصحيحها ، وقد كثرت المجلات التي تُعنى بالتراث ومخطوطاته ونقد ما يطبع محققاً منها ، في كثير من الأقطار العربية ، وأحرى بالعاملين اليوم في تحقيق التراث ونشره أن يستفيدوا من نقدها وتوجيهاتها ، وأن يُؤمنوا بأن العمل الجادَّ في ميدانهم لا يكتفي بالجهود الفردية المتفرقة ، فالمهمة كبيرة ، والعبء – كما لا نملّ أن نقول – ثقيل جداً ، فإذا تضافرت عليه جهود المحقق والناقد والقارئ الحصيف خفّ ثقله وهان احتماله ، وأُمكن التغلّب على مشكلاته وصعابه ...

فلتكن هذه الصفحات حافزاً على تلاقي تلك الجهود وتآزرها وتضافرها ، لكي يتعاون الغيورون على التراث لتخليصه من تلك الآفات التي عرضناها ، المؤمنون بجدوى التعاون بينهم لتصحيح أخطائه ، وتقديمه إلى القُراء سليماً مُعافى قادراً على الحياة ، جديراً بالبقاء والخلود ، يُطاول عوادي الزمن ، ويتحدّى عوامل الفناء ، ويبقى ما بقيت أمتُنا العربية المجيدة وحضارتُها الإنسانية العظيمة .

= الرابع – القسم الثاني : ص٧٢٤) بتحقيق الدكتور مصطفى جواد ، نقرأ هذا البيت ، وهو مطلع لأبيات :

أيها العاذلون لي بَيِّنُوا فلكم دينُكم ولي دينُ

والوزن (الخفيف) والتصريع في الشطرين والمعنى المراد : كل ذلك يُشير إلى الخطأ المطبعي في (بَيِّنُوا) وتصحيحه (بِينُوا) أي فارقوني وابتعدوا عني ! وكان الدكتور مصطفى جواد من أفذاذ المحققين ، رحمه الله وأثابه .

الفهارس

١ ـ كتب التراث التي اختيرت منها الأمثلة على ألوان التصحيف والتحريف .

٢ ـ المصادر الأخرى والمراجع .

٣ ـ المجلات .

٤ ـ المحتوى .

١ ـ كتب التراث التي اختيرت منها الأمثلة على ألوان التصحيف والتحريف

١ ـ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، بتحقيق الدكتور شكري فيصل (مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥) .

٢ ـ أخبار البحتري للصولي ، بتحقيق الدكتور صالح الأشتر
(ط : ١ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٨
ط : ٢ دار الفكر بدمشق ١٩٦٤
ط : ٣ دار الأوزاعي ببيروت ١٩٨٧) .

٣ ـ أخلاق الوزيرين للتوحيدي ، بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٥) .

٤ ـ الأغاني للأصفهاني (الجزء الرابع عشر) بتحقيق أحمد زكي صفوت (ط: دار الكتب المصرية) .

٥ ـ البصائر والذخائر للتوحيدي ، بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني (مكتبة أطلس بدمشق) .

٦ ـ التحف والهدايا للخالديين ، بتحقيق الدكتور سامي الدهان (دار المعارف بمصر) .

٧ ـ التلخيص لأبي هلال العسكري ، بتحقيق الدكتور عزة حسن (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩) .

٨ ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي ، بتحقيق

الدكتور مصطفى جواد (مطبوعات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٣) .

٩ – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (مصر ١٩٦٥) .

١٠ – الديارات للشابشتي ، بتحقيق كوركيس عواد (ط ١ مطبعة المعارف – بغداد ١٩٥١) .

١١ – ديوان ابن أبي حصينة ، بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٦) .

١٢ – ديوان البحتري :

أ – مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس – القسم العربي رقم ٣٠٨٦ .

ب – ط الجوائب بالآستانة ، بتصحيح الشيخ رسول النجاري ١٨٨٢ .

جـ – ط دار المعارف بمصر ، بتحقيق حسن كامل الصيرفي ١٩٦٣ – ١٩٦٤ .

١٣ – ديوان بشار بن برد ، بتحقيق محمد الطاهر ابن عاشور ومراجعة محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين (القاهرة ١٩٥٠ – ١٩٥٧) .

١٤ – ديوان خالد الكاتب :

أ – مخطوطة الظاهرية .

ب – (ط بغداد ١٩٨١) بتحقيق الدكتور أحمد يونس السامرائي .

١٥ – ديوان الخالديين : جمع وتحقيق الدكتور سامي الدهان (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩) .

١٦ – ديوان ديك الجن الحمصي ، جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي ومحيي الدين درويش (حمص ١٩٦٠) .

١٧ – رسائل الجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الجاحظ : القاهرة ١٩٦٤) .

١٨ – رسالة الصداقة والصديق للتوحيدي ، بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني (دار الفكر بدمشق ١٩٦٤) .

١٩ – رسوم دار الخلافة لهلال الصابئ ، بتحقيق ميخائيل عواد (بغداد ١٩٦٤) .

٢٠ – طبقات الشعراء لابن المعتز ، بتحقيق عبد الستار أحمد فراج (دار المعارف بمصر ١٩٥٦) .

٢١ – طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (ط: ١ مصر ١٩٥٤) .

٢٢ – العثمانية للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الجاحظ : القاهرة ١٩٥٥) .

٢٣ – فوات الوفيات لابن شاكر ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر ١٩٥١) .

٢٤ – قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور لابن الرقيق القيرواني ، بتحقيق أحمد الجندي (مطبوعات المجمع بدمشق ١٩٦٩) .

٢٥ – كتاب الاختيارين للأخفش الأصغر ، بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة (مطبوعات المجمع بدمشق ١٩٧٤) .

٢٦ – كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، بتحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم (ط: ٢ مصر ١٩٧١) .

٢٧ – كتاب العرب أو الرد على الشعوبية لابن قتيبة (في كتاب رسائل

البلغاء لمحمد كرد علي : (ط: ٤ مصر ١٩٥٤) نشره الشيخ جمال الدين القاسمي ، ثم ضُم إلى (رسائل البلغاء) .

٢٨ ــ معجم الأدباء لياقوت الحموي (ط دار المأمون ١٩٣٦) .

٢٩ ــ نكت الهميان في نُكت العميان للصفدي ، بتحقيق أحمد زكي (مصر ١٩١١) .

٣٠ ــ الهفوات النادرة لغرس النعمة الصابئ ، بتحقيق الدكتور صالح الأشتر :

أ ــ (ط: ١ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٧)

ب ــ (ط: ٢ دار الأوزاعي ببيروت ١٩٨٧)

٣١ ــ الورقة لابن الجرّاح ، بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج (دار المعارف بمصر ١٩٥٣) .

٣٢ ــ وفيات الأعيان لابن خلكان ، بتحقيق الدكتور إحسان عباس (وملاحظات الدكتور علي جواد الطاهر عليه) بيروت ١٩٦٨ ــ ١٩٧١ . وطبعة أخرى بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر ١٩٤٨) .

٢ ــ المصادر الأخرى والمراجع

٣٣ ــ أباطيل وأسمار للأستاذ محمود محمد شاكر .

٣٤ ــ أساس البلاغة للزمخشري .

٣٥ ــ إعتاب الكتاب لابن الأبار ، بتحقيق الدكتور صالح الأشتر :

أ ــ (ط: ١ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦١)

ب ــ (ط: ٢ دار الأوزاعي ببيروت ١٩٨٦) .

٣٦ ـ الأعلام للزركلي (ط: ٢ بمصر في عشرة أجزاء) .

٣٧ ـ الأغاني للأصفهاني (الأجزاء : ٣ و٢٣ و٢٤) ط دار الكتب المصرية والهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٨ ـ الامتاع والمؤانسة للتوحيدي ، بتصحيح أحمد أمين وأحمد الزين (القاهرة ١٩٣٩) .

٣٩ ـ إنباه الرواة للقفطي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (دار الكتب المصرية : ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥) .

٤٠ ـ الإنصاف والتحرّي لابن العديم (تعريف القدماء بأبي العلاء : ص٤٨٣ ـ ٥٧٨) .

٤١ ـ البحث الأدبي لشوقي ضيف (دار المعارف بمصر ١٩٧٢) .

٤٢ ـ البخلاء للجاحظ . بتحقيق الدكتور طه الحاجري (دار الكاتب المصري : ١٩٤٨) .

٤٣ ـ التاج ، تاج العروس للزبيدي .

٤٤ ـ التعريفات للجرجاني ، بتحقيق غوستاف فلوغل (مكتبة لبنان : ١٩٦٩) .

٤٥ ـ تعريف القدماء بأبي العلاء (بإشراف الدكتور طه حسين وتحقيق مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام محمد هارون وحامد عبد المجيد) صدر عام ١٩٤٤ عن دار الكتب (نسخة مصوّرة عنها ـ القاهرة ١٩٦٥) .

٤٦ ـ تعليق من أمالي ابن دريد (مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ـ مخطوطات الأوقاف : ١٥٣) .

٤٧ ـ حضارة الإسلام : غوستاف غرونيباوم ـ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (الألف كتاب : مصر ١٩٥٦) .

٤٨ – الحيوان للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الجاحظ : مصر ١٣٥٧ – ١٣٦٤هـ) .

٤٩ – حماسة البحتري = الحماسة للبحتري ، بتحقيق كمال مصطفى (القاهرة ١٩٢٩) .

٥٠ – الخصائص لابن جني ، بتحقيق محمد علي النجار ، (دار الكتب المصرية : ١٩٥٢ – ١٩٥٦) .

٥١ – دليل الراغبين في لغة الآراميين (رسوم دار الخلافة : ٩١) .

٥٢ – ديوان الهذليين – القسم الثاني (دار الكتب المصرية ١٩٤٨) .

٥٣ – الذخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير (أو المنسوب إليه) بتحقيق الدكتور محمد حميد الله (الكويت : ١٩٥٩) .

٥٤ – زهر الآداب للحصري ، بعناية الدكتور زكي مبارك (مصر ١٩٢٩) .

٥٥ – شاعر عربي من القرن الهجري الثالث : البحتري ، للدكتور صالح الأشتر (رسالة بالفرنسية مطبوعة على الآلة الكاتبة : باريس ١٩٥٣) .

٥٦ – شرح المقامات الحريرية للشريشي (ط: ٢ بولاق : ١٣٠٠هـ) .

٥٧ – شعر عمرو بن أحمر الباهلي ، بتحقيق الدكتور حسين عطوان (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق : دون تاريخ !) .

٥٨ – الشعر والشعراء لابن قتيبة ، بتحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة : ١٩٦٤ – ١٩٦٦) .

٥٩ – الطرائف الأدبية : بتحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي (القاهرة : ١٩٣٧) .

٦٠ – العقد الفريد لابن عبد ربه ، بتحقيق أمين والزين والأبياري

(مصر ١٩٤٠ – ١٩٤٩) .
٦١ – العمدة لابن رشيق ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٩٣٤) .
٦٢ – قواعد لتحقيق النصوص وترجمتها (بالفرنسية) لبلاشير وسوفاجيه (باريس ١٩٤٥) .
٦٣ – الفاضل للمبرد ، بتحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي (دار الكتب المصرية : القاهرة : ١٩٥٦) .
٦٤ – الكامل لابن الأثير .
٦٥ – الكامل للمبرّد .
٦٦ – كتاب التاج للجاحظ ، بتحقيق أحمد زكي باشا (ط: ١ القاهرة ١٩١٤) .
٦٧ – كتاب التصحيف والتحريف للحسن العسكري (مطبوعات المجمع بدمشق : ١٩٨١) .
٦٨ – كتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني ، بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس (مطبوعات المجمع بدمشق ١٩٦٨) .
٦٩ – كتاب الفصوص لصاعد البغدادي (مخطوطتان : نسخة القرويين والنسخة الكتانية ، في المغرب) .
٧٠ – لسان العرب – اللسان –: لابن منظور .
٧١ – المحاسن والمساوئ للبيهقي (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠ .
٧٢ – مختارات أحمد تيمور (طرائف من روائع الأدب العربي) (لجنة نشر مؤلفاته : ١٩٥٩) .

٧٣ – المختصر : مختصر طبقات الشعراء لابن المعتز : للمبارك بن أحمد (في آخر كتاب ابن المعتز) .

٧٤ – المزهر للسيوطي ، بتحقيق جاد المولى ورفيقيه (ط: ١ القاهرة) .

٧٥ – مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (مخطوطة : ديوان الخالدين : ٥٧ ، ٢٥٠) .

٧٦ – معجم البلدان لياقوت الحموي (ط: دار صادر ودار بيروت) .

٧٧ – مع المصادر في اللغة والأدب : للدكتور إبراهيم السامرائي (دار الفكر : عمان ١٩٨٢) .

٧٨ – ملاحظات على ديوان بشار للدكتور محمد حموية (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : المجلد : ٦٠) .

٧٩ – ملاحظات على (وفيات الأعيان) للدكتور علي جواد الطاهر (ط: ١ بيروت ١٩٧٧) .

٨٠ – مناقب الترك للجاحظ (في رسائل الجاحظ : بتحقيق عبد السلام محمد هارون) القاهرة ١٩٦٤ .

٨١ – الموازنة للآمدي ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٩٤٤) .

٨٢ – نزهة الألبا لابن الأنباري (تعريف القدماء بأبي العلاء : ص١٦ – ١٧) .

٨٣ – نساء الخلفاء لابن الساعي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد (دار المعارف بمصر – دون تاريخ!).

٨٤ – نظرات في ديوان بشار بن برد : للدكتور شاكر الفحّام (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط: ٢ ١٩٨٣) .

٨٥ – نهاية الأرب للنويري (ط: دار الكتب المصرية ١٩٢٣) .

٨٦ ـ الوافي بالوفيات للصفدي ، (النشرات الإسلامية) الجزء الثاني ـ ١٩٧٤ .

٨٧ ـ اليتيمة ـ يتيمة الدهر للثعالبي :
(ط: الصاوي بمصر ١٩٣٤
وطبعة بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد : مصر ١٩٤٧) .

٣ ـ المجلات

٨٨ ـ مجلة الآداب البيروتية (العدد : ١١ ـ ت ٢ ١٩٥٦) .

٨٩ ـ مجلة قافلة الزيت (مقالة منهاجي كمؤرخ للدكتور محمد صبري) ـ (المجلد : ١١ العدد : ٥ لعام ١٩٦٣) .

٩٠ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

أ ـ المجلد : ٣٣ جمهرة الإسلام للشيزري
نقد رشدي الحكيم لديوان ابن أبي حصينة
تعليق عبد الله كنون على (الهنيدة) .

ب ـ المجلدات : ٤٠و٤١ و٤٢ مقالة (طُرر على معجم الأدباء) لعبد العزيز الميمني .

جـ ـ المجلد : ٤٣ نقد الدكتور مصطفى جواد لـ (فوات الوفيات) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

د ـ المجلد : ٤٥ نقد محمد عبد الغني حسن لديوان الخالديين جمع وتحقيق الدكتور سامي الدهان .

هـ ـ المجلد : ٤٨ تعليقات عبد الله كنون والدكتور أمجد

الطرابلسي لتحقيق اسم الشاعر المصري (ابن جدار) .

و – المجلد : ٤٩ الإعلان عن (ديوان خالد بن يزيد الكاتب) بتحقيق الدكتور صالح الأشتر .

ز – المجلد : ٥٧ مقالة لعلي حيدر النجاري ابن الشيخ رسول ، مصحح طبعة الجوائب لديوان البحتري .

ح – المجلد : ٦٠ ملاحظات على ديوان بشار للدكتور محمد حموية وتعليق الدكتور شاكر الفحام عليها .

٩١ – مجلة المعرفة الدمشقية (العدد : ٣٦ شباط ١٩٦٥) مقالة (شاعر عباسي ذاتي : خالد بن يزيد الكاتب) للدكتور صالح الأشتر .

٩٢ – مجلة معهد المخطوطات العربية (مصر : المجلد : ٢ ج١ مايو ١٩٥٦) نقد الدكتور ناصر الدين الأسد لكتاب (العثمانية) للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون .

٤ ـ المحتوى

معروف الأرناؤوط

١٨٩٢ – ١٩٤٨

رائد الرواية التاريخية في سورية

عبد اللطيف أرناؤوط

عرف لبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر نهضة ثقافية ومعرفية متميزة بحكم انفتاحه على العالم ، واهتمام الغرب بنشر لغاته وثقافاته فيه ، وكثيراً ما تنوّه كتب الأدب بدور الأدباء اللبنانيين الذي نزحوا إلى مصر ، وأسهموا في نهضتها الفكرية في مجالي الصحافة والأدب ، دون أن تُشير إلى اسهام معروف الأرناؤوط الأديب المبدع ، والناثر المجدد في تطوير النثر العربي وتخليصه من قيود السجع والتكلف ، وعَرْضِ معانيه وأغراضه حيَّة بأفانين من غنيّ الخيال ، وتحليته ببديع الصور ، وتطويعه للتعبير عن أدق خلجات النفس الإنسانية ، وروح العصر ، حتى ليمكن أن يعدّ من أبرز روّاد النثر الحديث .

مرّ على وفاة هذا الأديب الكبير ما يقارب نصف قرن من الزمن ، غير أن ريشته الساحرة ما زالت ترود أقلامنا ، وإليه يعود الفضل في إطلاق العبارة العربية وتحريرها من جمودها وغثاثتها ، وانبعاث ما عفّى عليه الزمن من مفرداتها الجميلة ، وتأليفها بقالب ساحر ، دون خروج على أصول التعبير فيها ، أو ندٌّ عن قوانين نظمها .

وما أحوج كتّابنا اليوم أن يتتلمذوا على آثاره ، ويتخذوا منها الهدي

[(*) انتخب الأستاذ معروف الأرناؤوط عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق في ١٩٣٠/١٠/٨] لجنة المجلة .

والمثل ليدركوا أن التجديد لا يكون بتغريب اللغة عن منابتها ، وتحطيم قوالبها ، وإنما هو بعث وإحياء لأساليبها الرائعة ، واستغلالٍ لطاقاتها الكامنة .

فمن هو معروف الأرناؤوط ، وما هو ؟

معروف أرناؤوط أديب ألباني الأصل ، يعود نسبه إلى مدينة (آلونية) ، وَفَدَ جده حسن آغا المولى يوسف إلى بيروت في منتصف القرن التاسع عشر أيام الدولة العثمانية مقصي عن بلده بسبب نزعاته القومية ، وتولّى أمن مدينة بيروت ، فنجح في عمله ، حتى نال رضا الدولة العلية بعد نفيه ، فعينته مرافقاً عسكرياً للمتصرف خليل باشا إضافة إلى عمله ، وتزوج سيدة لبنانية هي مريم ابنة يوسف ساسين أرملة الشيخ مصطفى الرفاعي . فرُزق منها بغلامين أحدهما أحمد الأرناؤوط والد معروف ، وقد عانى التجارة ، وتزوج امرأة دمشقية فاضلة تعتز بدينها ، وتواظب على الصلاة والعبادة ، وتحفظ سيرة الرسول ﷺ وصحبه الأكرمين ، فكان لها أكبر الأثر في غرس حب الإسلام والاعتزاز بأخبار أعلامه في نفس ولدها معروف .

تحدث الكاتب عن أمه فقال : « يوم كانت أمي تجلس إليَّ في ليالي الشتاء لتقصّ عليَّ أروع ما عرفته عن حياة سيد قريش وصحبه » . فكانت تلك القصص البذرة التي أنتشت وأبدعت فيما بعد روائع رواياته التاريخية . وكان حظ معروف من العلم خيراً من حظ أبيه ، فقد انتعشت مدينة بيروت ثقافياً ومعرفياً وعلمياً في زمانه ، وشاعت فيها المدارس الخاصة ، فانتظم الطفل في أحد الكتاتيب ، وكان شيخه حسن الحبال شديد التمسك بعثمانيته لشدة تدينه ، وهو الذي عمل فيما بعد في الصحافة وأنشأ جريدة أبابيل فتعلّم معروف على يديه القراءة حتى صار يحفظ نصوصاً من القرآن الكريم ، ويستظهر من سير الفرسان .

ثم دخل المدرسة العثمانية أو (الكلية العثمانية الإسلامية) التي كان يديرها الشيخ أحمد عباس الأزهري بحزم وحسن تدبير ، وكان حريصاً على زرع بذور الوطنية وحب العربية في نفوس طلابه ، وتعليمهم اللغات الأجنبية ، والتمرس بالخطابة ونظم الشعر ، فتأثر معروف بكتاب (أم القرى) لعبد الرحمن الكواكبي الذي كان يدرّس في المدرسة ، مما عزّز نزعته الإسلامية العربية ، ودَرَسَ اللغة الفرنسية على المعلم يوسف حرفوش الذي كان يلقن تلاميذه تاريخ اليقظات القومية في الغرب ، لينفذوا من خلالها إلى الإيمان بحق العرب الشرعي في الاستقلال والحرية . وقد زامل معروفاً في الكلية نفر من التلاميذ أصبحوا فيما بعد من أعلام الفكر والقومية ، منهم : عمر فاخوري ، والشهيد عمر حمد .

برزت مواهب معروف منذ الطفولة ، فمارس الخطابة والكتابة ونظم الشعر ، وعرفته بيروت في السادسة عشرة من عمره يقف بين عمالقة البيان فيها ، فيلقي قصيدة في تكريم الشاعر معروف الرصافي بمناسبة زيارته لها ، فيلفت أنظار الناس ، ويتفاءلون له بمستقبل أدبي مشرق .

وانطلق الشاب معروف يُدَبِّج المقالات والقصائد وينشرها في الصحف ، ويترجم عن اللغة الفرنسية قصصاً متوالية بعربية فصيحة وبيان مشرق ، فترجم لكبار الكتّاب الفرنسيين أمثال : فرانسوا كوبيه ، وتيوفيل غوتييه ، والكسندر دوما ، وألفريد دي موسيه ، وميشيل زيفاكو ، وغيرهم من أعلام القصص البوليسية ، ثم تشجّع فنشر بعضها بطبعات تجارية لا يتجاوز حجمها ثلاثين صفحة ، بقصد التسلية ، وتزجية الفراغ ، ليجني من ورائها ما يكسب به رزقه ، ويدرّب قلمه على الكتابة ، وقد ساعده إلمامه باللغات العربية والتركية والفرنسية في الاطلاع الواسع على الأفانين المتنوعة من الأساليب الأدبية . وكانت سورية ولبنان آنذاك بلداً واحداً ، فقرأ السوريون مقالات معروف وقصصه التي بدأ ينشرها في

الصحف البيروتية الموالية لحكومة استانبول بنزعة عثمانية رسّخها تعلمه في الكلية العثمانية ، فكتب في جريدة (البلاغ) وصاحبها محمد باقر ، وجريدة (الرأي العام) لطه مدور ، وعمل مترجماً عن اللغة الفرنسية ، فترجم (الفردوس المفقود) لجون ملتن ، ووضع قصة (الصحفي الشريف) ، وغير ذلك .

وكان أول عمل إبداعي أصدره كتابه عن أبي العلاء المعري الذي أسماه : (فردوس المعري) وهو رحلة خيالية استوحاها من رسالة الغفران ، أراد بها أن يكرّم ذلك العبقري الأعمى ، فرفعه إلى مصاف كبار الأدباء في العالم ، وطاف به فوق جبل الأولمب ، ثم استقر في مدينة باريس بلد الثقافة ، فكان موضع تكريم وإعزاز من آلهة الشعر والجمال وعباقرة الكلمة على مدى العصور ، وفي عام ١٩١٤م بعد اندلاع نار الحرب العالمية الأولى ، سيق معروف إلى الخدمة الإلزامية في استانبول على ضفاف البوسفور ، فتعرّف إلى بعض أدبائها ، وتمتع بسحر جمال الطبيعة فيها ، حيث البحر يعانق اليابسة ، وحمل معه كتاب الله وسيرة نبيه مع دعوات أمه ورجائها أن يستمسك بعرى الإيمان ، ويفزع إلى القرآن كلما حزبته شدة .

ثم تخرج الدولة العثمانية من الحرب مهزومة ، فيتزعزع إيمان معروف بقدرتها على صَوْن الخلافة الإسلامية ، ويُدرك أن أمله في إعادة المجد الغابر سيكون بيد العرب ، ولا سيما أنه علم بقيام الثورة العربية في الحجاز سرّاً ، فلم ينتظر حتى يشهد بأسىً نهاية الدولة العثمانية . بل هرب من الخدمة في الجيش العثماني سنة ١٩١٦ ولسان حاله يقول : « ولقد خرجت من الحرب وأنا أحمل في قلبي كثيراً من الهمّ وكثيراً من الشعر ، فأما الهمّ الذي حملته ، فلقد سرب إلى نفسي من انكسار هذه الأمة التي أحببتها ، ومن إخفاقها في جني ثمار كدحها ، وجدّها ... » .

ويصل في فراره ماشياً إلى زحلة بعد سير أربعة أشهر ، عانى فيها ألواناً من الجوعْ والعطش والخوف ، ويتوارى زمناً في قرى الجبل ، ويعلم آنذاك أن والده فارق الحياة ، مما ضاعف من أحزانه ، ثم ينسل إلى حوران ومنها إلى (العقبة) فيلتحق بجيش الشريف حسين ، ويدخل بعد عامين مع جيش الشريف دمشق في خريف ١٩١٨ ، فيجعلها دار إقامة له ، ويسكن في حي متفرع من سوق الحميدية ، ويعمل في الصحافة ، ويؤسس مع قاسم عثمان جريدة (الاستقلال العربي) التي عاشت شهوراً . ثم مجلة (العلم العربي) التي جعلها مجلة أدبية شهرية عام ١٩١٩ ، ولم يُصدر منها إلا عدداً يتيماً واحداً .

ثم يصدر جريدة سماها (فتى العرب) ظل يعيش معها ، ويرتفق من ريعها إلى أن مات عام ١٩٤٨م .

وجريدة (فتى العرب) امتد عمرها ثلاثين عاماً ، وكان لا ينصرف عنها إلا إلى كتابة رواياته التاريخية التي نشر أكثرها مسلسلة في جريدته . وكان يدبِّج فيها المقال الرئيس « الافتتاحية » ، ويختار لها المقالات والأخبار من الصحف العربية والخارجية ، ويكتب الأخبار المحلية ورسائل الجهات على أنها من مراسلين خصوصيين ، ويشرف على طبعها في أربع صفحات ، ويتابع حساباتها واشتراكاتها ، ومثل هذه الأعمال تحتاج على حد تعبير أحد الصحفيين إلى عشرين شخصاً في الحد الأدنى .

واستقر معروف في دمشق ، وتزوج ، ورزق ثلاثة أولاد ، وأسس لصحيفته مطبعة أسماها (فتى العرب) كان فيها شريكاً لابن عم له من جهة زوجته وهو مظهر شيخ الأرض ، وطبع في هذه الدار معظم آثاره .

وتنقلت به الأحوال ، فلم يدم الحكم الفيصلي في سورية أكثر من عامين ، وخاب أمل معروف في نهضة عربية إسلامية ، وضايقه الفرنسيون فهادنهم في جريدته ، ووقف على الحياد إزاء سياستهم ، إلا أنه حسّه الديني

ما لبث أن وجهه نحو تركيا فسخّر جريدته لمدح الثورة الكمالية والتنويه بمنجزاتها ، واتخذ من غاياتها وأسبابها ما يؤلف به قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

وكان القراء من أنصار الدولة العثمانية يتلقون جريدته في شوق ولذة ، ويجدون فيها طَلِبتهم . ومع أن معروفاً نجح في ميدان الصحافة إلا أنها لم تكن المجال الحقيقي لموهبته ، فقد وُلد يكون أديباً ، بل روائياً موهوباً ، وكأنما امتزجت الرواية بلحمه ودمه ، وقد ساعده على ذلك ثقافته واطلاعه الواسع على أدب الغرب ، وافتقار الأدب العربي إلى الأدب الروائي ، والحاجة الملحة إلى تزويد صحيفته بما يشوق القراء ويمتعهم ، فانصرف إلى القصة والرواية ، ولم تخل جريدته يوماً من نسائم القصة ، بل كانت كتاباته السياسية تلبس ثوب السرد الروائي .

شخصية معروف الأرناؤوط :

تحدث عنه عارفوه وأصدقاؤه ووصفوه ، فقال فيه وجيه بيضون صديقه وزميله في الصحافة : « وجه اجتمعت إليه ضروب من الوسامة والوضاءة والملاءة ».. وعينان كأنما رنّق فيهما النعاس ، فهما غافيتان في يقظة ، مستيقظتان في غفوة ، وبسمة ناعمة هادئة في مطاويها معان عما انطوت عليه الحياة من أفراح وآلام ، فإذا أخذته بجملته على وهلة ، وبنظرة مجملة تكذّبك الحساب في حقيقة عمره ، ارتفع من نضارته وما يخالط هذه النضارة من أناقة يُسقط عدة سنوات من مجموعة أيامه ، ولأن صحته الوقور ، ولهجته الساخرة ، واستغراقه الحالم ، وانكماشه الدائم يمثله على غير ما عرف به ، ويغيب كثيراً من سجاياه ... » .

كان ربعة من الرجال ، يمشي متخايلاً ، يستهويك حديثه ، ولهجته مزيج من اللبنانية والدمشقية ، مولع بالدعابة ، لاذع النكتة ، طيب النفس

كالأطفال ، كان صبوراً على المحن ، متسامحاً في العداوة ، مترفعاً عن الغيبة ، لا يذم النفر الذين يتعرضون له بالأذى ، سهل الخلق ، لين العريكة ، جزل المروءة ، رقيق الحس ، رفيع النفس ، كريماً ، متفائلاً يتناول الحياة من وجهها المشرق ، ولا تفارقه الابتسامة حتى في أيام مرضه ، وكان رديء الخط ، لا يكاد خطه يُقرأ ، يكتب متعجلاً بسيولة وتدفق ، وهي سمة من سمات النموذج الانفعالي ، وكان مولعاً بالنرجيلة لا يفارقها وهو يعمل فصورته الذاتية تختلف عن صورته التي يكوّنها القارئ عنه من كتاباته ، فقد روى عن نفسه أنه كان في طفولته معابثاً ، صاحب مقالب وحيل ، ومن طرائفه أن الناس من قرائه كانوا يحسبون أنه شيخ وقور معمّم ، فلما مرّ بدمشق وفد من وجهاء الهند وعلمائها من قرائه والمعجبين به ، راحوا يسألون عن فضيلته للسلام عليه ، وما زالوا حتى اهتدوا إلى مكتب جريدته ، وهم يتوقعون أن يروا شيخاً ملتحياً ، وأدرك معروف حرج موقفه فأعلمهم أن صاحب الفضيلة غائب ، وسوف يستدعيه ليروه ويسلموا عليه ، واستعان بأحد المشايخ من ذوي العمائم الضخمة واللحى الضافية ، « ولا تسل عن حسن لقياهم واحتفائهم به ، وتبركهم الشديد بتقبيل يديه والتماس دعائه » .

وفاته :

في عام ١٩٤٨ اشتد به المرض ، فبدّل نضرته شحوباً وحيويته انكساراً ، وأسلم الروح إلى بارئها في ٣٠ كانون الثاني ، وسكت القلم المغرّد ، فخسرت العروبة والإسلام بفقده علماً ، لم يضاهه في الكتابة الإبداعية إلا مصطفى صادق الرافعي ، غير أن عبارة معروف تبدو أكثر عفوية وتألقاً ، وخياله أعلى تحليقاً ، وأقرب إلى روح العصر ، أما المهجريون فقد ماثلوه في النفس الإبداعي دون أن يجاروه في متانة النسج وبُرْءِ التعبير من الضعف والتردّي ، واستغلال طاقات اللغة العربية الكامنة ، وتفجيرها

في دروب التجديد .

معروف الأرناؤوط الروائي :

في عام ١٩٢٩م أصدر روايته التاريخية (سيد قريش) رسم فيها حياة العرب في فترة البعثة النبوية ، وصوّر معجزة النبوة وأثرها في حياة العرب ، وقد سُئل عن أسباب كتابة هذه الرواية ، فأجاب أن السبب هو إظهار الحقيقة التي حاول طمسها أعداء الإسلام ، ولا سيما بعد أن قرأ كتاب فلورندا البيزنطية للكاتب الفرنسي رينيه دي سيكونزاك ووجد فيه المغالطات عن فتوحات العرب في الأندلس ، والحضارة الإسلامية ، فكانت رواية (سيد قريش) صوت الحق وصوت التاريخ ، ولعل من الأسباب في التحوّل إلى التاريخ هو التضييق والكبت الذي فرضه الانتداب الفرنسي على الأدباء ، فاتجه إلى التاريخ والرواية ليعبر من خلالهما وبصورة غير مباشرة عن دعوته إلى اليقظة ، وقد طبع روايته طبعة ثانية في ثلاثة أجزاء ، استغرقت ألف صفحة من القطع الكبير وأدخل عليها ملاحق تاريخية وتعديلات ، وأصدرها في حلة جديدة سنة ١٩٣١م . ومعروف لا يروعك بفنّه الروائي في هذه الرواية ، فإن سيد قريش لا تخلو من عيوب فنية كثيرة ، إذا أجريتها على معيار النقد الروائي المعاصر ، فهي تاريخ في ثوب روائي ، أكثر منها رواية فنية ، وقد طغى فيها الأسلوب على التحليل والتعليل ، لكنها لا تفتقر إلى الخيال المجنح الفني ، والحبكة الفنية ، والأسلوب الرائع المُصَفَّى .

وأصدر بعدها روايته التاريخية الثانية (عمر بن الخطاب) عام ١٩٣٦ في جزأين أولهما (ليالي شاعر) والثاني (فرسان سيد قريش) ووعد بإصدار الجزأين الثالث والرابع ، ولم يصدرهما لأسباب لا نعرفها ، وتناول في الرواية معارك الحرية بين الفرس وعرب العراق ، والروم وعرب بلاد الشام ، ورسم شخصية الخليفة عمر رضي الله عنه ، ونزع فيها نزعة إنسانية ، إذ جعل الشعوب المقهورة تُسهم في الانتفاض على حكم الرومان حتى الروم

أنفسهم ، وأفاد من رحلاته في وصف جغرافية بلاد الشام ، ومن ثقافته التاريخية المحصلة من المصادر في تحليل الوقائع ، وأوجد بعض الشخصيات التي ليس لها أساس تاريخي إلى جانب الشخصيات التاريخية ، وكتبها ببيان أدبي راق مجنح يقترب من لغة الشعر .

وفي عام ١٩٤١ أكمل ما رسمه من الفتوح العربية الإسلامية برواية (طارق بن زياد) التي وضعها فصوّر فيها فتح إفريقية والأندلس ، وما نهض به العرب والبربر من دور في ذلك ، ورسم فيها مواقف رقيقة من الحب والجمال ، وطبيعة الأندلس الساحرة ، ودور العرب الحضاري ، ومعجزة الأمويين في توسيع رقعة بلاد الخلافة العربية الإسلامية .

وكانت آخر رواياته التاريخية (فاطمة البتول) صدرت في عام ١٩٤٢ روى فيها مجريات بيعة يزيد ، والصراع بين معاوية وعلي ، ثم يزيد والحسين ، وما كان من ضحايا الفتنة ، وأثر الانقسام في تمزيق وحدة الصف ، وبدا فيها حزيناً لمأساة الحسين منتصراً له في قيامه بحقه .

والغريب في هذه الروايات أن معروفاً تتجلى فيه عروبة النزعة وهو ألباني النسب ، وكأن ثقافته العربية ، وحياته في رحاب الأرض العربية ، قد جبلته بجبلتها ، بل يتجاوز أبناءها اعتزازاً بتاريخهم ، ووعياً لماضيهم ، واستشرافاً لمستقبلهم ، ويبدو أن الحكم الفرنسي قد حال بينه وبين التصريح بطموحه في نهضة عربية إسلامية ، فوجد في التاريخ ضالته فهو يذكّر الأمة العربية بماضيها ، ويحفزها بصورة غير مباشرة إلى النهوض واليقظة .

يقول وجيه بيضون : « وسيذكره التاريخ مؤرخاً لرسالة العربية في أمجادها ومفاخرها استمدها من خياله ، فإذا هي الإيمان خلص من الريب » .

ووصف الدكتور سامي الدهان أسلوب معروف في الروايات التاريخية فقال : « كان معروف يكتب على الورق ، كما ينسكب الربيع على

الطبيعـة ، فيورق ويُزهر ويُعطر ويسحر ، ويضحك ويتبسم ، ويغني وينشد ، وتشرق من خلال ذلك ألوان زاهية وأنوار مشرقة .

يرسم المعركة فتسمع القعقعة والدويّ ، ويصف الليل الساجي ، فترى الأشباح تسبح في الظلام ، ويصوّر المحبين فتحس الصدور والثغور والقدود تلتقي وتنفصل ، كل ذلك في كلمات جمعت للكاتب وجعلت طوع بنانه ، يصففها ويرصفها لتحل في المحل المناسب ، وتقع في الموقع المرضي ، ولا تكاد تنبو لفظة إلا في القليل ، فكأنه يقول الشعر من غير قواف ، أو كأنه يرصف الدرر في السطور من غير أن تحس له تصنعاً كبيراً ... » .

وقد تناول أعلام الأدب في تلك المدة روايات معروف بالنقد ، فعدّوها فتحاً جديداً في الأدب العربي ، استطاع مؤلفها أن يجعل لغة أبطاله حافلة بالشعر والعطر والموسيقا .

مكانته الأدبية :

دخل معروف الأرناؤوط غمار الحياة الأدبية ، واللغة العربية ما زالت مشدودة إلى ماضيها ، والمدرسة الرومانسية كانت هي السائدة ، والأساليب النثرية تسير على أصول البلاغة العربية في التعبير ، وتقوم على تزويق العبارة وإظهار البراعة ، إذ لم تكن قد تخلصت من تأثير ماضيها الأدبي الذي يُعنى بالمزاوجة والترادف والتوازن ، والاحتفاء بصوغ القوالب التعبيرية ، فكان طه حسين أستاذاً لنمط من الكتابة يجمع بين متانة اللغة والتفنن في تقسيم العبارة بنفس طويل ، فهو لا يقودك إلى الفكرة مباشرة ، وكان الرافعي يعتمد في كتاباته على جمال العبارة ، وموسيقا التركيب ، وروعة الصورة ، ولم تستطع الفنون الأدبية الدخيلة كالقصة أن تحرر فَنَّ الترسل من هذه الأساليب البديعية إلا بعد زمن . فالبلاغة عندهم أن يتجلّى الإبداع في النص شكلاً ومضموناً ، وساعدهم على ذلك تمكنهم اللغوي وسعة معرفتهم

التي جمعت بين القديم والحديث ، ومعروف الأرناؤوط أحد أعلام تلك المدرسة .

كان معروف ابن عصره ، فهو يُعنى بقالب التعبير عنايته باللغة ، ويلتمس التأثير في قرائه بفنية الكلمة وسحرها ، فالقصة عنده ليست تعبيراً عن الحياة ، وتصويراً لها بلغة الحياة فحسب ، وإنما هي نص أدبي يجب أن تتوافر له عناصر الفن في الشكل والمضمون .

ونقّاد اليوم يقلّدون النقد الغربي في تسفيههم هذه الأساليب في كتابة القصة أو الرواية أو المسرحية ، بحجة أنها تبعدها عن الحياة ، وواقع الأمر أن الإنسان العادي في عالمنا الشرقي عامة والعربي خاصة يستخدم كثيراً من الأساليب البلاغية والمؤثرات الأدبية في تعبيره ، فهو يبالغ حين يتحدث ويطنب ويجمل كلامه ويعمد إلى الصور البيانية .

ومعروف أرناؤوط يكتب عن شخصيات تاريخية عاشت مع شباب اللغة ونقائها ، فلم يبعد كثيراً عن مشاكلة الواقع حين كتب رواياته بلغة أدبية تشاكل ما كان يكتب في عصورها الماضية ، فالحوار الأدبي عنده يناسب الشخصيات ، وإن كان يندُّ أحياناً عن هدفه في رسمها إلى أغراض بلاغية ، ويؤخذ عليه أنه لم يُحسن تركيب رواياته في بنية تستبعد أثر التاريخ وطابعه ، ولكنه مع ذلك يظل من روّاد هذا الفن الذي حمل لواءه قبله وبعده كتّاب آخرون أمثال جرجي زيدان ومحمد حسين هيكل و ....

* * *

مات معروف الأرناؤوط لكن أدبه يبقى خالداً يقدّم للأجيال دروساً في القومية والعقيدة والاعتزاز بالتراث الإسلامي ، فهو حرز تُصان به مقدرات هذه الأمة التي تكاثرت عليها المحن ، ولكن رايتها ستظل مرفوعة بفضل أعلامها المخلصين .

مراجع البحث

١ – بين الصناديق خمسين عاماً : تأليف وجيه بيضون ، ٢٣٠ صفحة .

٢ –قدماء ومعاصرون : تأليف الدكتور سامي الدهان ، ٢٤٤ صفحة .

٣ –معروف الأرناؤوط : (ملحق جريدة النهار) للأستاذ إبراهيم يوسف يزبك .

التعريف والنقد

الأندلس

في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار

تحقيق

اميليو مولينا لوبس وخاثينتو بوسك بيلا

الدكتور شاكر الفحام

نعمتُ بقراءة المقالة الممتعة التي حبرها أستاذنا الجليل حمد الجاسر في مجلة المجمع (مج٦٦ ، ج٤) بعنوان : (أنساب الرشاطي الأندلسي ومختصراته) ، فقدّم لنا في مقالته الجامعة أنفس الفوائد ، قد نقّر عنها وبحث في خزائن الكتب ونوادر المخطوطات فأجاد وأطاب كالعهد به دائماً .

ومنذ أيام وقع بيدي كتاب : (الأندلس في اقتباس الأنوار ، وفي اختصار اقتباس الأنوار) وهو الكتاب السابع في سلسلة المصادر الأندلسية ، قام بتحقيقه الأستاذان اميليو مولينا لوبس وخاثينتو بوسك بيلا (مدريد – ١٩٩٠م) . فرأيتُ أن أعرف بالكتاب وألخص محتواه ليكون لحقاً أضمه إلى مقالة أستاذنا حمد الجاسر حفظه الله للصلة الوشيجة بينهما .

عمد الأستاذان المحققان إلى انتفاء ما جاء من الأنساب الأندلسية في كتاب اقتباس الأنوار للإمام الرشاطي ، وما جاء في اختصاره لأبي محمد بن الخراط الإشبيلي فأصدراه بين دفتي هذا الكتاب .

وقد ترجم المحققان للإمام أبي محمد عبد الله بن علي الرشاطي

اللخمي (٤٦٦ -٥٤٢هـ) ، وذكرا أنهما رجعا في هذه الترجمة إلى بغية الملتمس للضبي ، والصلة لابن بشكوال ، وكتابي التكملة والمعجم لابن الأبـار ، والوفيـات لابن خلكـان ، والمطرب لابن دحيـة ، ونفح الطيـب للمقري (ص١٧ – ١٨ من المقدمة باللغة الإسبانية) .

ثم ترجمـا لأبي محمـد عبـد الحق بن عبـد الرحمن الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخراط (٥١٠ – ٥٨١) ، وذكرا أنهما رجعا في هذه الترجمة إلى عنوان الدراية للغـبريني ، وصـلة الصـلة لابن الزبير ، وبغية الملتمس للضبي ، والتكمـلة لابن الأبار ، والديبـاج المذهب لابن فرحون ، ونفح الطيب للمقري (ص١٩ – ٢٠م) .

ووصف المحققـان المخطوطات التي استعانا بها في تحقيق الأنسـاب الأندلسية المنتزعة من كتاب الرشاطي واختصاره ، فذكرا القطع المخطوطة الثلاث من كتاب اقتباس الأنوار (ص٣١ – ٣٥م) ، ثم وصفـا مختصر ابن الخراط الاشبيلي الذي تحتفظ به مكتبة الأزهر (ص٣٥ – ٣٧م) ، وعرضا من بعد لوصف مخطوطة القبس للبلبيسي (ص٣٧ – ٣٨م) فنقلا ما كتبه الأستاذ عبد البديع في صفتها .

وقد تحدث الأستاذ حمد الجاسر في مقالته المذكورة آنفاً عن هذه المخطوطات الثلاث ، وبيّن أن للبلبيسي اختصارين لكتاب اقتباس الأنوار : أولهما القبس ، والثاني المختصر الذي تحتفظ بمخطوطته مكتبة الأزهر ، وقد جمع فيه بين اقتباس الرشاطي ولباب ابن الأثير[1] .

* * *

(١) وفي مختصر البـلبيسـي نقـول من كتب أخرى كقـوله في ترجمـة الأندي :
« ... قلت : زاد الذهبي في نسبه ... واستدرك ابن كثير هذه الترجمة على السمعاني ... » =

بدأ المحققان بذكر ما جاء في مختصر البلبيسي من الأنساب المبتدئة بحرف الألف مما لم يرد في المخطوطات المعروفة لكتاب اقتباس الأنوار، فأوردا:

(الأشوني، الأقليشي، الإلبيري، الأندي، الأندلسي، الأوريولي) (ص١٥ - ٢١) .

ثم نقلا من السفر الأول من كتاب اقتباس الأنوار للرشاطي الأنساب:

(الباجي، البتّي، البجاني، البرياني، البزلياني، البطليوسي، البطروبري، البلدي، البلّوطي، البلنسي) (ص٢٥ - ٤٦) .

ومن السفر الثالث الأنساب:

(الكشكنياني، اللاردي، اللبلي، اللورقي، الماردي، المالقي، المجريطي، المدوّري، المروي (نسبة إلى مدينة المرية)، المرسي، المرشاني، المنتجيلي، المنبي (نسبة إلى منية عجب بقرطبة)، المغامي) (ص٤٩ - ٦٩) .

ومن السفر الخامس الأنساب:

(القبري، القبّشي، القرطبي، السبتي، السرقسطي، الشبيني، الشذوني، الشرفي، الشمنتاني، الشنتريني، الشنتجالي، الوادآشي، الوقّشي، الوشقي، اليابسي، اليابري) (ص٧٣ - ٩٥) .

فتلك أربعون نسبة ساقها المحققان من كتاب اقتباس الأنوار، وست

= (الأندلس في اقتباس الأنوار : ١٨) .

ساقاها من مختصر البلبيسي .

* * *

وانتقلا من بعدُ إلى كتاب اختصار اقتباس الأنوار لأبي محمد عبد الحق الاشبيلي المعروف بابن الخراط ، وصدّراه بنقل من كتاب صلة السمط لابن الشباط استدركا فيه ما فات النسخة المخطوطة لابن الخراط فذكرا :

(الإستجي، الإشبيلي ، الأندلسي) (ص١٠١ - ١٠٣)

ثم نقلا من السفر الأول من كتاب اختصار اقتباس الأنوار لابن الخراط الأنساب :

(الباجي ، البتّي ، البجّاني ، البرياني ، البزلياني ، البطليوسي ، البطروبري ، البلدي ، البلغي ، البلّوطي ، البلنسي ، البلّسي ، البلذوذي ، البسطي ، البشتني ، البشكلاري ، البنتي ، البياري ، البيّاني ، التاكرني ، التاريخي (ينسب إلى التاريخ لاعتنائه به) ، التدميري ، التطيلي ، الجالطي ، الجلّيقي ، الجزري ، الجيّاني ، الحجاري ، الخطابي ، الداني ، الدلائي ، الخيطي ، الرباحي ، الربضي ، الرصافي ، الربي ، الزهراوي ، الطالقي ، الطبلاطي ، الطبيخي ، الطرطوشي ، الطلمنكي ، الطليطلي ، الطماطي ، الكشكنياني ، اللاردي ، اللبلي ، اللورقي) (ص١٠٧ - ١٥٦) .

ونقلا من السفر الثاني من كتاب اختصار اقتباس الأنوار لابن الخراط الأنساب :

(الماردي ، المالقي ، المجريطي ، المدوّري ، المرسي ، المروي ،

المرشـاني ، المنتجيلي ، المني ، المغـامي ، الموروري ، الصقلي ، العدوي ، الغرناطي ، الغرّيشي ، الفنتوري ، القبري ، القبّشي ، القرطبي ، القرموني ، القطيني ، القلسـاني ، القلعي ، القسطلي ، السبتي ، السرقسطي ، الشبيني ، الشـذوني ، الشمنتـاني ، الشنـتريني ، الشنتجـالي ، الوادآشي ، الوقّشي ، الوشقي ، اليابسي ، اليابري) (ص١٥٩ – ١٩٩) .

فتلك أربع وثمانون نسبة اختاراها من اختصار اقتباس الأنوار لأبي محمد بن الخراط ، وصدّراها بثلاث اختاراها من كتاب صلة السمط لابن الشباط .

ثم ذكرا مصـــادر التحقـيق (ص٢٠٣ – ٢٠٥) فـالفهـارس (ص٢٠٩ –٢٤٤) .

* * *

ألف الرشاطي كتابه سنة ٥٢٧هـ[٢] ، وأشار إلى كثير من المصادر التي أخذ عنها ، مثل ابن الفرضي (وقد أكثر من الرجوع إليه) واليعقوبي ، والرازي ، وابن حارث ، وأبي الخطـاب العلاء بن عبد الوهاب بن حزم ، وأبي عمـر بن الحذاء ، وأبي بكـر الزبيـدي ، والأمـير ابن مـاكولا ، وابن يـونس ، وابن أبي حــاتم ، وأبي محمـد علي بن أحمد (ابن حزم) ، وابن الخولاني ، وابن مفرج ....

وقد قام المحققـان بتخريج التراجم التي وردت في كتـابي الاقتباس والاختصار وعُنيـا بتصحيح النصـوص وإكمالها بالاستئنـاس بما جاء في المصادر الأخرى ، وأحالا في تخريج تراجم ابن الخراط أيضاً على ما جاء منها في اقتباس الرشاطي .

(٢) الأندلس في اقتباس الأنوار ... ص٦٠ ، ١١٦ .

ولكنهما أغفلا تخريج جملة من النصوص جاءت في المصادر التي عادا إليهـا كثيراً ، كقول ابن الخراط (ص١٣٧) : « ذكر الحميدي أن عبد الرحمن بن الحكم الخطابي المرسي شاعر غزير المادة » فقد أغفلا تخريجه في جذوة المقتبس : ٢٥٣ (رقم ٥٩٥) ، وبغية الملتمس : ٣٥٠ (رقم ١٠٠٨) وهما من مصادرهما المتداولة .

ومن ذلك تخريج المصـادر التي ترجمت للعذري (ص١٣٩) ، واغفالهما ذكر جذوة المقتبس وهو أولى المصادر بالذكر ، لأنه أقدم المصادر الأندلسية التي ترجمت له وأوسعها ، ولأن الحميدي أخذ عنه وسمع منه (الجذوة : ١٢٧ – ١٣٠) .

أما نقول الرشاطي الأخرى التي أشار إلى مصادرها فلم يقم الباحثان بالعودة إليها ولو كانت من المصادر المطبوعة القريبة المتداولة مثل كتاب الإكمال لابن ماكولا (ص٦١ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٦٤) .

كذلك لم يترجما لطائفة من الرجال كان يحسن الترجمة لهم . لقد ترجما للأمير ابن ماكولا (ص٦١) وأغفلا الترجمة لأبي الخطاب بن حزم (ص٣٢ ، ٨٨ ، ١٢٠ ، ١٩٣) وأمثاله من العلماء والأدباء .

ووقع في الكتاب أغلاط كثيرة ، طائفة منها أغلاط مطبعية مبعثها العجلة . وقد رأيت الإشارة إلى جملة منها تدل على ما وراءها .

١ – في ص٢٦ بيتان أنشدهما الباجي :

إذا كنت أعلم علماً يقيناً   بأن جميع حياتي كساعه
فلم أكون ضنيناً بها   وأنفقها في صلاح وطاعه

وصدر البيت الثاني مختل الوزن ، وصواب إنشاده : فلِمْ لا أكونُ

ضنيناً بها . وجاء على الصواب في المصادر الأخرى مثل بغية الملتمس : ٢٨٩ ، والصلة لابن بشكوال ١ : ٢٠٠ (رقم ٤٤٩) .

٢ - في ص٢٨ جاء صدر البيت : وفي كل حال لم تزال بخيلة والصواب : لم تزالي بخيلة ، (انظر الذيل والتكملة ١/١ : ٢٧٤) .

٣ - في ص٤٤ السطر ٧ -٨ : « مع أنه إذا دام أحد أن يصيب من دينه شعره ... » والصواب : ... إذا رام أحدٌ ... ، بالراء .

٤ - ص٤٤ س١٢ : « وقال له : ملك لا تساعد الحاجب في فعله » والصواب : مالك لا تساعد الحاجب ... ؟

٥ - ص٥٤ س٢ - ٣ : « ومسايرة ما بين مدينة ماردة وقرطبة .... » والصواب : ومسيرة ما بين مدينة .... ، وقد جاءت على الصواب : ص١٥٩ .

٦ - ص٥٤ س١٠ - ١١ ، يتحدث عن فضل رخام ماردة : « فلما وليتُ ماردة تطلبته وانتقلت منه كلما استحسنت ... » .

والصواب : وانتقيت منه كلّ ما استحسنت .

٧ - ص٦٤ س٢ - ٣ ، ص ١٦٦ س ٢ - ٣ : « المنتجيل .... وهو لفظ أعجمي ، منت : جبل ، وجبل : صغير ... » .

والصواب : وجيل : صغير ، (جيل بياء مثناة تحتية) .

٨ - ص٦٤ هامش : « الصدفي : الوافي ... »

الصواب : الصفدي (بتقديم الصاد على الفاء) .

٩ - ص٦٦ هامش : « يؤثر على أسطر عديدة » العبارة ركيكة ، ومثله ما جاء ص٤٣ هامش ، وص٩٢ هامش .

يقال في العربية : أثّر في . ولكن المعنى المراد لا يحسن فيه استعمالِ هذا الفعل .

١٠ – ص٦٨ س٢ ، ص١٦٨ س٢

جاء في ص٦٨ مغام ، وفي ص١٦٨ مغامة ، ولم يعلق المحققان بشيء . قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « مغام ويقال : مغامة ، بالفتح فيهما : بلد بالأندلس ... » فأوضح أن الاسمين لبلد واحد .

وجاء في الصفحتين المذكورتين آنفاً : « وفيها الطفل الذي لا يشبه طفل لجودته وكثرته .. » ..

والصواب : « ... الذي لا يشبهه طفل ... » وجاءت العبارة صحيحة في الروض المعطار : ٥٥٥ (مغام) .

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان (مغام) : « وفيها معدن الطين الذي تغسل به الرؤوس ، ومنها ينتقل إلى سائر بلاد المغرب » .

ويقول صاحب الروض المعطار : ٣٩٤ (طليطلة) : « وعلى مقربة من طليطلة قرية تسمى بمغام ، في جبالها وترابها الطين المأكول ، يتجهز به إلى مصر والشام والعراق ، ليس على قرار الأرض مثله في لذة أكله ، وتنظيف الشعر به ... » .

١١ – ص٧٤ الهامش رقم (٢) رقم ٦٥ والصواب رقم ٦٤

١٢ – ص٧٦ س٤ قال في صفة جامع قرطبة : « ... من أجلّ مصانع الدنيا لكبر مساحة ، وأحكام صناعة ... » .

والصواب : « ... من أجلّ مصانع الدنيا كبرَ مساحة ، وإحكام (بكسر الهمزة) صناعة ... » وجاءت العبارة على الصواب (ص١٧٩) .

١٣ – ص٨٦ س٤ – ٥ : « أدركته وكان صديق أبيه رحمهما الله .... » .

الصواب : أدركته وكان صديق أبي رحمهما الله .

١٤ – ص٨٩ س٢ – ٣ : « شنتجاله ... ويقال لها أيضاً : جنجالة ، وإليها ينسب الوطّاء الجنجالي لعمله بها » .

الصواب : الوطاء ككتاب (وروي عن الكسائي فتح الواو) وهو خلاف الغطاء . فلا يجوز تشديد الطاء .

وجاء في ص١٩٤ س٢ : « ويقال لها أيضاً : جنجانة » ، بالنون ، وهو خطأ ، والصواب : جنجالة ، باللام .

١٥ – ص٩٥ س٢ – ٥ : « يابرة : مدينة ... ينسب إليها عبدون اليابري ... لم أجد له عندي إلا قوله في الخيري :

قمر وأثواب الظلام تظلله ويخفى إذا ما الصبح أحدق حاجبه»

وجاء البيت (ص١٩٩) :

قمر وأثواب الظلام تظلّه ويخفى إذا ما الصبح أحدق حاجبه

والشطر الأول ، على هذه الرواية ، من البحر الكامل . والشطر الثاني من الطويل . ولعل صواب إنشاده رواية الضبي في بغية الملتمس :

يـنمّ وأثواب الظلام تظلّه ويخفى إذا ما الصبح أشرق حاجبه

وقد أنشد الحميدي (الجذوة : ٣٨٢) والضبي (البغية : ٥٢٣) البيت منسوباً إلى ابن عبدون اليابري في الباب الذي عنوانه : (باب من نسب إلى أحد آبائه ولم أعلم اسمه) .

وجاء في الجذوة (ص٣٨٢) والبغية (ص٥٢٤) بيتان في الخيري

أيضاً يتردد في أولهما معنى بيت اليابري وهو :

ينمّ على الإمساء طيب نسيمه ويخبو مع الاصباح كالمتستّر

١٦ – ص١٠٢ س١ « الأشبيلي » والصواب : « الإشبيلي » بكسر الهمزة .

١٧ – ص١١٤ ص٤ – ٥ : قال في صفة أبي محمد عبد الله بن محمد بن قاسم بن حزم « ... كان صالحاً ... ذا علم بارع .... وصدع بالحق لا يأبى فيه ملائمة لائم » .

وملائمة صوابها : ملامة .

والعبارة غير مستقيمة ، لا تدل على المراد ، ولفظة (يأبى) فيها قد تكون محرفة .

وقد جاءت صفة أبي محمد عبد الله في موضع آخر (ص١٨٤) : « كان فقيهاً ... صليباً في الحق لا يخاف في الله لومة لائم ». وهي عبارة ابن الفرضي في تاريخه (١ : ٢٨٥) .

١٨ – ص١١٨ س٦ – ٧ : « ينسب إليها [إلى بلنسية] جماعة من العلماء ، منهم جحّاف بن يمن القاضي ، أحرقه القنبطور النصراني عند أخذه بلنسية سنة ثمان وثمانين وأربع مئة » .

لم يعلق المحققان بشيء على هذه العبارة . وقد سبق (ص٤٥ – ٤٦) في الحديث عن بلنسية أن قال الرشاطي : « ينسب إليها جماعة من العلماء منهم جحاف بن يمن ، ولاه أمير المؤمنين الناصر ... أحكام القضاء بموضعه ، فلم يزل قاضياً إلى أن استشهد في غزاة الخندق سنة سبع وعشرين وثلاث مئة . ذكره ابن حارث » .

وما قاله الرشاطي مطابق لما جاء في ترجمة جحاف بن يمن في كتب أصحاب التراجم .

أما الذي أحرقه القنبطور سنة ٤٨٨هـ فهو جعفر بن عبد الله بن جعفر بن جحاف بن يمن قاضي بلنسية (انظر بغية الملتمس : ٢٤٠ – ٢٤١) ، وأحرق معه الكاتب الشاعر أبا جعفر أحمد بن عبد الولي البتي (الأندلس في اقتباس الأنوار : ٢٨ ، بغية الملتمس : ١٨٢ ، الذيل والتكملة ١/١ : ٢٧٦) .

١٩ – ص١٢٣ س٤ : « قال أبو علي : أجاز في جميع رِواياته عن شيوخه ... » .

الصـواب : أجاز لي جميع رواياته عن شيوخه . وقد جاءت على الصواب في بغية الملتمس للضبي : ٣٣٢ .

٢٠ – ص١٢٣ السطر الأخير : « وذكره غيرهم » . الصواب : « وذكر غيرهم » .

٢١ – ص١٣٢ س٥ – ٦ : « روى بـالأنـدلس عن أبي عبيـد الجبيري ... وأبو بكر الزبيدي ... » الصواب : وأبي بكر الزبيدي .

٢٢ – ص١٣٣ س٦ – ٧ : « والرجلُ من الجلالقة يقادم عدة من الافرنجة »

الصواب : يقاوم ....

٢٣ – ص١٣٤ س٣ – ٤ : « وكل قطعة من وسط البحْر جزيرة إن قطعت وفصلت ... »

الصواب : إذ قطعت وفصلت ...

٢٤ – ص١٣٦ س٩ : « وسمع بمكة من أبي مسلم الكثي ... » .

الصواب : وسمع بمكة من أبي مسلم الكشي ، بالشين المعجمة .

٢٥ – ص١٣٦ س١٠ « وسمع ببغداد من أبي قتيبة ... » .

الصواب : وسمع ببغداد من ابن قتيبة ...

٢٦ – ص١٤٠ جاءت ترجمة الخيطي بعد الداني والدلائي ، والصواب أن تسبقهما ، لأن المؤلف قد نسق أنسابه وفق الترتيب الهجائي .

لم يشر المحققان إلى ذلك .

٢٧ – ص١٤٢ س٦ – ٨ : « وينسب كذلك موسى بن مطروح الربضي ... ذكره الحميدي » .

علق المحققان أن الحميدي ذكره في الجذوة ، الترجمة ٨٨٧ ، والترجمة المشار إليها هي ترجمة يحيى بن الحكم الغزال . لقد وقع تحريف في اسم المترجم ، صوابه : يوسف بن مطروح الربضي . وذكره الحميدي في الجذوة : ٣٤٦ (رقم ٨٧٧) والضبي في البغية : ٤٧٨ (رقم ١٤٥١) .

٢٨ – ص١٤٤ س٢ – ٣ : « ريّة كورة من كور الأندلس ... لها جند الأردن من العرب ... » الصواب : رية ... بها جند الأردن من العرب . قال في الروض المعطار (ص٧٩) : « رية : كورة من كور الأندلس ... نزلها جند الأردن من العرب .... » ، وانظر نفح الطيب ١:٢٣٧ .

٢٩ – ص١٤٥ س٤ : « وأهل قرطبة ينتقلون منها إلى الآن رخامها وعمدانها » الصواب : ينقلون منها ...

٣٠ – ص١٤٨ س٣ : « ... إنه ولد الرشيد موالي الوليد ... »

الصواب : انه ولد الرشيد مولى الوليد ...

٣١ - ص١٦٦ س٤ : « ينسب كذلك أبو عمرو أحمد بن سعيد ... » .

الصواب : أبو عمر ، كما جاء في ص٦٤ ، وقد أطبقت على ذلك كتب التراجم : تاريخ ابن الفرضي ، والجذوة والبغية ...

٣٢ - ص١٧٣ س٣ : « ويقال : عدوة ، بالضم والكسر ، وقوي بها جميعاً .

الصواب : وقرئ بهما ....

٣٣ - ص١٨٤ السطر الأخير ، ص١٨٥ السطر الأول : « كان يشبه بسفيان الثور في استقضاء المستنصر بالله في موضعه استعفاه فصرفه ... »

الصواب : كان يشبّه بسفيان الثوري [في زمانه] ، استقضاه المستنصر بالله في موضعه ثم استعفاه فصرفه (انظر تاريخ ابن الفرضي ١ : ٢٨٥) .

٣٤ - ص٢٠٤ س١٥ : « روض المعطار » الصواب : الروض المعطار .

٣٥ - ص٢٠٥ س١ : « ترسيع الأخبار » الصواب : ترصيع الأخبار .

* * *

وكتاب الرشاطي ، وهو كتاب نسب وتراجم ، يمور بالفوائد ، وقد اجتزأت بنماذج من درره النفيسة في اللغة والأدب والتاريخ ...

١ – معنى ارش اليمن : نحلتهم وعطيتهم (ص٢٩ س٣ ، ص١١٠ س٣)

٢ – والبلدة أيضا : منى ، كانوا يسمونها البلدة ... (ص٣٦ س٨ ، ص١١٥ س٦)

٣ – في ترجمة أبي الحكم منذر بن سعيد البلوطي فوائد جمة (ص٣٧ – ٤٤) :

جلب إلى الأندلس كتاب العين للخليل ، رواه عن أبي العباس بن ولاد وعن أبي جعفر النحاس ، وكان أخطب الناس ، وله الخطبة الشهيرة أمام الناصر لما احتفل في الجلوس لدخول رسول ملك القسطنطينية ، وأُثرت عنه الموعظة التي وعظ بها الناصر حين انهمك في بناء الزهراء .

٤ – ومن الفوائد اللغوية :

– الجوف في مصطلح الأندلسيين يعني الشمال (ص٥٤ س٢ ، ١٣٣ س٢ ، ١٣٥ س٢ ،...)

– تهمم به الخلفاء (ص٧٦ ، ١٧٩) ، يستعمل الأندلسيون تهمم به بمعنى عُني به ، فهي ترادف كلمة (اهتم) في الاستعمال الحديث .

–عدوة الوادي : شطه . وعدوتاه : شطاه ... ويقال : عدوة ، بالضم والكسر وقرئ بهما جميعاً (ص١٧٣ س٢ – ٣) .

– النسبة إلى مدينة (المرية) : المروي . وينسب إليها الأمير ابن ماكولا : (المربي) (ص٦١ س١ ، ص١٦٤ السطران الأخيران)

–رأيت تحت خزانة كانت في بيته خريطة مملوءة دراهم ... (ص٨٦ س٧)

وفي اللسان : « الخريطة : هنة مثل الكيس تكون من الخرق والأدم

تشرح على ما فيها ، ومنه خرائط كتب السلطان وعمّاله » .

– سبتــة : مدينــة على الخليج الرومي ... والذي سمعتُ أبداً في سبتة ، بفتح السين ، وفي النسب إليها بكسرها (ص١٨٧ س٢ – ٥) .

٥ – ويبدع الرشاطي في صفة بعض المدن وروعة بنيانها كوصفة مدينـة ماردة ، ومدينـة قرطبـة وجامعها ، وسرقسطة (ص٥٤ ، ١٥٩ ، ٧٦ ، ١٧٩ ، ٨٠ ، ١٨٨) .

٦ – ألّف أبو غـالب تمام بن غالب المعروف بابن التيـاني اللغوي المرسي كتابه الموعب في اللغة ، فأرسل إليه أبو الجيش مجاهد صاحب دانية ألف دينار على أن يزيد في ترجمة الكتاب : « مما ألفه لأبي الجيش مجاهد » ، فرد الدنانير وأبى من ذلك ... (ص٦٢ ، ١٦٣) .

٧ – قصة محمد بن عبد الله بن أبي عيسى وزوجه أخت أبي عمر أحمد بن سـعيـد (ص٦٥ – ٦٦) وفيهـا دلالة على اعتداد المرأة بنفسهـا وكبريائها .

٨ – البحر الأعظم المسمى بأقيانس المعروف عندنا بالأندلس ببحر الظلمة (ص٧٩ ، ١٨٧) .

٩ – يقال إن قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي وأباه أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس (ص٨١ ، ١٨٩) وانظر الفقرة (٣) .

١٠ – شجر الشبين هو الصنوبر ، كثير بجزيرة يابسة (ص٨٢ ، ١٩٠) .

١١ – يتحـدث عن أحمد بن مسـعـود الأزدي الشمنتـاني ، وأنه أديب شاعر ، شعره على نحو طريقة أبي الفتح البستي (ص٨٦ – ٨٧) .

١٢ – ومما يدل على روح الدعـابة والظرف التي عرف بها بعض

العلماء ما ذكر عن الوقشي أنه اختصم إليه رجلان فقال أحدهما : يا فقيه ، هذا الرجل اشتريت منه اثني عشر تيساً حاشاك . فقال له الفقيه : فقل : أحد عشر ... (ص٩١) .

١٣ – ويقول في تفسير كلمة باجة : رأيت في بعض التواريخ ان تفسير باجة في لغة العجم : السلم (ص١٠٧) .

١٤ – كورة تدمير سبع مدائن : اوريولة وبلنتلة ولقنت ومولة وبقسرة واية ولورقة (ص١٣٠) .

ومرسية من بلاد تدمير . وقد ذكرنا تدمير ... وسمينا هناك بلادها ، وليس مرسية مما ذكرنا هنالك ، لأنها مدينة محدثة بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم (ص٦٢ س٢ – ٣ ، ص١٦٣ س٢ – ٣) .

١٥ – يتحدث عن تطيلة فيقول : « وهي محاذية لأهل الشرك الذين يسكنون مدينة بمبلونة ، يقال لهم : البشقنس ، ولسانهم البشقنة غير لسان الجلالقة » (ص١٣١) .

١٦ – يتحدث عن أبي يحيي زكريا بن خطاب بن إسماعيل الكلبي التطيلي ، وأنه كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٢٩٣هـ ، وسمع كتاب النسب للزبير بن بكار سمعه من الجرجاني ... (ص١٣١) .

وتفصيل ما أوجزه ابن الخراط قد جاء في تاريخ ابن الفرضي (١ : ١٧٧) : « سمع بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجاني ، حدثه به عن علي بن عبد العزيز والجمحي والعائذي عن الزبير » .

١٧ – ... والجزيرة ما بين الفرات ودجلة ، قيل لها الجزيرة لأنها مثل الجزيرة من جزائر البحر ، مشتقة من الجزر وهو القطع . وكل قطعة من وسط البحر جزيرة إذ قطعت وفصلت عن تخوم الأرض .... والجزائر

كثيرة ، فجزيرة الأندلس قيل لها جزيرة لأنها بين البحر وبلاد النصارى فهي منقطعة عن أهل ملتها ... والجزائر كثيرة كجزيرة ميورقة ومنورقة وجزيرة يابسة وصقلية ... وكل قطعة في وسط البحر لا يعلوها فهي جزيرة (ص١٣٤) .

١٨ – طالقة : مدينة بالأندلس بقرب إشبيلية ... وكانت دار مملكة الأفارقة بالأندلس (ص١٤٦) .

١٩ – فرّيش : موضع بالأندلس بين الجوف والغرب من قرطبة ... والغالب على أشجارها القسطل (ص١٧٥) .

٢٠ – شنتجالة ... ويقال لها : جنجالة ، وإليها ينسب الوطاء الجنجالي لعمله بها (ص٨٩ ، ١٩٤) .

* * *

أختم هذا العرض بتعداد أبرز المصادر والمراجع التي ترجمت للرشاطي ، أو ذكرت شيئاً من خبره .

١ – الصلة لابن بشكوال (ط مجريط ١٨٨٢م) ١ : ٢٩١ ، رقم ٦٤٨ .

٢ – بغية الملتمس للضبي (ط مجريط ١٨٨٤م) : ٣٣٦ رقم ٩٤٣ ، وانظر شيئاً من خبره في الترجمات ذوات الأرقام : ٣٨ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ١٠٤ ، ٤٤٢ ، ٧٤٣ ، ١٢٤٢ ، ١٤٩٧ (ص٤٩٧ من هذه الترجمة) .

٣ – معجم البلدان لياقوت الحموي (ط ليبزيغ ١٨٦٧) ٢ : ٧٨١ (رشاطة) .

٤ – المطرب لابن دحية (القاهرة ١٩٥٤م) : ٦١ ، ١٢٠ .

٥ ــ المعجم لابن الأبار (ط مجريط ١٨٨٦م) : ٢١٧ ــ ٢٢٢ ، رقم ٢٠٠ .

٦ ــ التكملة لابن الابار (ط مجريط ١٨٨٩م) ٢ : ٧٥٦ ، رقم ٢١٥١ .

٧ ــ وفيات الأعيان (تح. احسان عباس) ٣ : ١٠٦ ــ ١٠٧ .

٨ ــ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة للأنصاري المراكشي (ط بيروت ١٩٦٥) ٥/١ : ٢٣٤ (ترجمة أبيه)، ٥/١ : ٢٣٤ ــ ٢٣٥ (ترجمة ابنه) .

٩ ــ تذكرة الحفاظ للذهبي ٤ : ١٣٠٧ ــ ١٣٠٨ .

١٠ ــ سير أعلام النبلاء للذهبي : ٢٠ : ٢٥٨ ــ ٢٦٠ .

١١ ــ البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٢٢٣ .

١٢ ــ لب اللباب للسيوطي (ط بريل ١٨٦٠) : ١١٧ .

١٣ ــ نفح الطيب (تح. احسان عباس) ٤ : ٤٦٢ .

١٤ ــ تاج العروس (رشط) .

١٥ ــ كشف الظنون لحاجي خليفة ١ : ١٣٤ (اقتباس الأنوار ...) .

١٦ ــ هدية العارفين : ١: ٤٥٦ .

١٧ ــ الأعلام للزركلي ٤ : ١٠٥ .

١٨ ــ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦ : ٩٠ .

جامع الأصول

في أحاديث الرسول وتتمته

مأمون الصاغرجي

جامع الأصول كتاب جمع فيه مؤلفه ابن الأثير الأصول الستة التي تعدُّ أمَّ كتب الحديث وأشهرها في أيدي الناس ، والتي بأحاديثها أخذ العلماء واستدل الفقهاء وأثبتوا الأحكام ، وهي : صحيحا البخاري ومسلم ، وموطأ مالك ، وكتب السنن الثلاثة : سنن أبي داود السجستاني ، والترمذي ، والنسائي . وأصحاب هذه الأصول من أشهر المحدّثين في الإسلام وأكثرهم حفظاً ، وأعرفهم بمواضع الخطأ والصواب ، وإليهم المنتهى في هذا الفن ، لذلك تلقت الأمة كتبهم بالقبول والرضا ، فأحب ابن الأثير[1] أن يضم هذه الكتب الستة في كتاب واحد يكون جامعاً لمتون الحديث ، على أن يحذف الإسناد والمكرر ، ثم يعزوها إلى الأصل الذي أخرجها منه ، وكان قد تقدَّمه في ذلك رزين بن معاوية العبدري

---

(١) هو المبارك بن محمد أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلي ، يكنى أبا السعادات ويلقب مجد الدين ، ويعرف بابن الأثير ، والأثير لقب أبيه أثير الدين أبي الكرم ، وشيبان القبيلة التي انتسبت إليها أسرته ، والجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر ، وهي بلدة صغيرة على الشاطىء الغربي لدجلة شمالي الموصل ، وبها توفي سنة ٦٠٦هـ .

ويعرف بابن الأثير أشقاء ثلاثة حازوا المجد من أطرافه ، فأكبرهم صاحب الكتاب الذي نتحدث عنه وهو مؤلف النهاية في غريب الحديث ، وثانيهم علي المتوفى سنة ٦٣٠هـ وهو صاحب الكامل في التاريخ وأسد الغابة واللباب في الأنساب ، وثالثهم الوزير الكاتب نصر الله المتوفى سنة ٦٣٧هـ صاحب كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .

السرقسطي الأندلسي المتوفى ٥٣٥هـ ، إذ جمع الأصول الستة تلك في كتاب سماه « التجريد للصحاح الستة »[٢] ، بيد أنه وجده قد أودع مؤلفه فيه أحاديث في أبواب ربما كان غيرها أولى بها ، وكرر فيه أحاديث كثيرة وأغفل غيرها لغرض ما ؛ فكان هذا هو الباعث لابن الأثير على تهذيب كتاب رزين وترتيبه وبنائه من جديد ، فبوَّبه وشرح غريبه وسماه « كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول »[٣] .

وبقي هذا الجامع مخطوطاً لا ينتفع به إلا الأقلّون ، إلى أن قُيض له أن يظهر للناس بين الأعوام ١٩٤٩ و١٩٥٥م[٤] على يد الشيخ محمد حامد الفقي بمطبعة السنَّة المحمدية بالقاهرة ، أخرج منه اثني عشر جزءاً ، وأشار في خاتمة الجزء الثاني عشر ص٣٩٣ أن سيتلوه الجزء الثالث عشر ، ويبتدئ بالخواتم وهي مفاتيح الكتاب التي لا غنى له عنها . ولأمرٍ نجهله توقف الكتاب عن الصدور ، ثم تلا ذلك وفاة الشيخ الفقي عام ١٩٥٩[٥] رحمه الله ولما يتم الكتاب بعد .

وبعد نحو من عشرين سنة على طبعة الشيخ الفقي قام بإعادة تحقيقه ونشره الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، وذلك في سنة ١٩٦٩م ، وامتازت هذه من سالفتها بأن الأستاذ عبد القادر نهض بتخريج الأحاديث الواردة فيه ، مبيِّناً درجة كل حديث من حيث الصحة والحسن والضعف ، وقد صدر من هذه الطبعة أحد عشر مجلداً ، واشتركت الطبعتان في توقفهما عند آخر كتاب اللواحق ، أي عندما يعادل ثلثي الكتاب .

---

(٢) انظر جامع الأصول ٤٩/١ .

(٣) انظر جامع الأصول ٥٢/١ .

(٤) ذكر بعضهم أنه طبع في الهند سنة ١٣٤٦هـ ، ولم أقف على هذه الطبعة انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٥ ، ص٦٣٥ .

(٥) انظر ترجمة الشيخ الفقي في معجم المؤلفين ١٧٢/٩ .

والآن بعد مضي نحو من عشرين سنة على طبعة الأستاذ الأرناؤوط ظن كثير من الناس أن الكتاب انتهت أجزاؤه وكمل بإصدار جزأين في فهرسة أحاديثه ، وربما كانت هذه المدة المنصرمة على مضي الطبعة الأولى والثانية ، والطبعات المصورة المتعددة التالية لهما قد رسخ عندهم أن الكتاب تمّ بهذا القدر ، ولكن الواقع يثبت خلاف ذلك ، فالمؤلف عندما وضع كتابه بناه على ثلاثة أركان[٦] : الأول خصَّه بالمبادئ ، وفيه تحدث عن الباعث على عمل الكتاب ، ومبدأ انتشار علم الحديث وجمعه وتأليفه ، واختلاف الناس ومقاصدهم في تصنيف الحديث ، ثم كيفية وضع الكتاب ، وفرَّع في طرق نقل الحديث وما اصطلحه أهل هذا الفن في ذكر أنواع الحديث وطبقات المحدثين جرحاً وتعديلاً ، فاستغرق ذلك مئتي صفحة ونيِّفاً . والركن الثاني خصه بالمقاصد ، وهي الكتب المقسّمة على حسَب اختلاف معاني الأحاديث في ثمانية وعشرين حرفاً من حروف المعجم ، وحسَب الحرف الذي ابتدأ به معنى الحديث ، مثال ذلك : الإيمان ، البِرّ ، التفسير ، الثناء ، الجهاد ، الحج ، الخَلْق ، الدعاء ... وهكذا كل معنى تجده في كتاب ، وكل كتاب يندرج في أحد الحروف الثمانية والعشرين[٧] ، وقد استغرقت هذه الكتب بقية الجزء الأول إلى آخر الجزء الحادي عشر منه .

أما الركن الثالث فقد خصّه بالخواتم أو الخواتيم ، وهي أربعة الأجزاء التي نحن بصدد التعريف بها ، وقد أشار ابن الأثير إلى هذا الركن في مقدمته ص٢٥ من الجزء الأول بقوله : « وقد أفردت باباً في آخر الكتاب يتضمن أسماء الجماعة المذكورين في جميع الكتاب ، إن كان صحابياً أو تابعياً أو غيره ، ورتبته على حروف (أ ب ت ث ....) » . وقال أيضاً في ص٦٧ ،

(٦) انظر جامع الأصول ١/٣٤ ، ٣٥ .

(٧) بلغ عدد هذه الكتب ١٢٩ كتاب .

٦٨ من مقـدمتـه : « لمـا استقرَّ وضع الأحاديث في الأبواب والكتب والحروف تتبَّعتها فوجدت فيها أحاديث ينبو بها مكانها ، وإن كان أولى بها من غيره من سائر الأمكنة ، وكان طالب تلك الأحاديث أو بعضها ربما شذَّ عن خاطره موضعها والتبس عليه مكانها ، أو مشتبهة على طالبها ، وخرَّجت منها كلمات ومعاني تعرف بها الأحاديث ، وأفردت لها في آخر الكتاب باباً أثبتُّ فيه تلك المعاني مرتبة على حروف (أ ب ت ث) مسطورة في هامش الكتاب وبإزائها موضعها من أبواب الكتاب » .

وأثبت المحقق راموز الورقة الأخيرة من النسخة الأولى ، وفيها تبيان للركن الثـالث من الكتـاب ، وفيـه : الفن الأول في التنبيه على أحاديث مجهـولة المـوضـع ، والفن الثـاني في الأسمـاء والكـنى والأبنـاء والألقـاب والأنسـاب ...

والخلاصـة : إن هذه الأدلة واضحـة في أن الكتـاب لَمَّا ينته إلا بإصـدار الركن الثـالث منه ، وبعد هذه السنين المنصرمة تهيأ لإتمامه دار للنشر تنهض بطبعه وتتسمى باسم مؤلفه ، وهي دار ابن الأثير – بيروت ، فـأصـدرته في أربعـة أجزاء محققـة بإشـراف الأستـاذ الشيخ عبد القـادر الأرناؤوط في العام الفائت ١٤١٢هـ/١٩٩١م وهذه نبذة عنها :

الجزء الثاني عشر : تحقيق محمود الأرناؤوط ، ويتضمن :

الفن الأول من الركن الثالث : وهو فهرس للتنبيه على الأحاديث المجهولة الموضع ، سماه المحقق « فهرس الألفاظ الخفية »[٨] . (من ص٢٥

(٨) قـال ابن الأثـير في مقـدمـة هذا الجزء ص٢٥ : « قد استخرجنـا من تلك الأحاديث التي ربما اشتبه موضعها كلماتٍ هي أشهر ما فيها ، كان الحديث يعرف بها ، فإنه لا يخلو الإنسـان أن يعرف من ذلك الحديث كلمة يُستدل بها » . قلت : وهذا يناقض معنى الاسم الذي أطلقه المحقق ، ولو أنه سمَّاه « فهرس الألفاظ المشتهرة » لكان أشبه بالصواب ، لأن هذه الألفاظ اشتهرت فاستدل بها على موضع الحديث .

إلى ٢١٤) .

الفن الثاني من الركن الثالث وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول : وفيه ذكر النبي ﷺ وما يتعلق به من مولده وأسمائه وأسماء مراضعه ومنشئه وتنقله وصفاته وأزواجه وسراريه وأولاده وأسماء أعمامه وعماته ومرضه ووفاته ومدة عمره . (من ص٢١٥ – ٢٨١) .

الباب الثاني : في ذكر جماعة من الأنبياء ومن يتعلق بهم (ص٢٨٢ – ٢٩٧) .

الباب الثالث : في ذكر العشرة من الصحابة المبشرين بالجنة (ص٢٩٨ – ٣٢٠) .

الجزء الثالث عشر : تحقيق محمود الأرناؤوط . ويحتوي هذا الجزء على :

الباب الرابع : وفيه ذكر تراجم الصحابة رضي الله عنهم ثم من بعدهم من التابعين وغيرهم ممن لهم ذكر أو رواية في الكتاب ، سواء كان جاهلياً أم قديماً ، وسواء كان اسم قبيلة أم من اشتهر بكنية أو لقب أو نسب . وقد رتب المؤلف هذه الأعلام جميعها على حروف المعجم ، وكل حرف قسمه إلى فرعين أو ثلاثة ، ففرع للصحابة وآخر للتابعين فمن بعدهم ، وثالث لغير هذين الفرعين من جاهلي قديم أو غيره ، وربما جاء آحاد الحروف من النساء واحدة أو اثنتان فسلكه المؤلف في أسماء الرجال ، ابتدأ هذا الجزء بحرف الهمزة ص٧ ، وانتهى بنهاية حرف الخاء المعجمة عند ترجمة الخولاني ص٤٦٤ .

الجزء الرابع عشر : تحقيق رياض عبد الحميد مراد ، ويتضمن قسماً من الباب الرابع الذي ذكرتُه آنفاً في الجزء الثالث عشر ، فيبتدئ بحرف الدال ترجمة دحية الكلبي (ص٥) وينتهي بنهاية حرف العين المهملة ؛

ترجمة العيشي (ص٨٦٠) .

الجزء الخامس عشر : تحقيق محمد أديب الجادر ، وفيه تتمة الباب الرابع الذي ذكرتُ بدايته في الجزء الثالث عشر ، فيفتتح الجزء (ص٥) ببداية حرف الغين المعجمة ، ترجمة غالب بن أبجر إلى آخر حرف الياء ، ترجمة اليماني (ص٥٩٣) . وفيه أيضاً :

الباب الخامس : وفيه ذكر جماعة لهم ذكر ورواية ولم يصرِّح بأسمائهم في الأحاديث التي مرَّ ذكرها في الكتاب ، فنبه المؤلف على اسم من عرفه منهم ، وهذا الباب من الأبواب المهمة في الكتاب ، (من ص٥٩٤ إلى ٦١٥) وقد عرف هذا الفن في اصطلاح المحدثين بـ « الأسماء المبهمة » أو « المبهمات » ، وقد أُفردتْ له مؤلفات خاصة .

ويحوي هذا الجزء أيضاً الفن الثالث[٩] من الكتاب ، وهو فهرس لجميع الكتب الواردة في الركن الثاني الذي ألمعت إليه في ص٣ (من ص٦١٦ – ٦٨٤) ثم خاتمة الكتاب (من ٦٨٥ – ٦٨٨) .

(٩) جاء في المطبوع بعنوان « الفن الرابع » وهو خطأ .

مطبوعات مجمع اللغة العربية

في عام ١٩٩١م

مأمون الصاغرجي

عبد الله كنون – سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة ورد شبهات الحاقدين والدقفة – تأليف الدكتور عدنان الخطيب (٨٢ صفحة) .

الأستاذ كنون عضو مراسل في مجمع دمشق منذ عام ١٩٥٥ ، وفي مجمع القاهرة منذ عام ١٩٦٢ ، وكان عضواً في كل من مجمع بغداد وعمان والمملكة المغربية ، وأميناً عاماً لرابطة علماء المغرب ، وعضواً عاملاً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . وقد كان للأستاذ كنون – رحمه الله – مشاركة وافرة في النشاط المجمعي علماً وأدباً ولغةً وتاريخاً ، وكان له نشاطات ثقافية بارزة متعددة ، اختاره الله إلى جواره عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م . فكتب الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق مؤلفاً لطيفاً في ترجمته تخليداً لذكراه ، استهلّه بلمحة تاريخية عن مدينة فاس مهد الأستاذ كنون وعاصمة المغرب الأقصى ، وخصّ من اشتهر من بيوتاتها بالذكر بيت كنون المنتسبين في أصلهم إلى الأدارسة ، وألمح إلى هجرتهم من فاس إلى طنجة بسبب الاستعمار الفرنسي ، وبطنجة استقرت أسرته وبها نشأ وتلقى علومه .

ثم تحدث الدكتور الخطيب عن الفقيد ونبوغه المبكر ، وبخاصة في كتابه « النبوغ المغربي في الأدب العربي » إذ ألفه وهو في العشرينات من

عمره ، ملمعا إلى صداه الواسع في الجامعات الأوربية ، وتنويه بروكلمان وجيوفاني بيانكي به (ص١٨) .

وتناول الدكتور الخطيب بالبحث أبرز الجوانب الثقافية في حياة كنون ، تجلّى ذلك في كونه كاتباً مسلماً ، وأديباً ناقداً ، وشاعراً مرهف الإحساس . واختار نماذج من مآخذه على كتاب « المنجد في الآداب والعلوم » ، (ص٢٤) وذكر منتخبات من أشعاره (ص٤٠) ، وأفرد فقرة لنشاطه المجمعي فذكر قائمة بأسماء المقالات التي نشرت له في مجمع دمشق خاصة (ص٥٦ ـ ٥٨) ، وأشار إلى صلته بمجمع القاهرة (ص٥٩) . ثم ختم الدكتور الخطيب مؤلفه هذا بملخص عن حفل التأبين الذي أقامه مجمع القاهرة في ذكرى وفاته (ص٦٨) ، وقائمة بمصادر ترجمته .

كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية ـ تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري المتوفى نحو ٣٩٠هـ ـ تحقيق وفاء تقي الدين (١١٢ صفحة) .

ربما يدفع هذا الكتاب ـ على ضآلة حجمه ـ التهمة عن المكتبة العربية خلوَّها من المعجمات المتخصصة ، بل ربما يُعدّ من أوائل الكتب التي عنيت بالاصطلاحات الطبية ، وهو يمثل مرحلة مبكرة من مراحل التصنيف العلمي المنهجي .

وتبدو أهمية هذا الكتاب من كونه يمثل نواة لمعجم متخصص في ألفاظ اصطلح عليها الأطباء في العصر العباسي قد لا يفهمها إلا أهل هذه الصناعة ، وربما كانت هذه الألفاظ عربية الأصل ولكنها اكتست معاني خاصة ، أو أعجمية معرَّبة (ص٤) . وقد ألمع المؤلف في خطبة الكتاب إلى أنه التقط هذه الألفاظ من بطون الكتب وتضاعيف الكنّاشات ، وقف عليها متفرقة في كتب شتى ، والباحث في علم الطب يحتاج في تحصيلها والوقوف على معانيها إلى تكلف شديد ربما حمله على الإعراض عنها

(ص١٢) . وقد فسَّر هذه الألفاظ تفسيراً مجرداً ، مُعْرضاً فيه عن ذكر الأسباب والعلل ، مدركاً أن اللغة العربية بطبيعتها تحتمل معاني خارجة عن مقصود الأطباء في صناعتهم .

قسمّ المؤلف كتابه في عشرة أبواب ، أدرج فيها أسامي العلل والطبائع في بدن الإنسان ، وذكر أسماء أشياء تستخدم في العلاجات والقراباذينات ، كما ذكر الأوزان والمكاييل المستخدمة في هذه الصناعة .

اعتمدت المحققة في إخراج النص والتعليق عليه على عدد من النسخ وصفتها في مقدمة الكتاب ، وأحسنت عملاً إذ صنعت فهارس منوعة ، يجد الباحث نفسه في أمس الحاجة إليها ، ففهرس لمواد الكتاب ، وآخر لأسماء النبات ، وثالث لأسماء الحيوان ، ورابع لأسماء الأدوات .

تاريخ مدينة دمشق - تأليف الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر - المجلد الحادي والأربعون - تحقيق سكينة الشهابي (٤٨٥ صفحة) .

يتضمن هذا المجلد التراجم من : عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن أبو القاسم المقرئ ، إلى عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة .

سلكت المحققة في إخراج النص والتعليق عليه المنهج الذي أوضحته في مجلد ترجمة عثمان بن عفان ، وبقية الأجزاء التي عنيت بإخراجها من التاريخ ، والتزمت بصنع فهارس فنية تضمنت أسماء المترجمين والأعلام والشيوخ والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر والأماكن والأيام والوقائع والكتب التي ذكرها المصنف .

تاريخ مدينة دمشق - تأليف الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر - السيرة النبوية (القسم الثاني) - تحقيق نشاط غزاوي (٤٧٠ ص) .

تضمن هذا المجلد-١٤ أربعة عشر باباً من السيرة النبوية ، يبدأ بالباب الثالث عشر « باب عروجه ﷺ إلى السماء واجتماعه بجماعة من الأنبياء » ، وينتهي بالباب السادس والعشرين « باب مختصر من دلائل نبوته » عند خبر حنين الجذع . وكانت المحققة قد أخرجت القسم الأول (طبع سنة ١٩٨٤) وفيه اثنا عشر باباً .

وقد بينت في مقدمتها الموجزة الأصول التي اعتمدتها في التحقيق ، وأشارت إلى الخروم الواقعة فيها ، واتبعت في إخراج النص والتعليق عليه المنهج الذي أوضحته في القسم الأول ، وتوجت عملها بصنع فهارس فنية انتظمت فيها الموضوعات وأسماء الشيوخ وسماعات هذا الجزء والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر .

ومما يحسن الإشارة إليه هنا أن ما طبع في المجمع من تاريخ ابن عساكر حتى إصدار هذا الجزء بلغ أربعة عشر مجلداً ذكرت في الصفحة الأخيرة من غلافه .

آراء وأنباء
انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق السادة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين في المجمع :

١ ـ من جمهورية مصر العربية :

ـ الدكتور شوقي ضيف .

ـ الدكتور كمال بشر .

٢ ـ من الجمهورية الجزائرية :

ـ الأستاذ مولود قاسم .

ـ الدكتور أبو القاسم سعد الله .

٣ ـ من أسبانيا :

ـ الدكتور خيسوس ريو ساليدو .

٤ ـ من ألمانيا :

ـ الدكتور رودلف زلهايم .

٥ ـ من المملكة العربية السعودية :

ـ الأستاذ حسن عبد الله القرشي .

ـ الأستاذ عبد العزيز الرفاعي .

ـ الأستاذ عبد الله خميس .

٦ ـ من الجمهورية العربية السورية :

- الدكتور صلاح الدين المنجد .
- الدكتور شاكر مصطفى .
- الدكتور عبد الله عبد الدايم .
- الأستاذ عبد المعين ملوحي .
- الدكتور عبد السلام العجيلي .
- الدكتور عبد الكريم الأشتر .
- الدكتور عمر الدقاق .
- الدكتور خالد الماغوط .

وقد صدر عن السيد وزير التعليم العالي قرار تعيينهم (القرار ذو الرقم ١٧ في ١٩٩٢/٣/٢٥) .

انتخاب لجان المجمع الدائمة

نظـر مجلس المجمـع في جـلستـه العـاشـرة المنعقـدة في (١٢/٦/١٤١٢هـ - ١٨/١٢/١٩٩١م) في لجـان المجمع الدائمـة وأقر تأليفها على النحو الآتي ذكره :

لجنة المصطلح : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٢٢/ن تاريخ ١٦/١/١٩٩٢م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
الأستاذ المهندس وجيه السمان
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان
الأستاذ الدكتور مختار هاشم
الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم
الأستاذ الدكتور عادل العوا
الأستاذ جورج صدقني

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .
مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة الأصول : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٢٣/ن تاريخ ١٦/١/١٩٩٢م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور مختار هاشم

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة المخطوطات وإحياء التراث : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٢٤/ن تاريخ ١٦/١/١٩٩٢م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور مختار هاشم

الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

الأستاذ الدكتور عادل العوا

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة المجلة والمطبوعات : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٣٦/ن تاريخ ١٦/١/١٩٩٢م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

الأستاذ جورج صدقني

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

الأستاذ أحمد راتب النفاخ
في ذمة الله

الدكتور إحسان النص

فقد مجمع اللغة العربية بدمشق عضواً بارزاً من أعضائه العاملين هو المرحوم الأستاذ أحمد راتب النفاخ الذي اختاره الله لجواره صبيحة يوم الجمعة الحادي عشر من شعبان ١٤١٢هـ الموافق للرابع عشر من شباط ١٩٩٢م ، فأثار فقده عميق الأسى والحسرة في نفوس ذويه وزملائه وأصدقائه وطلابه . تغمده الله بفيض رحمته وجعل مثواه جنان الخلد .

لقد فقد مجمعنا بفقده ركناً من أركانه الوطيدة ، وفقدت الأمة العربية باحثاً محققاً قل نظراؤه في أقطار الوطن العربي .

كان الفقيد قمة شامخة من قمم البحث العلمي ، وكان بحراً فياضاً في مجال الدراسات الإسلامية واللغوية والأدبية وكل ما يتصل بالتراث العربي الإسلامي ، نهل من معينه الثرّ المئات من الباحثين واغترف من مورده الآلاف من الطلاب من أبناء العروبة الذين قرؤوا عليه في الجامعة .

كان الفقيد لا يضن بما لديه على طالب علم يقصده للاستنارة برأيه وتوجيهه ، ينفق الساعات الطوال في مراجعة ما أشكل أمره على أصدقائه وطلابه من عويص المعضلات اللغوية والأدبية والنحوية . كان أبذل الناس لما عنده ، يسخو بعلمه وكتبه ووقته على قاصديه ، لا يضيق بمهمة تناط به أو ببحث يكلف مراجعته ، جليسه الدائم كتاب الله والكتب التي تحفل بها مكتبته الزاخرة بأمهات المراجع وعيون التراث ، وكان بيته مقصد طالبي المعرفة والعلماء .

ولد الفقيد الكريم سنة سبع وعشرين وتسعمئة وألف بمدينة دمشق ، وهو سليل أسرة تنقلت بين حوران وبعلبك لتستقر آخر الأمر بدمشق ، وتلقّى دروسه الابتدائية والثانوية والجامعية فيها ، ولما حصل على الإجازة في الآداب عام خمسين وتسعمئة وألف عيّن أستاذاً للعربية في إحدى ثانويات مدينة درعا . وبعد ثلاث سنوات عيّن في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق . (كلية الآداب) لتدريس العربية ، فنهض بهذه المهمة على خير وجه وتخرّج به كثيرون ، ثم أوفد إلى جامعة القاهرة لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه فحصل على الماجستير عام ثمانية وخمسين وتسعمئة وألف ، وكان موضوع رسالته دراسة حياة الشاعر ابن الدمينة وشعره وتحقيق ديوانه . ثم سجل موضوع رسالة الدكتوراه في القراءات وأنجز الجانب الكبير منها ، ولم يكن بينه وبين نيلها إلا استيفاء بعض جوانبها ، ولكن أمراً ما دفع راتباً إلى الإحجام عن إنجازها والرجوع إلى دمشق لمعاودة التدريس في جامعتها ، فخسر البحث العلمي بذلك دراسة متعمقة في القراءات القرآنية لا يقوى على النهوض بها إلا أولو العزم والكفاية من العلماء ، ولم يكن همّ الفقيد الحصول على الألقاب العلمية والتباهي بها بل كان زاهداً في ذلك كل الزهد ، وهمّه إنما هو في تحصيل العلم الصحيح ليس غير .

لم يكن الفقيد ممن يتعجلون في إنجاز بحوثهم وإنما كان يؤثر الأناة والرويّة وإمعان النظر ، وطبيعته المتأنية المدققة هذه هي التي حملته على التريث في إنجاز رسالة الدكتوراه ، وهي تفسر كذلك عدم إقدامه على تأليف الكثير من الكتب والدراسات واكتفائه بالقليل الذي يطمئن إلى صحته وسلامته من المآخذ والهنات . وقد عني بالتحقيق فجاء صنيعه غاية في دقة الضبط ، وقد قام بتحقيق كتابين أولهما ديوان ابن الدمينة ، والثاني كتاب « القوافي » للأخفش .

ومن آثاره صنع فهرس لشواهد سيبويه ، وقد يسّر بهذا الفهرس السبيل على الناظرين في كتاب سيبويه ، وعني الفقيد كذلك بجمع مختارات من الشعر الجاهلي وضعها بين أيدي طلابه في الجامعة ، واختياره ينمّ عن تذوق لعيون الشعر الجاهلي وخبرة وافية بدقائق معانيه .

وإلى ذلك عني الفقيد بنقد بعض ما نشره المحققون من كتب التراث ، إيدفعه إلى ذلك غيرته الشديدة على التراث ، وحرصه على عدم العبث به ، وكانت هذه الغيرة وذاك الحرص ربما دفعاه إلى أن يعنف أحياناً في نقده ، وعذره في ذلك نظرته المثالية إلى تحقيق التراث الذي ينبغي أن يكون عنده بريئاً من آفات التصحيف والتحريف ، وإلى المحقق الذي ينبغي أن يكون عنده مستوفياً عدة البحث والتحقيق ، متأنياً في عمله ، طويل النفس في تقصي مظان البحث وموارد التحقيق . وقد نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق وفي غيرها من المجلات نقداً حول تحقيق طائفة من كتب التراث المنشورة ، ومنها : « رسالة الغفران » للمعري ، و« المحتسب » لابن جنّي ، و« القوافي » للأخفش ، و« إعراب القرآن » المنسوب للزجاج . وقد ردّ إلى الصواب ما وقع فيه محققو هذه الكتب من أخطاء التصحيف والتحريف وشرح المعاني وغيرها .

وفضلاً عن إسهام الفقيد في تحقيق كتب التراث ونقد ما ينشر منها ، كان له مشاركته البارزة في أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق ، سواء في تقويم البحوث التي ترسل إلى المجمع لنشرها في مجلته أو في معالجة المشكلات التي تعرض في جلساته ، وكان – رحمه الله – يبذل من الجهد في قراءة بحوث المجلة وتقويمها ما يوهي قوى أولي العزم .

وللفقيد أصدقاؤه من كبار العلماء والباحثين في شتى أقطار العروبة والإسلام ، وكلهم عرفوا له مكانته العلمية ورسوخ قدمه في علوم العربية والدراسات الإسلامية والقرآنية ، فالخسارة بفقده جسيمة لا تعوّض ، والله

نسـأل أن يتغمده بشآبيب رحمته ، ولئن قل لبثه في هذه الدنيا الفانية ، لمقامه في جنة الخلد التي ندعو الله أن يجعلها مثواه أبقى وأخلد .

توصيات

مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة

في الدورة الثامنة والخمسين

(١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

عقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة دورته الثامنة والخمسين في المدة (٢٣ رجب - ٧ شعبان ١٤١٢هـ = ٢٧/١ - ١٩٩٢/٢/١٠م) ، وقد نوقشت وأقرت في جلساته الثلاث عشرة مصطلحات في الجغرافيا والجيولوجيا وعلوم الأحياء والزراعة والحاسبات والرياضيات والفيزياء والعلوم الطبية والتربية الرياضية والهندسة الميكانيكية .

وألقى الأساتذة المشاركون بحوثاً في تعريب التعليم الجامعي وفي موضوعات متنوعة نحوية ولغوية وتاريخية وجغرافية وأدبية ، وناقشوا أعمال اللجان اللغوية : لجنة الأصول ، ولجنة الألفاظ والأساليب ، ولجنة اللهجات ، واستعرضوا جزءاً من المعجم الكبير .

وقد ختم المؤتمر جلساته بإصدار القرارات والتوصيات . وهذا نص ما جاء في توصيات المؤتمر :

١ - يؤكد المؤتمر توصياته السابقة بأن يُعنى في مرحلة التعليم الأساسي بحفظ الناشئة للأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن الكريم على الأقل ، لتستقيم الملكة اللغوية لهم ، ويتمثلوا قيمه الجمالية والسلوكية والاجتماعية .

٢ - يوصي المؤتمر الدول العربية وجامعاتها بتعريب التعليم الجامعي في جميع مراحله ، وتعد المعجمات العلمية المتخصصة التي أصدرتها مجامع

اللغة العربية الركيزة التي تقوم عليها حرمة التعريب .

٣ - يوصي المؤتمر حكوماتْ الدول العربية بإنشاء مؤسسة على مستوى الوطن العربي ، على أن تكون هذه المؤسسة مستقلة وذات جدوى اقتصادية ، وتكون مهمة هذه المؤسسة العمل على ما يلي :

أولاً : نقل العلوم والتقنيات والمهنيات الحديثة والمعجمات المتخصصة والموسوعات والدوريات وما أشبه ذلك إلى اللغة العربية .

ثانياً : نقل تراث الفكر والأدب العالميين إلى اللغة العربية .

٤ - يوصي المؤتمر الدول والحكومات العربية بالحرص على أن تكون اللغة العربية (لغتنا القومية) هي اللغة التي تلتزم بها جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

٥ - يوصي المؤتمر جميع الدول العربية المنتمية إلى جامعة الدول العربية بضرورة الالتزام بالحرف العربي في الكتابة باللغة الفصحى ، ويؤكد المؤتمر دعوته السابقة إلى حكومة الصومال بالعودة إلى الأبجدية العربية .

٦ - يوصي المؤتمر جميع الدول الإسلامية أن تلتزم بما كانت ملتزمة به من استعمال الحرف العربي في كتابة لغاتها القومية .

٧ - يؤكد المؤتمر توصيته السابقة ببذل الجهود لوضع معجم كبير للعامي الذي له أصل في الفصحى المشترك في البلدان العربية ، حتى تتقارب وتتعارف بلغة مشتركة .

٨ - يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بدعوة اتّحاد المجامع اللغوية العلمية ، والجامعات ، والهيئات العلمية إلى توحيد المصطلحات في جميع العلوم بالوطن العربي ، حتى تنتهي البلبلة فيها ، ويتعاون علماؤنا في نهضة العلوم ببلادنا نهضة جماعية عربية .

٩ - يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بزيادة عدد الساعات في تدريس

اللغة العربية ، مع العناية في النصوص بالضبط الكامل ، ومع تيسير القواعد للناشئة والاستعانة في ذلك بما أقره المجمع من تيسير لهذه القواعد .

١٠ ــ يوصي المؤتمر بالعناية في التدريس للناشئة ، وفي جميع وسائل الإعلام ، وفي الإذاعتين المسموعة والمرئية باستخدام الفصحى ، ولتحقيق ذلك يوصي المؤتمر بإعداد المذيعين والمذيعات إعداداً لغوياً سليماً نطقاً وكتابة .

١١ ــ يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بضرورة إصدار تشريعات تقضي بكتابة اللافتات على المحالّ التجارية والشركات والفنادق بالعربية إلى جانب اللغة الأجنبية ، كما تحظر كتابة الأسماء الأجنبية عليها بحروف عربية .

١٢ ــ يدعو المؤتمر رجال الدولة وجميع المسؤولين في الوطن العربي أن يلتزموا في خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير اللغة العربية السليمة ، لما لذلك من تأثير عميق في نفوس الجماهير ، وتمثيلها القويم للبيان العربي .

نقش جُديد بالخط الآرامي

في مدينة متسخيتا ـ سامتافرو

المؤلف : قسطنطين تسيرتيلي

غسان منيف عيسى

صدر هذا الكتاب (وصفحاته ٨٠ صفحة بالقطع الصغير) في مدينة تفليس عاصمة جورجيا (بلاد الكرج) سنة ١٩٩٠م ، باللغتين الروسية والانكليزية ، ويتحدث مؤلف الكتاب عن كشف مدفن في مدينة متسخيتا بجورجيا يعود تاريخه إلى القرنين الثاني والثالث للميلاد ، ويحوي بقايا جثتين ، ومجموعة من الأواني البرونزية والفضية والذهبية . ويلفت المؤلف الانتباه إلى وجود صحن فضي يحمل نقشاً بالخط الآرامي ، ويبين صلته الوثيقة بالكتابة الأرمازية (الاسم الحالي للآرامية في جورجيا وما جاورها) ، ونقوش بلاد الرافدين .

ثم ينتقل المؤلف إلى مقارنة النقش الجديد بالنقوش الآرامية الأخرى ، فيبين وجود تشابه ملحوظ بينه وبين نماذج النقوش الآرامية التي استخدمتها الشعوب الإيرانية على نطاق واسع (بين القرنين الثالث قبل الميلاد والثالث للميلاد) ، ويتألف النقش من ستة عشرة حرفاً (من اليمين إلى اليسار) وهي غير متصلة .

ويعمد المؤلف إلى تحليل للحروف على نحو مفصل بالاعتماد على المقارنة بين حروف النقش الجديد والحروف التي كشفت في النقوش الآرامية الأخرى (مثل نقوش شمالي بلاد الرافدين ، والنقوش البارثية (الفرثية) ، ونقوش مدينتي نيبور في جنوبي العراق ، وتدمر . ويخلص إلى أن النقش آرامي يحمل عبارة : « تيريدت بَر بيتأ نبجه » ومعناها : « تيريدت الأمير

(هذا الصحن) ملكه » .

ويبين المؤلف معتمداً على افتراضات علماء الآثار أن قسماً من هذه الأدوات المكتشفة في المدفن ، ومن ضمنها الصحن الفضي قد وصلت إلى جورجيا هدية قدمها دبلوماسيون ، وأن الصحن يخص أسرة من علية الناس (قد تكون أسرة ملكية) .

ويرجح المؤلف أن النقش بارثي ، إذ كان الخط الآرامي متداولاً في المملكة البارثية ، لأن اللغة الآرامية انتشرت في الامبراطورية البارثية الواسعة ، وقد بلغت من الازدهار أن نطقت بها عدة شعوب إلى جانب لغاتها المحلية .

ويعتمد المؤلف على تحليل التشابهات الجزئية بين حروف نقش متسخيتا - سامتافرو وحروف لنماذج من النقوش البارثية (مثل وثائق نيسا ، ولوح كومس ، ومخطوطة افرومن رقم ٣ ، ولوح ينبور ، ونقوش أخرى) محاولاً تحديد تاريخ النقش . ويرجح في ختام تحليله أن تاريخه يعود إلى القرن الأول للميلاد .

التقرير السنوي

عن أعمال المجمع في دورته المجمعية
(١٩٩٠/٩/١ - ١٩٩١/٨/٣١)

أولاً - مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع في دورته المجمعية (١٩٩٠ - ١٩٩١) تسع عشرة جلسة كان مما تمَّ فيها :

أ - عرض على المجلس الكتب الواردة إلى المجمع من مؤسسات علمية مختلفة ، تضمنت إعلام المجمع بضروب مناشطها الثقافية المتصلة بالتراث العربي والإسلامي ، والرغبة في مشاركة المجمع فيها ، وقد أقر ما يجب في شأنها . ومن تلك الكتب :

١ - كتاب من المملكة المغربية (١٥/١٠/١٩٩٠) حول سبل تعزيز التعاون بين المجمع ومكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم طبقاً للمادة التاسعة من الجدول التنفيذي للاتفاق الثقافي بين الجمهورية العربية السورية والمملكة المغربية .

٢ - كتابٌ من جامعة دار السلام (٢٢/١١/١٩٩٠) يتضمن تقريراً ثقافياً بشأن اللغة السواحلية وطرق إغنائها وتطويرها .

٣ – كتاب من لجنة التعريب في جامعة قطر (١٩٩٠/١٢/٣١) ، تبدي فيه رغبتها في الحصول على معلومات تفصيلية عن جهود التعريب .

٤ – كتاب من مؤسسة فورد التربوية (١٩٩١/٢/١٠) تعرب فيه عن رغبتها في مشاركة المجمع ببرنامجها لبحوث الشرق الأوسط في العلوم الاجتماعية والقضايا الراهنة .

٥ – كتاب من مؤسسة كاتالا لدراسات البحر المتوسط في إسبانيا (١٩٩١/٣/٢٥) ترغب في التعرف على نشاطات المجمع .

٦ – كتاب من بيت الحكمة بتونس (١٩٩١/٤/١٤) بشأن إقامة حلقة بحث عن شكسبير في العالم العربي .

٧ – كتاب من الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية (١٩٩١/٤/٢٠) لترشيح من يراه من العلماء لنيل هذه الجائزة .

٨ – كتاب من أكاديمية المملكة المغربية (١٩٩١/٥/٩) حول دورها في حماية اللغة العربية ورغبتها في زيادة التعاون مع المجمع .

٩ – مذكرة من سفارة المملكة المغربية بدمشق (١٩٩١/٥/٢٠) تتضمن ما تعده المصالح التابعة لمكتب تنسيق التعريب بالرباط في مجال تعريب المصطلحات وتوحيدها على المستوى العربي ، والمشاريع المزمع إنجازها في المستقبل .

١٠ -كتاب من مكتب تنسيق التعريب بالرباط (١٩٩١/٥/٢٦) يطلب فيه تزويده بما استجد من مصطلحات في مجال الطباعة .

١١ -كتاب من وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية (١٩٩١/٥/٢٢) بشأن موافاتها بالنهج الذي يتبعه المجمع في وضع المصطلحات العلمية ؛ لاعتماد قواعد موحدة للترجمة والتأليف والنشر .

١٢ -دعوة من اتحاد المجامع العالمية (١٩٩١/٦/٤) لتمثيل المجمع في اجتماعات الاتحاد الأكاديمي في بروكسل في (٩ - ١٩٩١/٦/١٥) .

ب - جدد المجلس انتخاب الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان عضواً في اللجنة الإدارية لمدة أربع سنوات أخرى بدءاً من ١٩٩١/٢/٤ .

ج - اطلع المجلس على التقارير المقدمة عن أعمال لجان المجمع : لجنة المجلة والمطبوعات ــ لجنة المخطوطات وإحياء التراث ــ لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة ــ لجنة الأصول .

د - استمع المجلس إلى شرح مفصل من اللجنة المشكلة للاطلاع على مشروع ترميم المدرسة العادلية الكبرى ودار الكتب الظاهرية المقدم من مديرية الآثار وإلى اقتراحات اللجنة بشأن توظيف غرف المدرسة العادلية وقاعاتها لتكون أكثر تأدية للمناشط الثقافية التي يضطلع بها المجمع ودار الكتب الظاهرية فوافق على المشروع .

ثانياً ـ أعمال لجان المجمع

١ ـ اللجنة الإدارية

عقدت اللجنة الإدارية في هذه الدورة المجمعية خمس عشرة جلسة بحثت فيها شؤون المجمع ودار الكتب الظاهرية ، وأصدرت عدداً من القرارات الإدارية والمالية . وقررت إهداء مجلة المجمع إلى عدد من المؤسسات العلمية العربية والأجنبية وإلى بعض الباحثين والدارسين . وقامت بشراء مجموعة من الكتب الجديدة لمكتبة المجمع . كما وافقت على تعيين بعض العاملين الوكلاء للعمل في المجمع ودار الكتب الظاهرية .

٢ ـ لجنة المجلة والمطبوعات

عقدت لجنة المجلة والمطبوعات في هذه الدورة ست عشرة جلسة تدارست فيها جملة كبيرة من المقالات الواردة إلى المجلة ، وقررت نشر ما رأته صالحاً منها . وأشرفت على طباعة عدد من كتب التراث المحققة التي وافقت لجنة التراث على نشرها .

٣ ـ لجنة المخطوطات وإحياء التراث

درست اللجنة في هذه الدورة عدداً من كتب التراث المحققة المقدمة إليها ، فأحالت ما أقرته منها على لجنة المجلة والمطبوعات لنشره ، وبقي عدد منها ما زال قيد النظر والدراسة .

٤ ـ لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة

عقدت لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة في هذه الدورة تسع جلسات ، تدارست فيها عدداً من الأمور المتعلقة بالمصطلحات وطرق توحيدها ، وضرورة تنسيق الجهود المبذولة بشأنها بين المجمع ومكتب تنسيق

التعريب التابع للجامعة العربية والمجامع اللغوية ، وغيرهما من المؤسسات العربية المعنية بأمور المصطلح . وتداولت اللجنة في المصطلحات الفيزيائية الواردة إليها من المجمع الأردني .

وقدمت اللجنة تقريراً يوضح النهج الذي يتبعه المجمع في اعتماد المصطلح فنوقش في مجلس المجمع وأُقر . ثم صدر كتاب إلى السيد وزير التعليم العالي (رقم ٢٧٢/ص تاريخ ١٦/٧/١٩٩١م) هذا نصه :

السيد وزير التعليم العالي

اشارة إلى كتابكم رقم ٣٨٠٢/ت تاريخ ٢٢/٥/١٩٩١م بشأن بيان النهج المتبع في مجمع اللغة العربية لاعتماد المصطلح .

نبين ما يلي :

١ – لقد بذلت جهود كبيرة وواسعة لوضع المصطلحات العلمية والفنية والتقنية والقانونية وسواها من فروع المعرفة الإنسانية ، قامت بها المجامع والجامعات ولا سيما جامعات الجمهورية العربية السورية ، ومؤتمرات التعريب ، والمؤسسات العلمية ، والأفراد المختصون .

وهذه الثروة الكبيرة من المصطلحات ينتقى منها المصطلح العربي المقابل للفظ الأعجمي طبقاً للقواعد التالية بعد تحري المعنى الصحيح للمصطلح الأجنبي :

(١) يفضل اللفظ العربي على المعرب ، إلا إذا اشتهر المعرب .

(٢) تفضل الاصطلاحات العربية القديمة الواردة في المعجمات والمؤلفات العربية القديمة .

(٣) تفضــل الكـلمـة الواحدة على كلمتين فأكثر إذا أمكن ذلك .

(٤) يقتصر على اسم واحد للمعنى الواحد في العلم الواحد .

٢ – إذا كان المصطلح الأجنبي جديداً ، ولم نجد ما يقابله في كتب المصطلح العربية المتوافرة فيلجأ :

(١) إما إلى ترجمته ووضع لفظة عربية سليمة تؤدي معناه ، وذلك بطريق الاشتقاق أو المجاز أو النحت أو التركيب المزجي .

(٢) وإما إلى تعريبه حين تعذّر وضع لفظ عربي مقابل .

٣ – في موضـوع السـوابق واللواحق قدمت المجامع قواعد عدة تعين الباحثين والمتصدين لوضع المصطلح .

وقد أودع الأستـاذ مصطفى الشهـابي كثـيراً من هذه القواعد في كتابه : المصطلحات العلمية في اللغة العربية (ص٧٦ –٧٩) .

كذلك فإن المعجم الطبي الموحد أورد جملة من السوابق واللواحق المستعملة في المصطلحات الطبية (ثلاث صفحات في مطلع الكتاب) .

وان مجمع اللغة العربية بدمشق ليسعده أن يبذل كل عون صادق في هذا المضمار ، فيشارك في اللجان المؤلفة لبحث أمور المصطلح ، ويبدي الرأي في كل الاستشارات اللغوية التي ترسل إليه ، ويفتح صدر مجلته لنشر المباحث المفيدة التي تنتهي إليها اللجان في باب المصطلح . ويقدم كل ما في وسعه في سبيل خدمة هذه اللغة العربية الشريفة .

ثالثاً ـ مشاركات المجمع خارج القطر

شارك الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب الرئيس في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السابعة والخمسين (١١ ـ ٢٥/٢/١٩٩١م).

وقد ألقى بحثاً في المؤتمر عنوانه (قراءة في فهرست ابن النديم) .

كما شارك الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام في المؤتمر نفسه ، وألقى بحثاً عنوانه (ألفاظ ومعان ليست في الفصحى ولكنها من الفصيح) .

رابعاً ـ استقبال أعضاء عاملين

استقبل المجمع في هذه الدورة عضوين جديدين من الأعضاء العاملين وهما :

١ ـ الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة . واحتفل باستقباله مساء الأربعاء في ١٤/٣/١٤١١هـ الموافق ٣/١٠/١٩٩٠ .

٢ ـ والأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم . واحتفل باستقباله مساء الأربعاء في ٢٨/٣/١٤١١هـ الموافق ١٧/١٠/١٩٩٠م .

وأقيم حفلا الاستقبال في المدرسة العادلية الكبرى .

خامساً ـ انتخاب أعضاء جدد في المجمع

ـ انتخب مجلس المجمع في ٧/٥/١٤١١هـ الموافق ٢٤/١١/١٩٩٠م

ـ العماد مصطفى طلاس

ـ الأستاذ الدكتور عادل العوا

ـ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

- الأستاذ جورج صدقني
- الأستاذ سليمان العيسى

أعضاء عاملين في المجمع .

٢ - انتخب مجلس المجمع في ١٣/٨/١٤١١هـ الموافق ٢٧/٢/١٩٩١ السادة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين :

من جمهورية مصر العربية :

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

الأستاذ الدكتور كمال بشر

من الجزائر :

الأستاذ الدكتور مولود قاسم

الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله

من إسبانيا :

الأستاذ خيسوس ريو ساليدو

من ألمانيا :

الأستاذ رودرف زلهايم

وانتخب مجلس المجمع في ٢٧/٨/١٤١١هـ الموافق ١٣/٣/١٩٩١ السادة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين أيضاً :

من المملكة العربية السعودية :

الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

الأستاذ عبد الله بن خميس

الأستاذ حسن عبد الله القرشي

من الجمهورية العربية السورية :

الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

الأستاذ الدكتور شاكر مصطفى

الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الدائم

الأستاذ عبد المعين الملوحي

الأستاذ الدكتور عبد السلام العجيلي

الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر

الأستاذ الدكتور عمر دقاق

الأستاذ الدكتور خالد الماغوط

سادساً ـ مطبوعات المجمع

أ ـ الكتب التي نجز طبعها

١ ـ المجلد الحادي والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن ـ عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة) تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .

٢ ـ السيرة النبوية (القسم الثاني) ـ من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . تحقيق الأستاذة نشاط غزاوي .

٣ ـ عبد الله كنون . تأليف الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام .

٤ ـ كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية ـ لأبي منصور القمري . تحقيق الأستاذة وفاء تقي الدين .

ب ـ الكتب التي يجري طبعها

١ ـ كشف المشكلات وإيضاح المعضلات ـ لجامع العلوم الأصبهاني . تحقيق الدكتور محمد الدالي .

٢ – المجلد الثاني والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر
(عبد الرحمن بن مصاد – عبد العزيز بن عمر)
تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

٣ – المجلد الثالث والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر
(عبد العزيز بن عمير – عبد الواحد بن زيد)
تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

سابعاً : مشاركة المجمع في معارض الكتب

شارك المجمع بالتعاون مع دار الفكر في المعارض التالية :

١ – معرض فرانكفورت للكتاب – الثالث والأربعين ٩ – ١٤/١٠/١٩٩٠ .

٢– معرض المغرب الأول للكتاب العربي ٢٦/١٠ – ٥/١١/١٩٩٠ .

٣ – معرض القاهرة الدولي – الثاني والعشرين ٨ – ١٥/١/١٩٩١ .

٤ – معرض تونس الدولي – العاشر ٣ – ١٢/٥/١٩٩١ .

٥ – معرض طهران الدولي الثالث ٧ – ١٧/٥/١٩٩١ .

٦ – معرض باريس الأوربي العربي الأول للكتاب ٤ – ٩/٦/١٩٩١ .

ثامناً – مكتبة المجمع الخاصة

اقتنت مكتبة المجمع في هذه الدورة المجمعية (١٩٣) كتاب و(٣٩٤) عدد من المجلات والدوريات .

تاسعاً – ميزانية المجمع

بلغت الاعتمادات التي رصدت للمجمع في ميزانية الدولة العامة لعام ١٩٩١ مبلغ (٣,٢٧٦,٠٠٠) ليرة سورية ، ورصد له من الميزانية الاستثمارية للعام نفسه مبلغ (١,٠٠٠,٠٠٠) ليرة سورية .

صرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية العامة حتى تاريخ ١٩٩١/٨/٣١ مبلغ (١,٨٦٠,٠٠٠) ليرة سورية . وصرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية الاستثمارية حتى التاريخ المذكور مبلغ (٥٠,٠٠٠) ليرة سورية .

عاشراً – دار الكتب الظاهرية

١ – بلغ عدد الكتب الواردة إلى الدار خلال الدورة المجمعية المذكورة (١٧٢) كتاب باللغة العربية و(٢٠٠) كتاب باللغة الأجنبية . وأصبح مجموع ما في الدار من الكتب (٧١٧٦٦) عنوان .

٢ – وورد إليها (١٢٩) عدد من المجلات والدوريات باللغة العربية ، إضافة إلى (١٤١) عدد باللغة الأجنبية .

٣ – بلغ عدد المطالعين في هذه الدورة (٣٠,٠٠٠) مطالع .

٤ – وبلغ عدد الكتب المعارة (٣٧,٠٠٠) كتاب ، وعدد الدوريات المعارة (٩٨٠) .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٩٢

أ ـ الكتب العربية

وفاء تقي الدين

أسرار البلاغة ـ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي ، تحقيق محمود محمد شاكر ـ جدة ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

أسس إدارة الأعمال التجارية الصغيرة ـ كليفورد م. بومباك ، جامعة ايوا ، تحرير وتدقيق الدكتور رائد السمرة ـ مركز الكتب الأردني ١٩٨٩ .

اسكالنتي أفضل المعلمين في أمريكا ـ جاي ماثيوز ، تدقيق وتحرير الدكتور فاروق منصور ـ مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمري مما فسره من أبيات الحماسة أولاً وثانياً ـ أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المعروف بأبي محمد الأعرابي ، تحقيق وتقديم الدكتور جورج قنازع ١٩٨٨ .

أفكار عظيمة في الإدارة دروس من مؤسسي ومؤسسات العمل الإداري

- تأليف و. جاك دنكان ، ترجمة محمد الحديدي - الدار الدونية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

الإمام الخميني ، الاستيطان والصهيونية - سمير أرشدي ، والدكتور رياض سليمان عواد - دار عواد ١٩٩١ .

الإمام الخميني ، سياسة اللاشرقية واللاغربية - سمير أرشدي ، والدكتور رياض سليمان عواد - دار عواد ١٩٩٢ .

أوضح البيان في تفسير القرآن ، جزء عَمَّ - تأليف محمد حسين الحسيني الجلالي - مؤسسة المعارف للمطبوعات ، بيروت ١٩٩١م ، ١٤١١هـ .

البحث عن أنشودة الفتى الحزين - فاسيلي اكسيونوف ، ترجمة د. قيس الوهابي ، مراجعة أحمد محمد منيب .

بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص - تأليف الدكتور حاتم صالح الضامن - جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م.

بلوغ سن الرشد في الهجرة - تأليف تِمُثي فَرِس ، ترجمة هنري مطر ، تدقيق وتحرير الدكتور رائد السمرة - مركز الكتب الأردني ١٩٩٠.

تاريخ الحياة الثقافية في أميركا - لويس بيري ، ترجمة أحمد العناني - مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

التراث الحضاري العربي الإسلامي خارج الوطن العربي - عدد من الباحثين للمؤتمر الاستثنائي لوزراء الثقافة العرب الذي كان مقرراً

عقده ببغداد سنة ١٩٩٠ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

تربية دجاج اللحم – تأليف الدكتور علي أكبر التميمي ، تبسيط جاسم الحسون – سلسلة الكتب الثقافية للراشدين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

التعليم العالي عن بعد ، وجهات نظر للتعاون الدولي ولتطويرات حديثة في التكنولوجيا إصدارات مؤتمر اليونسكو للاستشارة الدولية بشأن التعليم عن بعد على المستوى العالي المنعقد بأستراليا ١٩٨٧ ، ترجمة الدكتور كمال يوسف اسكندر – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

تقارير علمية لمجموعة من الاختصاصيين – تحرير يحيى أحمد كوسا – دار البشير ١٩٩١ .

التنسيق الإقليمي للمواقع في الولايات المتحدة وكندا – تأليف ستيفن إس . بيردسال ، جون دبليو . فلورن ، ترجمة فيصل زواتي ، تحرير وتدقيق الدكتور رائد السمرة – مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

تنظيم الأسرة – إعداد إبراهيم جعفر سليمان – الكتب الثقافية للراشدين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

حتمية القيادة ، الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية – تأليف جوزيف س. ناي ، ج.ر ، ترجمة عبد القادر عثمان ، تدقيق وتحرير الدكتور فاروق منصور – مركز الكتب الأردني ١٩٩١ .

دليل الصحفي في العالم الثالث ـ تحرير ألبرت ل. هستر ، واي لان ج. تو ، ترجمة كمال عبد الرؤوف ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٨٨ .

دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط ـ الدكتور يوسف العش ، ترجمه عن الفرنسية نزار أباظة ومحمد صباغ ـ دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٤١١هـ ١٩٩١م .

رحلة أمريكية ـ تأليف ريتشارد ريفز ، ترجمة صلاح الدين الشريف ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

روح الرأسمالية الديموقراطية ـ تأليف ميخائيل نوفاك ، ترجمة غالي عودة ـ دار البشير ، عمّان ١٩٨٩ .

السياسات التنموية ، مقدمة حول القضايا والمسائل العالمية ـ جون ل. سايتز ، ترجمة سمير حمارنة ـ دار عمار ، عمّان ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

شجرة الجامعة في مصر ، رؤية تاريخية تحليلية ـ سليمان حزيّن ـ مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٥ ، في مناسبة العيد الخامس والسبعين لجامعة القاهرة ١٩٠٨ ـ ١٩٨٣ .

شذرات مضيئة عن علم الحياة الحيوانية في التراث العلمي العربي الإسلامي ـ الدكتور محمد مروان السبع ـ معهد التراث العلمي العربي ، جامعة حلب ١٤١٢هـ ١٩٩١م .

الصحفي المحترف – جون هوهنبرج ، ترجمة محمد كمال عبد الرؤوف – الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩٠.

ظاءات القرآن ويليه كتاب الفرق بين الظاء والضاد – نظم أحمد بن عمار المقرئ ، وشرح إسماعيل بن أحمد التجيبي ، وتأليف سعد بن علي الزنجاني ، تحقيق وتقديم محمد سعيد المولوي – دار الفكر المعاصر ١٤١١هـ ١٩٩١م .

عشاء في مطعم المشتاقين للأهل – آن تايلر ، ترجمة وتقديم د. أمين العيوطي – من روائع الأدب الأمريكي المعاصر ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤١١هـ ١٩٩١ .

عشرة شعراء مقلون – الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن – جامعة بغداد ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

فهرس الأطروحات والرسائل ١٩٥٣ – ١٩٨٤ – الجمعية المغربية للتأليف والنشر – الرباط ١٩٨٧م .

في بيتنا مدمن ، كيف نمنع الكارثة ؟ – إبراهيم نافع – مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

قصائد من قلم الشاعر الأمريكي ولاس ستيفنز – ترجمها د. أحمد يعقوب المجدوبة – مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

قضايا دستورية – فريد و. فرندلي ، مارتاج هـ. اليوت ، ترجمة وتعليق المستشار ياقوت العشماوي – دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٨.

القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية – شحادة الخوري – دمشق ١٩٩١ .

كيف تحكم أمريكا – ماكس سكيد مور ، مارشال كارتر وانك ، ترجمة نظمي لوقا ، مراجعة محمد علي ناصف – الدار الدولية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٩٨٨ .

مدخل إلى النظام التشريعي في الولايات المتحدة – تدقيق وتحرير الدكتور رائد السمرة – مركز الكتب الأردني .

المراسل الصحفي ومصادر الأخبار – تأليف هربرت سترنز ، ترجمة سميرة أبو سيف – الدار الدولية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٩٨٩.

المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير – تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة – دار ابن كثير ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

مسؤوليات الصحافة – تأليف روبرت شمول ، ترجمة ألفرد عصفور ، تدقيق وتحرير الدكتور رائد السمرة – مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

المطهري العبقري الرسالي دراسة لأفكاره من خلال المؤتمر الدولي الذي عقد في دمشق – المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق ١٤١١هـ ١٩٩١م .

مقدمة في الاتصال الجماهيري – جون ر. بيتنز – مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك (انجليزي – فرنسي – عربي) – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

من قضايا اللغة العربية المعاصرة ـ عدد من الباحثين ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

نحو التآلف والاتفاق ، بناء علاقات إيجابية ـ تأليف روجر فيشر وسكوت براون ، ترجمة د. محمد محمود رضوان ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

ندوة تناوب دورات الهطول المطري في منطقة دمشق ـ جمعية أصدقاء دمشق ، عقدت في المركز الثقافي العربي ، دمشق ٢٠ أيار ١٩٩١ .

نصوص محققة في علوم القرآن الكريم ـ تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ـ جامعة بغداد ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية ـ بروسترك. ديني ، ترجمة د. ودودة عبد الرحمن بدران ، مراجعة شويكار محمد زكي ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

نظم الإعلام المقارنة ـ ل. جون مارتن ، أنجو جروفر شودري ، ترجمة علي درويش ، مراجعة د. محمد محمود رضوان ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

نوبة حراسة وقصص أخرى ـ ترجمة وتقديم د. نهاد صليحة ـ من روائع الأدب الأمريكي المعاصر ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

الهجرات العربية من الجزيرة إلى الهلال الخصيب ـ الدكتور حسن حدة ـ العربي للنشر والطباعة والتوزيع دمشق .

وراء الصفحة الأولى ، نظرة صريحة على صناعة الخبز – تأليف ديفيد إس. برودر ، ترجمة عبد القادر عثمان ، تحرير وتدقيق الدكتور رائد السمرة – مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ ،

وقائع نزع السلاح ، الأسلحة التقليدية ، الجهود الرامية إلى الحد منها وتخفيضها – الأمم المتحدة ، ١٩٩١ .

وقائع نزع السلاح ، التسلح ونزع السلاح ، أسئلة وأجوبة – الأمم المتحدة ١٩٩٠ .

ب ــ المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	من ٢٩١ إلى ٣٠٦	١٩٩٢	سورية
البطريركية	١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢	١٩٩٢	سورية
بناة الأجيال	١١	١٩٩٢	سورية
التراث العربي	٤٤ ، ٤٥	٩١ ، ١٩٩٢	سورية
التعريب	٢	١٩٩١	سورية
الثقافة	كانون ثاني ، شباط ، آذار	١٩٩٢	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ٤٩ ــ ٥٠	١٩٩١	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ١ ــ ٩	١٩٩٢	سورية
جامعة البعث	٨	١٩٩٠	سورية
جامعة دمشق	٢٧	١٩٩٢	سورية
الحياة المسرحية	٣٧	١٩٩١	سورية
صوت فلسطين	٢٨٧ ــ ٢٨٩	٩١ ــ ١٩٩٢	سورية
الضاد	٩ ــ ١٢	٩١ ــ ١٩٩٢	سورية
طب الفم	٣	١٩٩١	سورية
عالم الذرة	١٥ ، ١٦	١٩٩١	سورية
المعرفة	٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢	١٩٩٢	سورية
الموقف الأدبي	٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧	١٩٩٢	سورية
النشرة الاقتصادية	٣	١٩٩١	سورية
نهج الإسلام	٤٦	١٩٩٢	سورية

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
آفاق علمية	٣٤	١٩٩١	الأردن
دراسات	٤	١٩٩٠	الأردن
المجلة العربية للتربية	١	١٩٩١	الأردن
تعليم الجماهير	٣٨	١٩٩١	تونس
الحياة الثقافية	٩٢	١٩٩١	تونس
المجلة العربية للثقافة	١٨ ، ١٩	١٩٩٠	تونس
المجلة العربية للعلوم	١٦	١٩٩٠	تونس
المجلة العربية للمعلومات	١/١٢	١٩٩١	تونس
الدارة	٣	١٩٩١	السعودية
مجلة جامعة الملك سعود	١ ، ٢	١٩٨٩	السعودية
مجلة جامعة الملك سعود	١ ، ٢	١٩٩٠	السعودية
حولية كلية الإنسانيات	١٣	١٩٩٠	قطر
أخبار التراث الإسلامي	٢٤	١٩٩٠	الكويت
دراسات فلسطينية	٨	١٩٩١	لبنان
الشراع	من ٥٠٤ ــ ٥١٨	١٩٩٢	لبنان
الفكر العربي	٦٦	١٩٩١	لبنان
الموسم	٩ ، ١٠	١٩٩١	لبنان
الدعوة الإسلامية	٨	١٩٩١	ليبيا
حولية كلية دار العلوم	١٣ ، ١٤	١٩٩١	مصر
الإرشاد	١ ، ٢	١٩٩١	المغرب
دعوة الحق	٢٨٥ ، ٢٨٦	١٩٩٠	المغرب
اللسان العربي	٣٤	١٩٩٠	المغرب
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية	١٦	١٩٩١	المغرب
الوحدة	٨٦ ، ٨٧	١٩٩١	المغرب
العلم والتكنولوجيا	١٠ ، ١١	١٩٩١	بريطانيا
ثقافة الهند	١	١٩٩١	الهند

جـ - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء الحاسني

1- Books:

- The World Almanac and book of Facts, 1992. - New York, 1992.
- Yearbook of socio Economic Indicators of the OIC Member. countries, 1989.
- Statistical sources and Methods, vol. 6: Household Income and expenditure surveys/by International Labour Office, Geneve, 1992.
- Disarmament, Topical papers,/by u.n., vols.,5,6,7, New York 1991.
- Statistical yearbook, 1991/by Unesco. - Paris, 1991.
- The United Nations Disarmament Yearbook 1990, Vol.15, U.S.A, 1991.
- Promises, Heritage and Peace/by Sami K. Hamarneh. - U.S.A, 1986.
- Ibn Al-Quff's writing on Hygienic Regulations and the preservation of Health/by Sami k. Hamarneh. - U.S.A,
- Proceedings of the Symposium on Bilad al-Sham during the Byzentine Period, Nov. 15-19, 1983/ed. by Muhammad Adnan Bakhit and Muhammad Asfour. - Amman, 1986.
- Ibn Al-Quff's contributions to Arab-Islamic Medical Sciences/by Sami K. Hamarneh. - Off-Print of (Hamdard quarterly Journal of Science and Medicine Vol. XXXIV, No. I, 1991.
- Nutritions and Dietetics in Ibn Al-Quff Al-Karaki's writing/by Sami k. Hamarneh. - Vol. XXXIII, No.4, 1990 (Off-Print of Hamdard Quarterly Journal of Science and Medicine.

2- PERIODICALS:

- Names, Journal of the American Name Society, vol.39, Nos. 1,2,1991, Published by univ. of south Dakota, American Name society newyork.
- ABN Correspondence, vol. XLII, Nov-Dec. 1991.
- Law and State, A Biannual collection of recent German contributions

to these fields, ed. by: Institute for Scientific co – operation, Tubingen, vol.44, 1991.

– Muslim Education quarterly, U.K., winter issue, vol. 8, No. 2, 1991.

– The Middle East Journal, publ. by Middle East Institute, Washington, Vol. 45, Autumn, 1991.

– Awraq, Estudios sobre el mundo árabe e Islámico contemporáneo, publ. by: Instituto de cooperacion con el Mundo Arabe, Madrid, vol. XI (1990).

– East Asian Review, publ. by: The Institute for East Asian Studies, Seoul, Korea, vol. III, No. 4, Winter 1991.

– Le Muséon, Revue D'Etudes Orientales, Louvain – la – Neuve (Belgique). Tome 104 – Fasc.3 – 4, 1991.

– Disarmament, publ. by: U.N, vol.XIV, No. 4, 1991.

– The Muslim World, publ. by: The Duncan Black Macdonald center at Hartford seminary, U.S.A, vol. LXXXI, NO; 2, April, 1991.

فهرس الجزء الثاني من المجلد السابع والستين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٢٤	تح مطاع الطرابيشي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٣٩	تح سكينة الشهابي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٢	تح غازي طليمات
ـ المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي	تح مصطفى الحدري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢	وضع ياسين السواس
ـ المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني	تح سبيع الحاكمي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣	تح إبراهيم عبد الله
ـ المستدرك على فهرس (الشعر)	إعداد رياض مراد
ـ تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش	تح إبراهيم صالح
ـ الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً	للدكتور عدنان الخطيب
ـ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا	للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

ـ المحب والمحبوب للسري الرفاء ج ١ ـ ٤	تح غلاونجي والذهبي
ـ شعر حداش بن زهير العامري	صنعه د. يحيى الجبوري
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج٣٨ ، ٤٠	تح سكينة الشهابي
ـ إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط ٢)	تح عبد الإله نبهان
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦	وضع غزوة بدير
ـ الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية	وضع الخيمي والحافظ
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٤	تح أحمد مختار الشريف
ـ علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب	دراسة وتحقيق دُ.مراياتي وطيان ومير علم
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥	وضع محمد خير محمد

